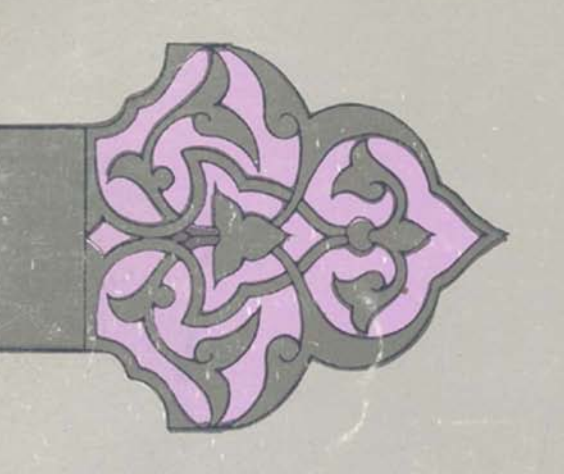


لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب الأشباه والنظائر

من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين

للخالديين

أبي بكر محمد (المتوفى ٣٨٠ هـ) وأبي عثمان سعيد (المتوفى ٣٩٠-٣٩١ هـ) ابني هاشم

حققه وعلق عليه

الدكتور السيد محمد يوسف

مدرس اللغة الأردوية بمعهد اللغات الشرقية بجامعة القاهرة سابقا

القاهرة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

لجنة التأليف والترجمة والنشر

الجزء الأول
من

كتاب الأشباه والنظائر

من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين

للخالديين

أبي بكر محمد (المتوفى ٣٨٠ م) وأبي عثمان سعيد (المتوفى ٣٩٠-٣٩١ م) ابني هاشم

حققه وعلق عليه

الدكتور السيد محمد يوسف

مدرس اللغة الأردوية بمعهد اللغات الشرقية بجامعة القاهرة سابقا

القاهرة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

الخالديان

هما الأديبان الشاعران الموصليّان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم ابن وَعلة بن عُرام بن يزيد بن عبد الله بن عبد منبّه بن يثربى بن عبد السلام ابن خالد بن عبد منبّه من بنى عبد القيس[1] كان أصلهما من الخالدية قرية من أعمال الموصل فنسبا إليها[1] .

لم يذكر المؤرخون والمترجمون لهما تاريخ ولادتهما إلا أننا نعرف أن أبا بكر ، وهو أكبرهما سنًّا ، توفى سنة ثمانين وثلثمائة[2] وأبا عثمان فى حدود الأربعمائة[3] ، يضاف إلى ذلك ما عثرنا عليه ، كما سنذكر فيما بعد ، من سماعهما عن العلماء والرواة المتوفين فى الربع الأول من القرن الرابع أعنى ابن دريد (المتوفى ٣٢١) وجحظة (المتوفى ٣٢٤) وابن الخياط النحوى (المتوفى ٣٢٠) فلا نبعد عن الصواب إذا قلنا إنهما وُلدا فى أواخر المائة الثالثة أو فى مستهلّ المائة الرابعة على كل حال .

ولعلّ أبرز ما يخصّ حياة الأخوين أنه كان يجمعهما ، كما يقول الثعالبى ، « من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب ، فهما فى الموافقة والمساعدة ، يحييان بروح واحدة ، ويشتركان فى قرض الشعر وينفردان ، ولا يكادان فى

---

(١) البلدان « الخالدية » والوافى بالوفيات نسخة دار الكتب المصرية رقم تاريخ ١٢١٩ الجزء الرابع ٢/٣١٤ وانظر قول السرى الرفاء :

فغدت نبيط الخالدية تدعى   شعرى وترفل فى حبير ثيابى   اليتيمة ١/٤٧٤.

أما ما جاء فى الفوات (ترجمة محمد) « وعلة بن عثمان بن بلال » فأغلب الظن أنه تصحيف .

(٢) الفوات وكشف الظنون ٧/٥٧٣ .

(٣) كذا فى الفوات (ط ١٢٩٩) ١/١٧٢ وذكر ياقوت فى الأدباء ٤/٢٣٧ أن وفاته كانت فى سنة إحدى وسبعين وثلثمائة وأظن فيه تصحيفاً [تسعين بدل سبعين ؟] بدليل ما جاء أن أبا عثمان جمل شعره وشعر أخيه قبل موته – الفهرست ١٦٩ وعنه فى الوافى بالوفيات – مما يوهم أن موته هو كان متأخراً من موت أخيه . ولا أدرى من أين استمد بروكلمن ١/١٤٦ قوله بوفاة أبى عثمان فى ٣٥٠/٩٦١ .

الحضر والسفر يفترقان[1] » ، وفعلاً قد اتسم بهذا الاشتراك فى الحياة الأدبية ، الذى كان موضع الاستغراب والإنكار من أبى العلاء المعرى[2] كلّ ما وصل إلينا من مؤلفاتهما أو ورد عنهما من رواية وشعر فى المجاميع والكتب الأدبية حتى إنه لا يستطيع الباحث والكاتب إلا أن يتكلم عنهما جملة واحدة .

يمكن لنا أن نقسّم حياة الخالديّين إلى ثلاث فترات : الأولى منها تمتد من بدء الشباب إلى أن التحقا بسيف الدولة . والثانية هى فترة منادمتهما لسيف الدولة من جهة واتصالهما الوثيق بأبى إسحاق الصابئ وحظوتهما عند الوزير المهلبى من جهة أخرى . أما الثالثة فهى ما بعد وفاة سيف الدولة والوزير المهلبى إلى انتهاء العمر .

يظهر أنّ الخالديّين دخلا بغداد فى مقتبل الشباب كطالبين للعلم فأخذا عن ابن دريد وجحظة والصولى (المتوفى ٣٣٥) وأبى بكر أحمد بن منصور المعروف بابن الخياط النحوى الذين يرويان عنهم فى كتابهما « الأشباه والنظائر[3] » ثم لم يلبثا أن بدآ يتردّدان على مجالس الكبراء ووزراء الدولة مثل الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الذى نجد الخالدىّ الأكبر يستمع إلى المناظرة التى جرت فى حضرته بين متّى بن يونس القنائى الفيلسوف وبين أبى سعيد السيرافى فى سنة عشرين وثلاثمائة[4] .

لا ندرى بالضبط متى انضمّ الخالديان إلى حاشية سيف الدولة الذى ملك

(١) اليتيمة ١/٥٠٧

(٢) رسالة الغفران ، أمين هندية ٧ – ١٣٦ ، كامل كيلانى ٣٠ – ٢٩ : « ولهما (أى الخالديين) ديوان ينسب إليهما لا ينفرد فيه أحدهما بشىء دون الآخر إلا فى أشياء قليلة وهذا متعذر فى ولد آدم إذ كانت الجبلة على الخلاف وقلة الموافقة ، فأما أن يعمل الرجل شيئاً من كتاب ثم يتمه الآخر فهو أسوغ فى المعقول من أن يجتمع عليه الرجلان » .

(٣) النسخة المغربية بدار الكتب المصرية آداب رقم ١٧٠٩ : ابن دريد ٩٤ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٣٤٣ ، ٣٥٧ ، جحظة ٢٠١ وأيضا الأدباء لياقوت ١/١٥٧ . الصولى ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٧ . ابن الخياط ٢٣٧ ، ٢٧٢ .

(٤) الأدباء لياقوت ٣/١٠٦

حلب سنة ٣٣٣ إلا أنهما حضرا مجلسه أيام اتصال المتنبي به ٣٣٧ — ٣٤٦[١]. ومما لا شك فيه أنهما أصبحا قبل مضي وقت طويل من « خواص شعرائه » وفي مقدمة ندمائه ، وتوليا أيضاً الإشراف على خزانة كتبه[٢] وحظيا منه بالهدايا والأموال[٣] وقد انفرد أبو العلاء المعري ، من بين المصادر التي بأيدينا ، بالقول بأنهما قد انصرفا من عند سيف الدولة « على حدّ مغاضبة[٤] » فكأن الزمن قد طوى تفصيل هذا الحادث مع ما طواه من أخبارهما وآثارهما .

وكان الخالديان على اتصال وثيق أيضاً بالوزير المهلبي ، ويرجح أن الصلة إنما قويت واشتدّت حينما تقلد أبو إسحاق الصابي ديوانَ الرسائل سنة ٣٤٩ ، وكان الصابيْ ، كما سنبين ذلك فيما بعد ، شديد الإعجاب بالخالديّين يحفظ جانبهما عند الوزير المهلبي ويناصرهما ضدّ السريّ الرفّاء مما أدّى إلى رجوعهما إلى بغداد قبل وفاة المهلبي[٥] .

توفي الوزير المهلبي سنة ٣٥٢ ولا نسمع شيئاً عن حياة الخالديّين فيما بعد .

إنّ من أشهر ما عُرِف به الخالديان مهاجاة الشاعر السري الرفاء لهما وادّعاءه سرقة أشعاره عليهما . وقد نمى أمر هـذه المشاجرة إلى حدّ أن صار « أفاضل الشام والعراق فرقتين : إحداهما وهي في شقّ الرجحان تتعصب عليه لهما لفضل ما رزقاه من قلوب الملوك والأكابر ، والأخرى تتعصب له عليهما[٦] » . ولا شك أن من أهم وأقوى أنصار الفرقة الأولى أبا إسحاق الصابي الذي وصف شعر

---

(١) الصبح المنبي (على هامش العكبري ، الشرفية ١٣٠٨) ١/١٧٣ .

(٢) اليتيمة ١/١٣ والفوات (ط ١٢٩٩) ٢/٢٧١ .

(٣) أيضا درة الغواص ٦٢ .

(٤) رسالة الغفران ، أمين هندية ٧ — ١٣٦ ، كامل كيلاني ٢٩ — ٣٠ .

(٥) ديوان السرى — نسخة دار الكتب المصرية أدب رقم ٤١٦ — ٥٠ و ٢٤٧ . أيضا اليتيمة ١/٤٧٤ و ٤٧٥ .

(٦) اليتيمة ١/٩ — ٥٠٨

الخالدى الأصغر بقوله : «شعره يختلط بأجزاء النفس لنفاسته ، ويكاد يفتن كاتبه لسلاسته[1] » والذى قال فى الأخوين :

١ أرى الشاعرين الخالديين سيّرا — قصائد يَفنى الدهرُ وهى تُخلّدُ
٢ جواهر من أبكار لفظ وعُونه — يقصّر عنها راجزٌ ومُقصِّدُ
٣ تنازع قوم فيهما وتناقضوا — ومرّ جدالٌ بينهم يتردّدُ
٤ فطائفة قالت : سعيدٌ مقدّم — وطائفة قالت لهم : بل محمّدُ
٥ وصاروا إلى حكمى فأصلحت بينهم — وما قلتُ إلا بالتى هى أرشدُ
٦ هما فى اجتماع الفضل زوج مؤلّف — ومعناهما من حيث يثبت مفردُ
٧ كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا — عُلَا أشكلا ، هل ذاك أم ذاك أمجدُ
٨ فزوجهما ما مثله فى اتفاقه — وفردهما بين الكواكب أوحَدُ
٩ فقاموا علَى صلح وقال جميعهم — رضينا وساوى فرقد الأرض فرقَدُ[2]

وهاك دليلًا ليس بعده دليل على ما قام بين الخالديّين و بين الصابئ من علاقات الودّ والصفاء وحفظ الغيب والمحاباة وهو الخطاب الذى وجهه الصابى إليهما وهذا نصه كما ورد فى رسائله (نسخة دار الكتب المحفوظة تحت رقم أدب ١٥٢٧ ص ١٦٤ إلى ١٦٧) وفى « جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام » لأبى الغنائم مسلم بن محمود الشيزرىّ (نسخة دار الكتب المصرية أدب ٩٢٢٣) ص ١١٢ :

« لو كان لكما – أيدكما الله – خصم يجتمع له شعر البحترى ، وغناء إبراهيم ابن المهدى ، وكتابة جعفر بن يحيى ، ومذاكرة الأصمعى ، وظرف عريب ، وطيب عشرة [أحمد] بن[3] حمدون ، وحسن وجه الأمين ، ووصلته بى أوكد حرمة ، وضمته إلىّ أقوى عصمة ، لبتت حبائله ، وقطعت قرائنه ، وانعكست

(١) من غاب عنه المطرب ٥ – ٢٣٤
(٢) اليتيمة ١/٥٠٨ ، منها خمسة أبيات فى الأذكياء ١/١١٢ (ط ١٣٠٦ هـ) .
(٣) سقط من الجمهرة .

محاسنه عندي [مقابح][1] ، وفضائله في نفسي معائب ، وما كنت إلا حرباً له وإن سالمني ، نابياً عنه وإن برّني ، هاجراً له وإن رصافى ، فكيف ظننتما بي مساعدة سريّ الشاعر على عداوتكما ، والرضا بطعنه عليكما ، ولم وضعتما عهدي في هذه المنزلة من الضعف ، ومودّتي في هذه الرتبة من الوهن ؟ ومتى رأيتماني أرمي أحداً سهماً في ذم صديقي ومساءته ، وأضرب صفحاً عن حراسته وخلافته ؟ وهل عرفتما من طبعي على طول الصحبة ، واختبرتما من مذهبي على تقادم الألفة ، ما يقرّبني عندكما من ظنة وهجنة ، ويدنيني [إلى وهاء][2] ذمام وعقدة ؟ [ألا][3] دفعتما ذلك لمّا قيل لكما ، وكذبتما مؤدّيه إليكما ؟ أما والله لو تواتر إليّ عنكما قبيح يرتفع فيه الشك ، ويقع بتناصره العلم ، لخرجت في قبوله عن الإجماع ، ورضيت في دفعه بالانفراد ، ولما مكّنت من ثقتي بكما تهمة ، ولا سلّطت على يقيني فيكما شبهة . وقد [كتبت][4] على عجلة ، لا أقدر [معها][5] على أكثر من [هذه][6] الجملة ، التي هذا الكتاب مشتمل عليها ، وناصح عني بها . وإذا اجتمعنا بإذن الله بلغت من عتابكما ما في نفسي ، وشفيت من تأنيبكما صدري ، بإذن الله . نعم أيدكما الله تأدّى إليّ عن سريّ كلامه فيكما ، وطعنه عليكما ، وأنا إذ ذاك لا أجمع بين اسمه وشخصه ، فكنت أتلقى الحكاية عنه بالردّ ، وألقم راويها الحجرَ وأعتدها جميعاً من ضرائر الحسناء ، ثم سُئلتُ استماع شعر مدحني به فلم أُجِب إلى ذلك إلّا بعد أن شرطت ألا يقرع سمعي منه ذكر لكما بسوء ولا إشارة فيكما إلى [غمز][7] ، فبذل من نفسه ذلك وتجاوزه إلى طلب الصلح وجنح إلى السلم وجمع بطاعتي في الإمساك عن كلّ سالف والإغماض عن كلّ ماضٍ وامتثال أمري [في الانتقال][8] عن عداوتكما إلى مودّتكما ، والانصراف عن مخالفتكما إلى موافقتكما ثم حضر فقال مثل الرسالة

(١) الجمهرة : قبائح . (٢) الجمهرة : من وفا . (٣) الرسائل : وإلا .
(٤) الجمهرة : كنت . (٥ و ٦) سقط من الجمهرة . (٧) الجمهرة : عمرو .
(٨) سقط من الجمهرة .

وأحضرنى قطعة من شعره فيها أشعار لكما فأخرجتُ ما عندى من نُسخها وجعلت أناظره ويناظرنى ، وأردّ عليه ويدّعى [عندى][1] فلما طال ذلك عرفته أنه قد نقص الشرط بيننا ، و [فسخ][2] الأصل الذى عليه اجتمعنا ، فعاد إلى الإمساك ووقف على انتظار الاجتماع . وظننت أنى قد عملت عملاً [تحمدانه][3] فى استصلاح فاسد عليكما ، وردّ شاذ عنكما إليكما . وأحضرنى عدّة قصائد إلى الوزير [أطال الله بقاءه][4] قد كان رفع نسخاً لها إلى جماعة من حاشيته [أيده الله][5] ليوصلوها ، فتخوفت أن تصل من جهة غيرى ويُعادَ عليه من هذا الخوض ما يُتحامل فيه عليكما ويخالفُ إيثارى فيكما ، فعرضت بعض القصائد وذكر له له بعض الحاضرين ما بينه وبينكما من هذه المشاجرة ، فقال [أدام الله عزّه][6] بهذا اللفظ : [قد كثر فى][7] الشعراء من يسمو إلى منازعتهما ويتمرس بمجاذبتهما ولم يصل هو إليه ولا عاد له ذكر عليه . هذا أيدكما الله شرح ما جرى ، والله ما حذفت [ما][8] أستحييكما منه ، ولا زدت ما أصانعكما به ، فإن كان مقبولا فقد اتفقنا ، وإن كان مردوداً [فالموافقة (المواجهة أو المرافعة ؟) توضح الشبهة][9] ، والدلالة تريح (تُزيح) العلة ، والاجتماع عن قريب يأتى على ذلك كله ، وإن اعتذرتما إلىّ من تسرّعكما إلى الريب ، وعجلتكما إلى الشك سامحتكما وقبلت عذركما إن شاء الله »

هذا وقد صدّق رأى الصابى فى الخالديّين شخصية أخرى لها مكانتها فى الأدب وهي الثعالبى بقوله : « ... ما منهما (أى الخالديّين) إلا محسن ينظم فى سلك الإبداع ما فاق وراق ، ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام والعراق »[10] ومما يجدر بالملاحظة فى هذا المقام أن الثعالبى إنما اكتفى

---

(١) سقط من الجمهرة . (٢) الجمهرة : نسخ . (٣) سقط من الجمهرة .
(٤و٥) سقط من الجمهرة . (٦) الجمهرة : أيده الله .
(٧) الجمهرة : مذكر من . (٨) الجمهرة : ولا . (٩) سقط من الجمهرة .
(١٠) اليتيمة ٥٠٨/١ .

بتسجيل ادعاء السرى سرقة أشعاره على الخالديّين دون أن يؤيده بكلمة من عنده[1] ولا نعرف أحداً شهد عليهما بذلك غير ابن النديم فإنه قال : « وكانا ... إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه حيًّا أو ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كانت طباعهما »[2] والآن سنحاول أن نتبين مدى الصحة واستقامة هذه الآراء فى حدود ما تناقل إلينا من الأخبار والأشعار على قلتها .

يبدو أن منشأ المشاجرة بين السرى والخالديّين لم يتعدّ المنافسة على الحظوة عند الملوك والأمراء ، فإن هناك قطعة فى ديوان السرى تنبئ عن تعاشر ودّ فى ظل واحد وهى هذه التى قالها « ليستدعى سعيد الخالدى إلى الحمام ويصفه :

أسعيد هل لك فى زيارة منزل ... تثنى عليه جوانح الزوّار
ينضو الحيىّ الوجه ثوب حيائه ... فيه فيخطر كالحسام العارى
متقلباً فى نعمة فضفاضة ... جعلت له عوضاً من الأطمار[3] الخ

ومما يليق بالذكر فى هذا الصدد أنه من المؤكد أن السرى لم ينجح ، مع طموح شديد يتجلى واضحاً فى شكاواه ، فى اللحاق بمنزلة الخالديّين فى تقدير كلّ من جمعه هو والخالديّين رحابه من الأمراء والأكابر . أو لا ترى سيف الدولة كأنه يستخف بمناوأته حينما يقول له : « أهج الخالدىّ الأكبر وانسبه إلى أنه كان يبيع دواء الفار وقد سميته قُنافاً »[4] أما ما يتعلق برأى الوزير المهلبى والصابى فقد مضى ما فيه مقنع . كذلك يتبين من فحص مناسبات شعر السرى أن كثيراً من الذين كان يلجأ إليهم بالتظلم أمثال سلامة بن فهد وأبى الخطاب المفضل بن ثابت الضبى وأبى الحسن على بن محمد الشمشاطى كانوا

(١) اليتيمة ...
(٢) الفهرست ١٦٩ وعنه فى الوافى بالوفيات للصفدى وقد علق ياقوت ٤/٢٣٧ على هذا الكلام بقوله : « وكلام ابن النديم هذا فيه موافقة للسرى الرفاء أو مجاراة له » .
(٣) ديوان السرى ص ١٨٠ . وانظر إلى قول ياقوت ٤/٢٣٦ : (وكان بينهما (الخالديين) وبين السرى الرفاء الموصلى ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضاغن الخ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٤٤ .

يشعرون بفضل الخالديّين عليه[1] كما أننا نقف على آخرين مثل بن المصب الملحى الشاعر وأحمد بن إبراهيم بن فهد[2] تناولهم السرى بالهجاء لاشتهارهم بصداقة الخالديّين والتعصب لهما — كل هذا يدل على أن حقده عليهما كان ينمو و يزداد بقدر شعوره بالتقصير والتخلف عن مدى نجاحهما ولا سيما إذا كان، كما يلوح لنا ، حسوداً بالطبع يحسد المتنبي[3] وينافس ويهجو لا الخالديّين فحسب بل النامى (الذى كان عند سيف الدولة تلو المتنبي فى المنزلة — اليتيمة ١ / ١٦٤ —) والتلعفرى أيضاً[4] .

---

(١) ديوان السرى ٣٢٥ : «يمدح سلامة بن فهد ويعتبه على إلحاقه الخالديين فى الشعر به :
«ألحقت بى فى الشعر خدنىْ لكنة بكرا ورواحا فى البلادة توأما» الخ .
٥٠ : «... يخاطب أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبى الكاتب وهو صديقهما» أى الخالدين .
٢١٩ : «يمدح أبا الحسن على بن محمد الشمشاطى ويعيبه (يعتبه) على انحرافه عنه إلى الخالديين وتفضيله أياهما» .

(٢) ديوان السرى ٣٩ و ٢٧٨ واليتيمة ١/٤٧٨ . ديوان السرى ١٤٣ : «يمدح أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويعرض بأحمد بن إبراهيم بن فهد وكان يتعصب للخالديين :
أشكو إليك حليفَ غارة شعرنا سيف الشقاق على ديباج أشعارى الخ .
إنما لم يقع إلينا ما ينبئ عن رأى أبى البركات لطف الله وأبى تغلب الغضنفر ابنى ناصر الدولة مع أننا قد عرفنا رأى معلمهما ونديمهما أبى الحسن الشمشاطى .

(٣) جاء فى الصبح المنبىْ ص ٧٠ أنه لما أنشد المتنبى سيف الدولة قوله :
وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
قال السرى هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ثم إنه حم فى الحال حسداً وتحامل إلى منزله ومات بعد ثلاثة أيام على أن السرى قد استعمله بقوله :
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاق
ومع أن هذه الرواية ربما تؤيد القول بوفاة السرى فى سنة ٣٤٤ (ابن خلكان ١/٢٠٢) . لكنه قول ضعيف مردود يرجح عليه القول الآخر بوفاته بعيد سنة ٣٦٠ (الخطيب ٩/١٩٤ ، سنة ٣٦٢ والنجوم الزاهرة ٤/٦٧ والمنتظم وابن كثير ١١/٢٧٤ ، سنة ٣٦٥ ابن الأثير ٨/٢٠٤) والرواية تبدو عليها مسحة من الصنعة والإغراق . على الرغم من هذا كله يمكننا أن نستدل بهذه الرواية على أن السرى عرف فى الناس بالحسد .

(٤) اليتيمة ١/٤٧٧ ، ٢١٦ . ديوان السرى ١٢١ : قال يعرض بالتلعفرى المؤدب :
بنافسنى فى الشعر والشعر كاسد حسود كبا عن غايتى ومعاند الخ .

ويتضح لنا من دراسة شعر السرى فى هجو الخالديّين أنه كان يتهمهما : (١) بادّعاء شعره والإغارة عليه و (٢) استرداد المديح أى مدح واحد بقصيدة ثم قلبها فى غيره(١) . أما التهمة الأولى فإنما نعرف لها مثالين : الأول ما تضمنته رسالة الصابى السالفة الذكر ، والثانى ما جاء فى ديوان السرى وهو ما يلى :

« وقال (أى السرى) فى أبى الحسن علىّ بن صدقة النحوى بعد موته ينسبه إلى الحياكة ، وقال السرى : حدثه أبو إسحاق إبراهيم الكاتب أن هذه القصيدة اللامية وأخرى الرائية فى معناها ادّعاها الخالديان فأخذ كل واحد منهما واحدة وسافرا بهما إليه ، قال قلت : الكلام واحد والمعانى قريبة بعضها من بعض وكأنها من كلام رجل واحد »(٢) .

هل نستطيع أن نجزم بشىء غير أن الصابى ، وكان ولا شك يتعصب للخالديّين ،

(١) ديوان السرى ٦٠ فى مدح سلامة بن فهد والتعريض بالخالدين وكانا مدحاه بقصيدة ثم قلباها فى غيره :

ولست كما (كن) يسترد المديح إذا ما كساه الكريم المثيبا
يحلى بمدحته غيره فيمسى محلى ويضحى سليبا

والمصدر نفسه ٦٩ : « يمدح الوزير المهلبى ويتظلم من الخالديين :

أضحى ابن فهد حريبا من محاسنه من بعد ما بذلت فيها حرايبه
وكيف تسحب وشيا قد تداوله قوم سواك فقد رثت سواحبه
لا يعجبنك دينار المديح ولم يضربه باسمك دون الناس ضاربه

(٢) ديوان السرى ص ٢٨٤ والقصيدتان اللامية والرائية هما :

اللامية : خطوب تجور ولا تعدل وليس لنا دونها موئل
يقول فيها : وإذ أنت فى القر لا تصطلى نشاطا وفى الحر لا تقشل
تباكر مطرداً متنه تقيا كما اطرد الجدول
ومن فوق رأسك غرّيدة صدوح كما صدح البلبل
ويمناك تبعث فى سرعة رسولا بيسراك يستقبل
ورجلاك تصعد إحداهما فواقا وإحداهما تنزل

والرائية (ص ١٧٥) :

ذكرناك فانهدّت مدامعنا تترى غزيرا من كل ذى كبد حرّى
يقول فيها : عهدناك مخصوصا من البيت كله بمنزلة الصدر أنت بها أحرى
تظل بها رجلاك فى قعر وهدة إذا ماعلت إحداهما هوت الأخرى

لم يقتنع بما ادّعاه السرى عليهما ؟ ولكن هناك دليلا آخر يثبت أنّ عدم الاقتناع بتلك التهمة ضد الخالديّين لم يكن مقصوراً على الصابى بل تعداه إلى كثيرين آخرين وإلّا لما احتاج السرى إلى « دس أحسن أشعارهما فى شعر كشاجم »[1] وقد أخرج الثعالبى طائفة من شعر الخالديّين الذى نسب فى بعض النسخ إلى كشاجم لهذا السبب[2]. ومما يهمنا أيضاً فى هذا المقام هاتان القطعتان اللتان يقول الثعالبى عنهما إنّ أباعثمان كتبهما لنفسه وأخيه كما أنهما وجدتا مكتوبتين بخط السرى بخطه هو الآخر فى مجلدة استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد[3]

— وفوقك صفراوان (أن) شئت غنتا ... كذا كرتى فرخين شفهما الذكرى
وكم أرسلت يمنى يديك رسولها ... فما لبثه حين صافحها اليسرى
عجبت له طرفا يجر عنانه ... ولا يتشكى الأين ما بعد المسرى
يشق نقى المتن جعدا كأنه ... غدير تمشى الريح من فوقه حسرى

(١) اليتيمة ١/٤٥١ : — « وكان (أى السرى) يدس فيما يكتب من شعره (أى شعر كشاجم) أحسن شعر الخالديين ليزيد فى حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلى سعره ويشنع بذلك على الخالديين ويغض منهما ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما » .

(٢) اليتيمة ١/٥١١ — ٥١٤

(٣) القطعة الأولى فى وصف الثلج واستهداء النبيذ :

يا من أنامله كالعارض السارى ... وفعله أبدا عار من العار
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ... ثوبا يزر على الدنيا بأزرار
نار ولكنها ليست بمحرقة ... نورا وماء ولكن ليس بالجارى
والراح قد أعوزتنا فى صبيحتنا ... بيعا ولو وزن دينار بدينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا ... نارا فإنا بلا راح ولا نار

اليتيمة ١/٤٥١ : ديوان كشاجم (بيروت ١٣١٣) ص ٩٠ ، الأربعة أبيات الأولى فى ديوان السرى، ص ١٧١ . أما القطعة الثانية فهى :

ألذ العيش إتيان الصبيح (القبيح) ... وعصيان النصيحة والنصيح
وإصغاء إلى وتر وناى ... إذا ناحا على زق جريح
غداة دجنة وطفاء تبكى ... إلى ضحك من الزهر المليح
وقد حديث تلاتمها الحيارى ... بحاد من رواعدها فصيح
وبرق مثل حاشيتى رداء ... جديد مذهب فى يوم ريح

الثعالبى : « هكذا بخط السرى والذى بخط الخالدى حاشيتى لواء » اليتيمة ١/٤٥١-٢ ويلاحظ أن الرواية فى ديوان كشاجم ص ٣٦ توانق وما جاء بخط السرى دون ما ورد بخط الخالدى . « القطعة غير موجودة فى ديوان السرى الذى بأيدينا .

ثم علق الثعالبي على هذه الحال بقوله : ولست أدرى أأنسبها إلى التوارد أم إلى المصالتة ، ولكن أمر التوارد أو المصالتة ليس مقصوراً على ما بين الخالديّين وبين السرى ، لأن الأبيات بأعيانها موجودة فى ديوان شعر كشاجم الذى بأيدينا مما يبعث على التساؤل : إما أن تكون الأبيات لكشاجم وإلا فالمرجح أنها للخالديّين لأن السرى هو الذى عُرِف بنسخ ديوان كشاجم والدسّ فيه ولا يتصور أن يدسّ المرء أبياتاً لنفسه فى شعر غيره ، وبناء على هذا فهل حاول السرى دسّها فى شعر كشاجم تارة وانتحالها لنفسه تارة أخرى ؟ ؟

هذا ما يتعلق بالغصب أى ادّعاء أبيات بأعيانها من الطرفين أما ما جاء من قبيل التوارد أو التسارق[1] فليس بمستغرب ولا مستنكر فى جميع الأحوال ولا يمكننا أن نجزم بشىء فيما يتعلق به ولا سيما إذا كان بين المتعاصرين ، إنما يكفينا أن نقبل ونعتمد على رأى الأعيان من أهل العصر ، وقد عرفنا أن كلهم أو جلهم كانوا يميلون إلى الخالديّين دون خصمهما كما أنه لم يقتنع لا الوزير المهلبي ولا سلامة بن فهد بالتهمة الأخرى — أعنى استرداد المديح — التى نابذ السرى الخالديّين بها فإنهما ما زالا محتفظين بمكانتهما عند الجميع على الرغم من التهم والمساعى التى بذلها السرى ضدهما

ومن الغريب حقًّا أنّ الأخبار التى بأيدينا لا تلقى ضوءاً على الخطة التى سار عليها الخالديان فى درء التهم والردّ على الهجاء ومقابلة الدسّ والعداء ، اللهم إلا ما جاء من أنهما ثلباه وطارداه من حلب والموصل إلى بغداد[2] . ولكن مما

---

(١) اليتيمة ١/٥٠٩ — ٥١١ و ٥٢٢ — ٥٢٢

(٢) يقول الثعالبى فى معرض الكلام من حياة السرى : «لما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ومدح المهلبى الوزير» اليتيمة ١/٤٥٢ وقد تبعه فى ذلك ياقوت (الأدباء ٤/٢٢٧) وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ٤/٦٧) ولا شك فى أن هذا من أغلاط الثعالبى كما نبه مرجليوث على ذلك لأن سيف الدولة توفى سنة ٣٥٦ أى بعد أربعة أعوام من وفاة المهلبى الوزير وقد أصاب الخطيب القول بأنه انحدر إلى بغداد بعد ما « آذاه الخالديان أذى شديداً وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره » ٩/١٩٤ .

لا شك فيه أنهما انتصرا على السرى فى كل مكان حتى أنهما قطعا رسمه من سيف الدولة وغيره ، وآل به الأمر إلى عدم القوت وركبه الدين فى بغداد[1] - وربما تمّ لهما ذلك بدون الالتجاء إلى شيء مثل ما ارتضاه السرى لنفسه من الوراقة والتدليس حينما مُنِيَ بالفشل فى محاولاته بالطرق السلمية -

ومع أن الخالديّين ربما اتهما بادّعاء شعر غيرهما حيًّا كان أو ميتاً فقد وردت الشهادة فى ذيل اللآلىء ص ١٠٤ بأنهما « ثقتان » ولا يخفى أنّ مرجع فضلهما فى الغالب ما عدا ملكة الشعر إلى كثرة الحفظ والرواية فإننا لا نراهما فى المجالس الأدبية إلا كمتممَين فاضلَين يتبعان ما يدور فيها ، ولا غرو فى ذلك ، فإن المجالس التى اتفق لهما شهودها فى بلاط سيف الدولة أو رحاب الوزير المهلبي كانت ولا شك تضم أعلاماً كباراً حق لهم أن يستأثروا بالكلام فى مواضيع العلم والأدب ، وكفى للحاضرين شرفاً أن يكونوا قد اجتمعوا بهم - أما منزلة الخالديّين فى الشعر فكانت ولا شك منزلة عالية جداً تلو الفحول أمثال المتنبي حسب رأى جهابذة العصر بدون أن نتكلف نحن الفصل فى هذا الأمر -

بقى الكلام عن مزايا الخالديّين فى حلبة التأليف وأكتفى فى هذا المقام بإيراد أسماء مؤلفاتهما الأخرى التى ورد لها ذكر فى كتب التراجم والمجاميع الأدبية :

كتاب التحف والهدايا[2] .

حماسة شعر المحدثين[3] .

كتاب أخبار الموصل[4] .

---

(١) الفهرست والوافى بالوفيات ص ٤٧ الجزء الأول طبعة استانبول ١٩٣١ وترجمة أبى عثمان سعيد مخطوطة دار الكتب المصرية وكشف الظنون ١/١٩١ ، أورد منه البيت الملحق فى « تاريخ حلب » نسخة دار الكتب المصرية تاريخ ١٥٦٦ المجلد الأول اللوحة ٦٩ -

(٢) المنتظم سنة ٣٦٢ ، الخطيب ٩/١٩٤

(٣) الوافى بالوفيات . « الهدايا والتحف » . منه نسخة بالية ناقصة فى دار الكتب المصرية رقم أدب ش ٨٣ جمعا فيه فى أحد عشر بابا ما قيل فى التحف والهدايا من النظم والنثر -

(٤) الفهرست والوافى بالوفيات

كتاب أخبار أبى تمام ومحاسن شعره .

اختيار شعر البحترى .

اختيار شعر ابن الرومى .

اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره[1] .

كتاب الديارات[2] .

اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه[3] .

هذا فضلًا عن ديوان شعرهما الذى مرَّ ذكره ، وقد جاء أيضاً فى الفهرست ١٦٩ أنهما عملا شعر الخباز البلدى ، وفى ابن خلكان ١ / ٤٦ أن أبا بكر الخالدىّ روى عن العباس الناى أماليه التى أملاها بحلب .

(١) الفهرست والوافى بالوفيات . وذكر صاحب الخزانة ٢/٣٩٦ و ١/٣/١٦٨ « شرح ديوان مسلم » للخالديين .

(٢) الوافى بالوفيات والأدباء لياقوت ٢/٢٠ .

(٣) الأشباه والنظائر ١٧٣ و ١٨٩

الأشباه والنظائر

ربما التبس الأمر على الباحثين فتكلموا عن « حماسة الخالديَّين » وهم إنما يعنون « كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين » للأخوين المؤلِّفَين(١) ، ولا أدلّ على رفع هذا اللبس مما جاء فى ختام الكتاب الأخير ، الذى هو موضوع مقالنا هذا(٢) ونصه كما يلى :

« قد اخترنا فى هذا الكتاب من أشعار العرب وبديع معانيهم وطريف استعاراتهم وتشبيهاتهم ما وقع فى جملة من الورق كثيرة ، وضمنته عدة أجزاء . . . . وفيما ذكرنا من ذلك مقنع وبلاغ ودلالة على فضل المتقدمين وجميع ما أتيناه [أثبتناه] فاختيار من أشعارهم المشهورة والمجهولة ، وما لنا إلّا الجمع والتأليف . . . . والغرض الذى ذكرناه وأوردناه من البينة [التنبيه] على محاسنهم فقد بلغناه ، والآن نبدأ بعون الله وحسن توفيقه فى اختيار أشعار المحدثين وغريب معانيهم وحسن استعاراتهم بعد هذا الكتاب ليشتمل الكتابان على الفنَّين من الشعر القديم والمحدث ، ونرجو أن يقع هذا الكتاب الآخر موقع الكتاب الأول من قلب من صنفناه من أجله أيده الله إن شاء الله تعالى » المغربية (رقم ١٧٠٩ أدب) بدار الكتب المصرية ، وما بين المعقفين من نسخة أخرى (٥٣٧ أدب) بالدار أيضاً .

ولا يخفى أن « اختيار أشعار المحدثين » هو الذى ذُكِر باسم « حماسة شعر

(١) كذلك فعل بروكلمن ١/١٤٧ .

(٢) تقدم هذا المقال وفاء بالوعد الذى قطعناه علينا فى المقال السابق «الخالديان» بمجلة المجمع العلمى للعربى (المجلد ٢٥ الجزء الأول) .

المحدثين » عند ابن النديم ١٦٩ والصفدى (الوافى بالوفيات رقم ١٢١٩ أدب بالدار ، ترجمة سعيد بن هاشم) أما الكتاب الذى نحن بصدد الكلام عنه فلم يعرف إلا باسم « الأشباه والنظائر » كما عند الصفدى أو « أشباه الخالديين » كما فى الحماسة البصرية (انظر المقدمة ، نسخة الدار رقم ٥٢٠ أدب) .

أما موضوع كتاب الأشباه والنظائر فيقول عنه الخالديان فى المقدمة ما يلى :

« وبعد ؛ فسح الله لنا فى مدتك ، ووفقنا لما نؤثره من خدمتك ، فإنا رأيناك بأشعار المحدثين كلفا ، وعن القدماء والمخضرمين منحرفا » .

وهذان الشريحان هما الأذان فتحا للمحدثين باب المعانى فدخلوه ، وأنهجا لهم طرق الإبداع (المآتى[1]) فسلكوه ، أما سمعت ، زاد الله قدرك علوًّا ورفعة وسموًّا ، قول الشاعر[2] ؟ :

فلو قبل مبكاها بكيتُ صبابةً إليها[3] شفيت النفس قبل التندمِ
ولكن بكت قبلى فهيّج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدِّمِ

ومن أمثالهم السائرة : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، إلا أنَّ أبا تمام لم يرضَ بهذا المثل حتى قال يصف قصيدة له[4] :

(١) زيادة فى النسخة رقم ٥٨٧ أدب بالدار والكلمة فى الأصل « للمعانى »

(٢) هو ابن رقاع يذكر حمامة والضمير فى « مبكاها » يرجع إلى «ورقاء» كذا فى الكامل ٤٠٥ والبصرية ١٦٧ .

(٣) بدله بالهامش «بسعدى» كما فى الكامل – وفى رواية «بليلى» – وفى شرح الحماسة ٦٧٥ (بلبنى) .

(٤) الديوان ١٢٨ . قارن ما أورده صاحب المثل السائر ٢٠٩ – « وأما الضرب الآخر من المعانى وهو الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة « هل غادر الشعراء من متردم » إلا أنه لا ينبغى أن يرسخ هذا القول فى الأذهان لئلا يؤيس من الترقى إلى درجة الاختراع بل يعول على قول المطمع فى ذلك وهو قول أبى تمام البيتان وعلى الحقيقة فإن فى زوايا الأفكار خبايا وفى أبكار الخواطر سبايا لكن قد تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الآخر أن يتبع الأول وليته تبعه ولم يقصر تقصيرا فاحشاً » . انظر أيضاً العمدة ٥٧ .

لا زلت من شكرِىَ فى حُلَّةٍ   لابسُها ذو سلب فاخرِ
يقول من تقرعُ أسماعَه :   كم ترك الأول للآخرِ

ومن المعنى الأول قول عنترة : « هل غادر الشعراء من متردمِ ؟ » أى ما تركوا كلاماً لمتكلّمٍ . فإذا كان عنترة ، — وهو فى الجاهلية الجهلاء ، و إمام الفصاحة الفصحاء — ، يقول مثل هذا القول ، فما ظنك بهذا العصر وقبله بمائتى سنة ؟ فلسنا بقولنا هذا ، أيّدك الله ، نطعن على المحدثين ولا نبخسهم تجويدهم ولطف تدقيقهم ، وطريف معانيهم ، و إصابة تشبيههم ، وصحة استعاراتهم . إلّا أنّا نعلم أنّ الأوائل من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم ، وعوّل عليها من قفا أثرهم ، وقلّ شعرٌ من أشعارهم يخلو من معانٍ صحيحة ، وألفاظ فصيحة ، وتشبيهات مُصيبة ، واستعارات عجيبة ، ونحن — أطال الله فى العزّ بقاءك ، وكبت بالذلّ أعداءك — نُضَمِّنُ رسالتنا هذه مختار ما وقع إلينا من أشعار الجاهلية ومن تبعهم من المخضرمين ، ونجتنبُ أشعار المشاهير لكثرتها فى أيدى الناس فلا نذكر منها إلّا الشىء اليسير ، ولا نُخليها من غرر ما رويناه للمحدثين ، ونذكر أشياء من النظائرِ إذا وردت ، والإجازات إذا عنَّتْ ، ونتكلم على المعانى المخترعة والمتبعة ، ولا نجمع نظائر البيت فى مكان واحد ، ولا المعنى المسروق فى موضع ، بل نجعل ذلك فى موضع ذكره . . . . » .

فالكتاب إذاً وليد ذلك النزاع بين التعصب للقديم والتحمس للمحدث ، الذى نشأ منذ « مائتى سنة » قبل تأليف الكتاب ، كما يقول الخالديّان والذى اشتد أواره فى عهد أبى تمّام والبحترى (القرن الثالث بالإجمال) حتى بلغ ذروته فى عصر المتنبى وقد جمعه هو الأخير والخالديين رحاب سيف الدولة فى الربع الثانى من القرن الرابع الهجرى . فهل من شك أنّ هذا الكتاب إنْ هو إلّا صدى حقيقى للاتجاه الأدبى

المعاصر ؟ وهل ينكر ما كان لذلك النزاع من الفضل الكبير فى إبراز مقاييس النقد الأدبى ؟ فإن النقد لم يزل عند العرب استحساناً ذاتيًا وتذوقاً شخصيًا بدون أىّ تعليل أو بسط دليل إلّا فى القليل النادر ، حتى اضطروا بدافع الانتصار لميولهم إزاء مذاهب معينة ، أدبية وفنية ، إلى الإفصاح عن بعض الموازين التى صدروا عنها والقواعد التى بنوا عليها أحكامهم فى المفاضلة بين شاعرين أو أكثر من عهد واحد أو عهدين مختلفين من حيث المجموع .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنّ الشعر العربى نشأ ومعانيه محدّدة ومآتيه مقررة ، وكلما تقدم به الزمن أصبحت تلك المعانى — وكذلك الحال مع الديباجة والشكل — بمنزلة الجداول من حجر ، ولو كان الحجر مرمراً يزيد الماء صفاء وبروق عين الناظر ، غير أنه لم يكن لطبع الشاعر ، مهما كان قويًا ونابًا ، إلّا أن يجرىَ بين عبرَيها . ومن الحقيقة الثابتة أيضاً أنه على الرغم من استنكار « صفة الطلول » والسخرية بـ « بلاغة القدم » التى عبّر بها أبو نواس عن سخط كثيرين أمثاله بدون أن يجترئ هو أو أحد غيره على التخلص فعلًا مما كان يشكو منه — على الرغم من ذلك فإن الذوق العربى العام لم يستسغ أبداً إلّا ما جاء على رسم الأوائل ، وكانت النتيجة أنّ المحدثين من الشعراء وجدوا أنفسهم فى حرج وضيق مجالٍ ربما لا يتأتى لنا أن نصوّره أحسن مما صوّره القاضى الجرجانى حيث يقول :

ولو أنصف (أى رياش القيسى ، المعروف بالتحامل على المتأخرين) أصحابَنا هؤلاء (المحدثين) لوجد بسيرهم أحق بالاستكثار ، وصغيرهم أولى بالإكبار ، لأنّ أحدهم يقف محصوراً بين لفظ قد ضيق مجاله ، وحذف أكثره ، وقلّ عدده وخطر معظمه ، ومعان قد أخذ عفوها ، وسبق إلى جيدها ، فأفكاره تنبث فى كل وجه ، وخواطره تستفتح كل باب ، فإن وافق بعض ما قيل أو اجتاز منه بأبعد طرف ، قيل سرق بيت فلان وأغار على قول فلان ، ولعل

ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ، ولا مرّ بخلده ، كأنّ التوارد عندهم ممتنع ، واتفاق الهواجس غير ممكن . وإن افترع معنى بكراً ، أو افتتح طريقاً مبهماً ، لم يُرض منه إلّا بأعذب لفظ وأقربه من القلب وألذّه في السمع ، فإن دعاه حبّ الإغراب وشهوة التنوق إلى تزيين شعره وتحسين كلامه فوشحه بشيء من البديع وحلاه ببعض الاستعارة ، قيل هذا ظاهر التكلف ، بيّن التعسف ، ناشف الماء ، قليل الرونق . وإن قال ما سمحت به النفس ورضي به الهاجس قيل لفظ فارغ وكلام غسيل ، فإحسانه يتأول ، وعيبه تتمحل ، وزلته تتضاعف ، وعذره يكذّب ... » [الوساطة — صيدا ، ١٣٣١ هـ — ص ٤٨ — ٤٩] .

ثم يقول أيضاً : « ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه من (السرق) إلى المعذرة ، وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها وأتى على معظمها ، وإنما يحصل على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها ، واستهانة بها ، أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها ، وتعذر الوصول إليها ، ومتى أجهد أحدنا نفسه ، وأعمل فكره ، وأتعب خاطره وذهنه ، في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً ، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئ أن يجده بعينه ، أو يجد له مثالاً يغض من حسنه ... » الوساطة ١٦٧ .

على كل حال فالظروف التي مضى الإلماع إليها هي التي اضطرت الشعراء في العهود المختلفة إلى معاودة معانٍ بعينها وتناولها في قوالب متقاربة أو على الأكثر متميزة بنقص أو زيادة أو تحسين في الصياغة واللفظ ، وبالتالي أصبح من الطبيعي ، نظراً إلى هذه الظاهرة الأصيلة في الذوق العربي ، أن يتجه النقاد إلى البحث عن الأخذ أو السرقة ، ولذلك نرى ، ولا غرو فيه ، أنّ المعنيّين بالشعر تنبهوا إلى هذه الناحية منذ البدء كما يتجلى ذلك في أقوال أوائلهم المبعثرة في مجاميع الأدب حتى إذا جاء أوان التدوين والتهذيب والأخذ بالطرق

العلمية ، بدأ المؤلفون يطيلون الكلام عن المعانى التى سبق إليها الشعراء كما فعل أحمد بن أبى طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ ﻫ فى كتابه المنثور والمنظوم (دار الكتب المصرية رقم ٥٨١ أدب) . ولم تلبث « السرقات » أن أصبحت الشغل الشاغل لأنصار القديم والحديث حينما حمى وطيس الخلاف بين الفريقين منذ أيام البحترى وأبى تمام إلى عهد المتنبى كما سبقت الإشارة إليه ، فظهرت فصول بل كتب مستقلة تترى عن سرقات هؤلاء الثلاثة هم وغيرهم كأبى نواس[1] .

وجملة القول أن السرقة — وأعنى بها معالجة اللاحقين المعانى التى تناولها السابقون من الشعراء — كانت ناحية من نواحى النقد و باباً من أبواب العلم بالشعر والأدب نال فى اللغة العربية من الأهمية ما لم تكن له فى كثير من لغات العالم .

وكتابنا يتعلق بهذا الموضوع بالذات فإن الغرض المقصود منه هو إبراز فضل السبق إلى المعانى الشعرية للمتقدمين والمخضرمين[2] وذلك بعقد المقارنة بينهم و بين المحدثين عن طريق التتبع وإيراد الأشباه والنظائر المعانى المختلفة من كلام هؤلاء وهؤلاء . ولا يخفى أنّ الطريقة القديمة المعقولة ، والتى تتفق وطبيعة سير الشعر العربى بالأخص ، المقارنة بين شاعرين أو فئتين من الشعراء هى الرجوع إلى ما جادت به قرائحهما معنى معنى لا قصيدة قصيدة وقافية وقافية .

وحسبنا فى هذا المقام أن الآمدى حاول الموازنة بين أبى تمام والبحترى على الأساس الثانى فتعذر عليه حتى اعترف بالفشل ومما يميز كتابنا أيضاً أنّ مؤلفيه لا يرسفان فى قيود التعصب لشخصية معينة ، و إن كانا شديدَى الإيمان بالفكرة التى يدور الكتاب حولها فإن ذلك لا يمنعها من إعطاء المحدثين حقهم كلما اقتضى المقام والدراسة المستقيمة .

---

(١) لقد ذكر المرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ فى مقدمة « الموشح » أنه أتى بكثير من سرقات معانى الشعر فى كتاب آخر له اسمه « كتاب الشعر » .

(٢) لقد ذكر صاحب المثل السائر ٢٠٩ — ٢١٠ كتاباً باسم «مقدمة ابن أفلح للبغدادى» الذى ذهب إلى أن المعانى المبتدعة ليس للعرب منها شىء وإنما اختص بها المحدثون . فالبغدادى إذن يمثل النقيض لرأى الخالديين إلا أن رأيه مردود بالإجماع

منهج الكتاب :

أما منهج الكتاب فهو فى غاية البساطة لا يعدو عرض قطعات مختارة من شعر المتقدمين والمخضرمين إنما يتخللها إيضاحات لبعض النقط الغامضة وتنبيهات على فوائد لا تخلو من الأهمية مع إيراد الأشباه والنظائر ، كلما عنّت ، للمعانى التى تضمنتها تلك القطعات المختارة . وهذه الأشباه والنظائر ، التى هى الميزة الكبرى للكتاب ، لا تقتصر على كلام المتقدمين أو المخضرمين فحسب بل تشمل المحدثين حتى المعاصرين أيضاً[1] وبذلك يتسنى للقارئ إن يدرك فضل السبق الذى كان للطائفة الأولى مع تقدير مدى التقصير أو البراعة فى الأخذ التى امتازت بها الطائفة الثانية فينصف الطائفتين كل واحدة منهما من الأخرى فى وقت واحد بناء على شواهد موضوعة بعضها إلى بعض فى نسق واحد .

والكتاب خلو من أية محاولة للتبويب أو تيسير الاطلاع للناظر فيه كما أخذ عليه ذلك صاحبُ الحماسة البصرية فقال : « ولم يقيدا (الخالديان) الكتاب بترجمة أبواب فمدت فرائده متبددة الانتظام مستصعبة على الحفظ والإفهام » [نسخة الدار رقم أدب ٥٢٠ ص ٢] ولم يلتزم المؤلفان ، كما جاء فى المقدمة ، حتى بجمع النظائر كلها فى موضع واحد ، بل فملاً ذكرا نظائر معنى واحد فى مواضع مختلفة . هذا وقد تكرر فى الكتاب ما يفيد أنهما إنما قصدا ذكر ما كان نادراً متجنبَين الإكثار مما هو شائع بين الناس ، وقد نفيا صراحة كل ادعاء باستقصاء النظائر بقولهما فى آخر الكتاب : « ولعل آخر ممن يتصفحه « الكتاب » يعرف النظير لشىء مما ذكرناه وهو لا يعرف غيره فيشنع علينا ويقول تركوا نظائر ولم نشرط أنا نأتى بجميع النظائر ؛ ولعلنا أعرف بما خرّجه

(١) انظر قول الخالديين «قصدنا أن نمدد فى هذا الكتاب قطعة فى كل نوع من أنواع الشعر» وأيضاً « أنا شرطنا ألا نقدم فى هذا الكتاب إلا أشعار المتقدمين ثم نأتى بعد ذلك بالنظائر المحدثين والمتقدمين » . المقدمة ص ٢٣٢ .

الزارى علينا منه إلاّ أنا تركناه لمعنى ويجوز ألا نعرفه لأنّا لم نُحِط بجميع العلم ، والشعرُ أكثر مما يحصى » والغرض الذى ذكرناه وأردناه من التنبيه على محاسنهم قد بلغنا ... » وما من شك أنّ منهج الكتاب إن دلّ على شيء فهو شدة تركيز الاهتمام بهذا الغرض الذى تناولاه بالتفصيل فى المقدمة كما مرّ .

ويتّسم كتابنا على العموم بطابع التأليف المحض كما يتجلّى ذلك فى أبيات أو قطعات من الشعر تكررت باختلاف فى الرواية تارة وباختلاف فى نسبتها إلى قائليها تارة أخرى وبإهمال نسبتها فى موضع والنص عليها فى موضع آخر تارة أخرى . ولعلّ ذكر نظائر معنى واحد فى مواضع متعددة أيضاً يرجع بعض الشيء إلى هذا السبب ، وفى مواضع من الكتاب تتبيّن أيضاً توافق بضع قطعات متوالية لما ورد فى المفضليات والبيان والتبيين للجاحظ مثلاً ، كما أننا نلاحظ فى أوّل الكتاب مقتطفات متوالية من كلام شاعر بعينه كأنّ المؤلفَين تناولا ديواناً إثر ديوان . على كل حال فما لا شك فيه أن الخالديين إنما جمعا من المعارف المتداولة فى عصرهما وإن لم يذكرا غير كتاب البديع لابن المعتز وصاحب المنطق والحاتمى وابن قتيبة فإنهما كفّرا عن ذلك باعترافهما الصريح فى آخر الكتاب بكل تواضع :

« وجميع ما أثبتناه فاختيار من أشعارهم المشهورة والمجهولة ، وما لنا إلاّ الجمع والتأليف ، ولعلّ غيرنا ممن يقرأ هذا الكتاب يرذل شيئاً [مما] اخترناه ويهجن شعراً [شيئاً] نقلناه وهذا غير مزر بنا ولا ناقص لنا لأن لكلّ إنسان اختيارا ... »

وخلاصة القول أنّ الكتاب ليس مجموع شعر القبائل ولا مجموع قصائد طوال ولا مجموع قطعات مختارة مبوبة على طراز حماسة أبى تمام والبحترى ، بل هو مجموع قطعات من شعر المتقدمين والمخضرمين ونظائرها من شعرهم والمحدثين ، بما فيهم المعاصرون ، مع ملاحظة أن تلك القطعات اختيرت ورتبت ،

من غير تبويب ، لإبراز فكرة معينة ، فكتابنا إذاً يختلف أيضاً عن كتاب الزهرة لأبى بكر محمد بن أبى سليمان داوُد الاصبهانى (— ٢٩٧) الذى هو مجموع أبيات من كلام المتقدمين والمحدثين حول موضوع واحد أى الحبُّ .

وقد قال الدكتور نيكل فى تقدمته لكتاب الزهرة إنه يمثل همزة الوصل بين الحماستين وكتاب الأغانى . ولعلّ كتابنا هذا ، بما يحتوى عليه من أخبار الشعراء (انظر مثلاً أخبار القتال الكلابى وسحيم بن عبد بنى الحسحاس وابن الدمينة وأبى حية النميرى) وآراء أدبية كثيرة متناثرة ، أقوى شبهاً بكتاب الأغانى ولا يخفى أن الكتابين صدرا فى عصر واحد ، عصر الوزير المهلبى وسيف الدولة .

ومع أنّ أبا هلال العسكرى ، مثله كمثل كثيرين آخرين ، يتعرض كثيراً لسرقات الشعراء وتناولهم لمعنى واحد ، إلاّ أنّ كتابه « ديوان المعانى » لا يخرج عن نطاق كتب الحماسة من حيث البنية . أفلا يحق لنا إذن القولُ بأنّ كتابنا فريد فى بابه ، لم نعرف مؤلفاً خاصاً بتلك النظرية العامة التى هى مدار « الأشباه والنظائر » مع أنّ كتباً كثيرة تناولت موضوع السرقات بوجه عام قبله و بعده . هذا فضلاً عن أنه يحفظ لنا من غرر الشعر قدراً لا يستهان به خلت منه المصادر الأخرى التى بأيدينا .

من الذى قدّم إليه الكتاب ؟

لم يطلعنا الخالديان على اسم ذلك الأمير الكلف بالمحدثين الذى حاولا بتأليفهما هذا الكتاب أن يخدماه ويذكّراه بفضل المتقدمين والمخضرمين . ويرجح عند الرجوع إلى ما وصل إلينا عن حياة المؤلفَين وصلاتهما بكبار رجال العصر أنّ ذلك الأمير إما أن يكون سيف الدولة أو الوزير المهلبى ، فالأمر ينحصر بينهما ؛ إلاّ أنه ورد فى الكتاب ذكر لسيف الدولة بطريقة تدلّ على أنه غير الذى قدّم إليه الكتاب ؛ بل و إن الخالديّين ربما كانا

قد اعتزلا خدمته (على حد مغاضبة ، كما يقول أبو العلاء المعرّى) وقت تأليف هذا الكتاب ، فإنهما يقولان فى معرض إيراد الأبيات فى وصف القلعة :

« ولنا فى صفة القلعة أيضاً قصيدة أنفذناها إلى الأمير سيف الدولة [رضى الله عنه] إلى الشام ثم يقولان : « ولنا إليه [رحمه الله] من قصيدة أخرى فى هذا المعنى أنفذناها إليه » (المغربية بالدار ص ٢٦٤ والأبيات من القصيدتين للخالديّين فى النويرى ١/٤٠٤ — ٤٠٥) .

لعلّ كلمات الدعاء [رضى الله عنه] و [رحمه الله] من إقحام الناسخ فى عهد متأخر فإنها لم ترد فى الموضعين من النسختين الأخريين بالدار . وعلى هذا فالإشارة إلى « الأمير سيف الدولة » لا تليق أبداً بمكانة من يَمُتُّ إليه المؤلفان بالخدمة ، ولا سيما إذا عرفنا أن الخالديّين ، ما داما فى خدمة سيف الدولة ، كانا يذكرانه بـ « مولانا أيده الله » و « مولانا أدام الله تأييده » (انظر الصبح المنبى ، على هامش شرح العكبرى — الشرفية ١٣٠٨ هـ — ١/١٧٣) وهذا هو ما يقتضيه العرف والتقاليد من غير شك كما جرى عليه الخالديان فى مخاطبة الأمير الذى لم يسمياه فى المقدمة .

ثمّ يلاحظ أنّ الخالديّين لم يذكرا المتنبى ولو مرة واحدة حينما خصّا أبا تمام والبحترى بالذكر عشرات المرّات . هذا على الرغم من أنهما قد وعدا فى المقدّمة بعدم إخلاء الكتاب « من غرر ما روياه للمحدثين » وفعلاً قد أورد لعدد غير قليل من تلك الطبقة بما فيها المعاصرون ، أضف إلى ذلك أنّ الخالديّين عاشرا المتنبى وعرفاه عن قرب وتناقشا معه أيام صلته بسيف الدولة (أى من ٣٢٧ إلى ٣٤٦هـ) ثم ما زالا يتتبعان أخباره ويستكتبان تفاصيل اغتياله (انظر الصبح المنبى ١/٢٢٨) فيما بعد . أفلا يجدر بنا إذن أن نتساءل : هل يمكن لأحد أن يعمد إلى الموازنة بين المتقدمين والمحدثين فيسقط المتنبى من اعتباره ويذكر الصنوبرى والنوبختى

مثلاً ؟ إنما يغلب على الظن أن إهمال المتنبي أمر متعمد ولعل السبب في ذلك واضح أي ما هو معروف من كراهية الوزير المهلبي له . لقد كان الوزير المهلبي جاوز حد التعصب على المتنبي في النقد العلمي حتى أنه كان يعاديه عداء شخصياً ناشئاً ، في أغلب الظن ، من امتعاضه من كبرياء الشاعر — ذلك الامتعاض الذي دفعه إلى تأليب أهل بغداد عليه حتى كان من الحاتمي ما كان . والحاتمي قد ذكره الخالديان في الكتاب كما سبقت الإشارة إليه .

لكن يجب أن أتعرض هنا لاحتمال آخر وهو أن يكون الكتاب قد ألف قبل أن يلتحق الخالديان بسيف الدولة كما يؤيد ذلك انتفاء ذكر كثيرين آخرين من شعراء البلاط بحلب مع المتنبي ؛ إلا أننا في هذه الصورة أيضاً لا يسعنا غير القول بأنه قدم للوزير المهلبي ، وذلك لأن وقت تأليف الكتاب لابد وأن يكون متأخراً عن سنة ٣٣٠ هـ وهي السنة التي فيها خلع المتقي لقب « سيف الدولة » على عليّ بن عبد الله بن حمدان (كذا في النجوم الزاهرة) ولم نعرف أحداً ، ما عدا سيف الدولة ، انقطع إليه الخالديان انقطاعهما إلى الوزير المهلبي لا قبل سفرهما إلى الشام ولا بعد رجوعهما من هناك . هذا مع الاعتراف بأن ما وصل إلينا عن حياة الخالديَّين نزر يسير لا يشفي الغليل .

نسخ الكتاب :

لقد اعتمدنا في النشر على ثلاث نسخ وهي كالآتي :

(الأولى) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٠٩ أدب في ١٩٦ ورقة مكتوبة على الجانبين ، بالخط المغربي ، مسطرتها ١٦½ سم × ١١ سم ، ٢١ سطرا في الصفحة ، كتابتها لا بأس بها إلا أن الناسخ ربما لم يكن واثقاً بصحة قراءته لبعض الكلمات فتركها غامضة ، ويظهر أنه بدأ ينسخ على مهل ثم أسرع في النصف الأخير حيث جاء الاهتمام بالشكل أقلّ مما سبق ، وقد جرى عليها قلم آخر

وصحح بعض تصحيفاتها مع آثار الحك في كثير من المواضع ، وبما أن الورقة الأولى منها قد التصقت بالجلد ، لم نتمكن من قراءة ما جاء على الصفحة الأولى من العنوان والكتابات الأخرى وقد ثبت بآخرها ما يلي :

« قال كاتب الأصل ، المنقول منه هذا ، كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه مودود بن أبي الفضل الكردي حامداً لله على نعمه ومصلياً على محمد نبيه الكريم وعلى آله . وافق الفراغ منه بكرة الثلثاء سابع ذي القعدة من سنة ثلاث وستمائة هـ وقد وافق الفراغ من هذه النسخة المباركة ظهر يوم الأحد سادس ربيع الثاني من عام تسعة وثلثمائة وألف على يد كاتبه العبد الفقير المضطر إلى رحمة ربه القدير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن التلمودي الحروري الحسني غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين والمسلمات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وقد نقلتها من نسخة سقيمة كثيرة التصحيف والتحريف والمحو مع قدمها يسر الله لناسخه تصحيحها عليها آمين هـ ... » .

وقد أبقت الحوادث والأيام على النسخة الأم بخط مودود بن أبي الفضل الكردي فهي لا تزال محفوظة بخزانة عاشر أفندي باستانبول برقم ٩١٧ . ولقد كان سروري بالغاً حينما أنبئت أن الإدارة الثقافية بالجامعة العربية أحضرت ، مع ما أحضرته أخيراً من صور نفائس المخطوطات ، صورة مصغرة على Microfilm من تلك النسخة الأصلية ، فتمكنت من معارضة نسخة الدار بها وهي في ٥٣٨ صفحة في كل صفحة ١٧ سطراً وخطها يماثل خطَّ بنتها بالدار .

وهذه النسخة المغربية بالدار رمزنا إليها بحرف (م) .

(الثانية) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٧ أدب ، مخطوطة بقلم معتاد ، في ١٥١ ورقة ، مسطرتها ٢١½ سم × ١٠ سم ، ٢٧ سطراً في الصفحة ، كانت الورقة الأولى منها قد ضاعت وسد النقص نقلاً عن النسخة الآتي

ذكرها وقد ثبت عليها «مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضاف فى ٢٣ يونيه سنة ٨٣» .

وجاء بآخرها ما يلى :

« اتم كتابته العبد المفتقر الحسين بن المصطفى الحلبى .

الحمالى الحسينى فى قصبة فالنج فى الثالث عشر من رجب .

المرجب سنة ١٠٨٤ والحمد لله وصلى الله على من لا نبى بعده وسلم » .

وهى من حيث المجموع نسخة جيدة مستقلة تماماً عن المغربية السالفة الذكر وقد رمزنا إليها بحرف (ا) .

(الثالثة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٧ أدب ، يظهر أنها نسخة حديثة جداً ، مخطوطة بقلم معتاد ، فى ٢١٤ ورقة ، مسطرتها ١٩½ سم × ١٠½ ، ٢١ سطراً فى الصفحة ، وقد ثبت عليها أيضاً « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضاف فى ٢٣ يونيه سنة ٨٣ » وهى من كتب الفقير إلى الله تعالى محمود سامى الشهير بالبارودى » (بل ربما استنسخه البارودى لنفسه فى حياته) ولم يثبت بآخرها غير جملة واحدة :

« قد قوبل على أصله وصحح حسب الطاقة »

ومع أنا لم نعرف شيئاً عن الأصل المنقول منه إلاّ أنه يتأكد لدينا بعد المقابلة أنّ هذه النسخة أيضاً مستقلة عن النسختين اللتين سبق ذكرهما وتمتاز بكثرة التصرفات من المصحح بغية الإصلاح فى مواضع التصحيف أو الشك وقد رمزنا إليها بحرف (ب) .

ومما يجدر بالملاحظة (أولاً) أن النسخة (ا) غير مجزّأة بل هى كلها جزء واحد فى حين أن النسخة (ب) مجزأة إلى جزئين إلاّ أنه قد نص فيها على انتهاء الجزء الأول وابتداء الجزء الثانى فى موضعين : أولاً بعد أبيات عمارة

ابن عقيل (المغربية ص ١٣٦) وثانياً قبل ذكر المرقش الأكبر (م ٢١١) وقد تنبه الناسخ بل المصحح إلى هذا فأثبت بالهامش فى الموضع الأول « هكذا فى الأصل مع أنّ أول الجزء الثانى سيأتى فلعله أراد أولاً أن يجعل هنا آخر الجزء الأول ثم بدا له فزاد عليه وجعله بعدُ إلاّ أنه لم يتنبّه على ذلك » أما النسخة (م) فقد ثبت بهامشها ما يؤكد انتهاء الجزء الأول فى الموضع الأول دون أن يذكر شىء فى الموضع الثانى . لعلّ النساخ هم الذين أبقوا الكتاب جزءاً واحداً أو قسموه إلى جزئين متكافئين أو غير متكافئين حسب ما بدا لهم دون أن يكون ذلك من عمل المؤلفَين ، يؤيد هذا الرأى أنّ الكلام جارٍ غير منته فى الموضع الأول بحيث يبعد أن يكون انتهاء الجزء هناك .

(ثانياً) تكرّق مقابلة الصفحة الأولى من النسختين (م و ب) (وهذه الصفحة تنقص النسخة ا) للدلالة على أنهما مختلفتان .

(ثالثاً) كثير من البياضات والسقطات التى وردت فى (م) لا توجد فى النسختين الأخريين .

(رابعاً) النسخة (ب) تورد بعض زيادات كل من النسختين الأخريين إلاّ أنها لا توافق أية واحدة منهما بالاستمرار وهكذا الحال فيا يتعلق بالاختلاف فى الرواية عامة .

فهذه هى النسخ التى اعتمدنا عليها . وهاك فيا يلى النسخ التى عرفنا بوجودها إلاّ أنا لم نتمكن من الإفادة منها :

(١) يخبرنى شيخى العلامة عبد العزيز الميمنى أنّ هناك نسخة من الكتاب بكتبخانة أسعد افندى من مكاتب السليمانية فى استنبول نسخت سنة ١٠٨٣ ﻫ رقم ٢٩٣٣ .

(٢) كتب القس سليمان صائغ فى تاريخ الموصل الجزء الثانى (بيروت ١٩٢٨ م) ص ٦٢ أن نسخة من الكتاب فى مدرسة حسين باشا الجليلى فى الموصل ولم أجد لها ذكراً فى كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود بك آل الجلبى .

(٣) بالمكتبة التيمورية نسخة من الكتاب (الشعر ٢٦٢) إلاّ أنها عديمة الجدوى لأنها منقولة من النسخة (ب) كما ثبت ذلك بآخرها .

وفى الختام أرى من واجبى أن أزجى أصدق الشكر إلى أستاذى ومرشدى العلامة عبد العزيز الميمنى رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بعليكره (الهندستان) وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، الذى لا يزال يرسل الىّ سحائب من توجيهاته بعد أن رمتنى الأقدار بعيداً عن بحر علمه ، كما أننى أعترف بفضل المستشرق الشهير الدكتور كرنكو بكمبريج الذى لقيت منه بعض طلباتى عناية تامة .

القاهرة — الدكتور محمد يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم][1]

الحمد لله الواحد بلا كيفية تقع بها الإحاطةُ عليه ، والأزليّ بلا وقت تنسب الصفاتُ إليه ، حمداً يُورِد من جليل نعمه ، وجزيل قسمه[2] ، مشرباً عذباً ومَسحباً رَحباً ، وصلى الله على [سيدنا][3] محمد ما أورق شجر ، وأينع ثمر ، وعلى الطاهرين[4] من عترته وسلّم تسليما .

وبعدُ فسح اللهُ لنا فى مدّتك ، ووفقنا لما نؤثره من خدمتك ، فإنّا رأيناك بأشعار المحدَثين كلِفاً ، وعن القدماء والمخضرمين منحرفاً ، وهذان الشريجان هما اللّذان فتحا للمحدَثين باب المعانى فدخلوه ، وأنهجوا لهم طرق الإبداع[5] فسلكوه ، أمّا سمعتَ ، زاد اللهُ قدرَك علوًا ورفعةً وسموًا ، قولَ الشاعر[6] :

١ فلو قبل مبكاها بكيتُ صبابةً إليها[7] شفيتُ النفسَ قبلَ التندّمِ

٢ ولكن بكتْ قبلى فهيّج[8] لى البكا بُكاها فقلتُ : الفضلُ للمتقدِّمِ

---

(١) زيادة فى م . (٢) فى م « جزيل نعمه وجزيل [الهامش « جليل »] قسمه » .

(٣) زيادة فى ب . (٤) م « الطاهرات » بدل « الطاهرين » .

(٥) زاد فى ب : (الإبداع) « للمعانى » .

(٦) هو ابن الرقاع يذكر حمامة والضمير فى « مبكاها » يرجع إلى « ورقاء » كذا فى الكامل ٥٠٤ وانظر البصرية ١٦٧ ونسب البيتان إلى نصيب فى الحيوان ٣/٢٠٦ .

(٧) إليها : بدله بالهامش « بسعدى » كما فى الكامل (وفى رواية « بليلى ») وفى شرح الحماسة ٥٦٧ « بليلى » . (٨) بهامش ب « ن : فهاج » .

ومن أمثالهم السائرة : ما ترك الأول للآخر شيئاً[1] ، إلاّ أنّ أبا تمام لم يرض بهذا المثل حتى قال يصف قصيدةً له[2] :

١ لا زلت من شكرىَ فى حلة لابسُها ذو سلب فاخرِ
٢ يقول من تقرعُ أسماعَه كم ترك الأولُ للآخرِ

ومن المعنى الأول قول عنترة : « هل غادر الشعراء من متردّم ؟ »[3] أى ما تركوا كلاما لمتكلّم . فإذا كان عنترة — وهو فى الجاهلية الجهلاء ، وإمام الفصاحة الفصحاء — يقول مثل هذا القول فما ظنّك بهذا العصر وقبله بمائتى سنة ؟ فلسنا بقولنا هذا ، أيدك الله ، نطعن على المحدثين ولا نبخسهم تجويدَهم ولطف تدقيقهم وطريف معانيهم و إصابة تشبيههم وصحة استعاراتهم . إلا أنّا نعلم أنّ الأوائل من الشعراء رسَموا رسوماً تبعها مَن بعدَهم ، وعوّل عليها مَن قفَا أثرَهم ، وقلّ شعرٌ من أشعارهم يخلو من معانٍ صحيحة ، وألفاظ فصيحة ، وتشبيهات مصيبة ، واستعارات عجيبة ، ونحن — أطالَ اللهُ فى العزّ بقاءك ، وكبت بالذلّ أعداءك — نضمّن رسالتنا هذه مختار ما وقع إلينا من أشعار الجاهلية ومَن تبعهم من المخضرمين ، ونجتنب أشعار المشاهير لكثرتها فى أيدى الناس فلا نذكر منها

---

(١) انظر العمدة ١/٥٧ . (٢) د ١٢٨ .

(٣) انظر العمدة ١ / ٥٧ الباب فى القدماء والمحدثين ، وقال صاحب المثل السائر ٢٠٩ : « وأما الضرب الآخر من المعنى وهو الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة : هل غادر . . . متردم ، إلا أنه لا ينبغى أن يرسخ هذا القول فى الأذهان لئلا يؤيس من الترقى إلى درجة الاختراع بل يعول على قول المطمع فى ذلك وهو قول أبى تمام (البيتان) ، وعلى الحقيقة ، فإن فى زوايا الأفكار خبايا ، وفى أبكار الخواطر سبايا ، لكن قد تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الآخر أن يتبع الأول . وليته تبعه ولم يقصر عنه تقصيرا فاحشا » .

إلا الشيء اليسير ولا نُخْليها من غرر ما رُويناه للمحدثين ، ونذكر أشياء من النظائر إذا وردت ، والإجازات[1] إذا عنّت ، ونتكلم على المعانى المخترعة والمتبعة ولا نجمع نظائر البيت فى مكان واحد ولا المعنى المسروق فى موضع ، بل نجعل ذلك فى موضع ذكره ، وإن كنا نعلم أنك — أدام الله تأييدك — أعلمُ بما نحمله إليك ، ونعرضه عليك ، منّا . ومن أين لنا قرائح تنتج مالا تزال تَرْويناه ، وتسألنا عنه ، من دقيق المعانى وطرائف السرقات . ولقد تأتّى لك — أيدك الله — فى بيتَى أبى تمام والبحترى على غموض المعنى وبُعده فى النوعين من دقة النظر ولطيف الفكر ما لا يتوهم أنّه يطَّرِدُ لِسِواكَ ولا يعِنُّ لغيرك ، وهو أنك — أيد الله عزّك — قلتَ لنا : من أين أخذ البحترى قولَه ؟[2] :

رَكِبا القَنا من بعد ما حملا القنا ... فى عسكر متحامل فى عسكرِ

فلم يكن عندنا فيه شيء غير الاستحسان والتقريظ ، فعرّفتنا — أيدك الله — أنه مأخوذ من قول أبى تمام[3] :

(١) الأجازة أن تتم مصراع غيرك ، كذا فى القاموس .

(٢) د ٢/٤٦ من كلمة يرثى بها قومه ، وقبله :

وأرى شبيلا للفناء وبارعا ... يتأوّدان ومن يعمَّر يكبر

وبعده : شيخان قد ثقل السلاح عليهما ... وعداهما رأى السميع المبصر

وأخذ البحترى لهذا المعنى من أبى تمام معروف فى باب السرقات ، انظر شرح درة الغواص ٣٣ والصبح المنبى ٣/٢٨٢ والمثل السائر ٤٧٤ وقد ذكر الخالديان هذا المعنى بالتفصيل ص ٣٣٣ .

(٣) د ٤٥ وقبله :

على كل موّار الملاط تهدمت ... عريكته العلياء وانضمّ حالبه

وبعده : فكم جزع واد جبَّ ذروة غارب ... ومن قبل كانت أتمكته مذاهب

وانظر أيضاً المرتضى ٢/٤٢ .

رعَته الفيافى[1] بعد ما كان حِقبة   رَعَاهَا وماءُ الرّوض ينهلُّ ساكِبُهْ

ولا نعرف فى النظر أدقّ من هذا ولا ألْطَف إلاّ أنّا نُوفّى الخدمةَ حقّها بما تتكلّفه من الاختيار والكلام على ما ذكرناه ، وبالله التوفيق .

معنى تنال الأقارب بكره القلوب

قال المهلهِل بن ربيعة[2] :

١ بِكُرهِ قلوبنا يا آل بَكْرٍ   نُغاديكم بِمُرْهَفَةِ النِّصالِ

٢ لها لَونٌ من الهاماتِ جَونٌ   وإن كانت تُغادَى بالصِّقالِ

٣ ونبكى ، حين نذكركم ، عليكم   ونقتُلُكم كأنّا لا نُبالى

أبيات المهلهل هذه هى الأصل فى هذا المعنى ، ومثله قول الْحُصَين بن الْحُمَام المرّى[3] :

نُفَلِّقُ هاماً من رجالٍ أعزّةٍ   علينا وهُم كانوا أعقّ وأظلَما

---

(١) طبعة عزام ص ٢٣٠ (ق ١٦/١٢) رعته الفيافى ... الخ ، بعده :

فأضحى الفلا قد جد فى برْى نحضه   وكان زمانا قبل ذاك يلاعبه

فكم جزع واد جب ذروة غارب   وبالأمس كانت أتمكه مذانبه ؟

(٢) من أربعة أبيات فى الحماسة ٩٣ – ٩٤ لرجل من بنى عقيل حاربه بنو عمه ، فقتل منهم ، والرواية هناك « بكره سراتنا يال عمرو » كذلك أيضاً فى العيون ٣ / ٨٨ حيث يوجد البيتان الأول والأخير .

(٣) المفضلية ١٢ / ٦ والرواية هناك « يفلقن » يعنى الأسياف كما فى الحماسة ٩٢ ؛ والآمدى ٩١ ؛ وفى الشعراء ٤١٠ « نفلق » كما هنا . قال الشاعر الشعر لما أكثر القتل فى بنى صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع ، وكان قد ناشدهم الرحم بينهم وبين رهطه بنى سهم بن مرة فأبوا ، انظر غ ١٢ / ١٢٥ وخ ٣ / ٣٥٤ . ويروى أن يزيد بن معاوية تمثل بهذا البيت لما وضع رأس الحسين بين يديه : انظر العقد ٣ / ١٣٧ ومقاتل الطالبيين ١١٩ ، وابن الأثير ٤ / ٧٣ .

وأخذه بعضُهم فقال[1] :

١ قومى هُمُ قتلوا أُمَيمَ أخى فإذا رَمَيتُ أصابنى سهمِى
٢ فلئن عفَوتُ لأعفُوَنْ جَللًا ولئن قتلتُ[2] لأوهِنَنْ عظمِى

وأخذه مالك بن مطفوق السعدىّ فقال :

١ قتلنا بنى الأعمام يوم أُوَارَة وعزَّ علينا أن نكون كذلكا
٢ هُمُ أحرَجونا يوم ذاك وجَرَّدوا علينا سُيوفاً لم يكنّ بواتكا

وأخذه حربُ بن مِسْقَر فقال[3] :

١ ولمّا دعانى لم أُجِبْه لأنّنى خشيتُ عليه وقعةً من مُصمّمِ
٢ فلما أعاد الصوت لم أكُ عاجزاً ولا وكِلاً فى كل دَهْياء صَيْلَمِ
٣ عطفتُ عليه المُهْرَ عطفةَ مُحرِجٍ صؤولٍ ومن لا يغشِم الناسَ يُغشَمِ[4]

---

(١) من قصيدة مختارة للحارث بن وَعلة الذهل – وقد خلطه القالى ١ / ٢٦٢ بالحارث ابن وعلة الجرمى – قالها فى قتل بنى شيبان أخاه المنذر بن وعلة ؛ انظر اللآلئ ٥٨٥ والآمدى ١٩٧ والحماسة ٩٧ والبيتان بدون عزو فى غ ١٠ / ١١٨ والعيون ٣ / ٨٨ . وجاء فى جمهرة عمر بن شبة – رقم ١١٩٤ أدب بالدار – ص ٧٨ أن المهلهل أوقع ببنى الضباح وبنى يقدم حتى أفنى بنى يقدم ، وساق بنى الضباح بين يديه ثم عرض عليه أن يعفو فلم يعف وقتلهم ، فلما نظر إليهم قتل استعبر بالبكاء وقال :

ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن أسأت لأوهن عظمى
قومى هم قتلوا كليب أخى فإذا رميت يصيبنى سهمى

وسيأتى البيتان ص ٦٣ .

(٢) بهامش ب « ن : رميت » .

(٣) البيتان ٣ و ٤ له فى نهج البلاغة ١ / ٣٠١ والأولان للقتال الكلابى – مع البيتين الآتيين له ص ٥ وزيادة خامس – فى البصرية ١٥ .

(٤) فى ب « من لا يعمم الناس يعمم » وثبت بالهامش « عمم الناس اقتحم فيهم وتوسطهم من الجد فى حرب أو غيرها ؛ وذلك مثل قول زهير : ومن لا يظلم الناس يظلم » . اللسان عمم أى رمى نفسه وسط الحرب ؛ زاد الأزهرى : رمى نفسه وسط القوم فى حرب كان أو غير حرب .

٤ وأوجرتُه لَدْن الكعوب مقوّماً فخرّ صريعاً لليدين وللفَم
٥ وغادرتُه والدمعُ يجرى لقتله وأوداجُه تجرى على النحر بالدّم

فأخذ هذا المعنى ديك الجن فقال فى جارية كان يحبها فقتلها[1] :

١ قمرٌ أنا استخرجتُه من دُجْنة لبليّتى وجلَوْتُه من خِدرِهِ
٢ فقتلتُه وله علىّ كرامةٌ ملء الحشا وله الفؤادُ بأسرِهِ
٣ عهدى به مَيْتاً كأحسنِ نائمٍ والحزنُ ينحرُ عَبرتى فى نَحرِهِ

وإلى المعنى الأول نظر أبو تمام فى قوله[2] :

١ قدِ انثَنَى بالمنايا فى أسنّتِه وقد أقامَ حيارا كم على اللَّقَمِ
٢ جذلانَ من ظفرٍ حرّانَ أن رجعتْ أظفارُه منكمُ مخضوبةً بدَمِ

ومن هذا المعنى أخذ البحترى قوله[3] :

إذا احتربَتْ[4] يوماً ففاضت دماؤها[5] تذكّرتِ القربى ففاضت دموعُها

---

(١) من ستة أبيات فى غ ١٢ / ١٤٥ وخبرها أن ديك الجن اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص فتزوجها بعد أن أسلمت ، وكان اسمها ورداً ثم رحل إلى سلمية قاصداً لأحمد بن على الهاشمى فأذاع ابن عم له على تلك المرأة أنها تهوى غلاماً له ، وشاع ذلك الخبر حتى بلغ ديك الجن ، فعاد إلى حمص وقتلها ، ثم بلغه الخبر على حقيقته واستيقنه فندم ، وله أشعار أخرى فى ندمه على قتلها .

(٢) د ٢٤٠ . اللقم : وسط الطريق .

(٣) من قصيدة يذكر فيها صلح بنى تغلب وقبله :

تقتل من وتر أعز نفوسها عليها بأيد ما تكاد تطيعها

د ٢ / ٣١٧ والراغب ٢ / ٧٥ ، وانظر المثل السائر ٤٨٢ حيث جاء أن البحترى أخذ المعنى من أبى تمام وكسا، عبارة أحسن من العبارة الأولى .

(٤) ا « احتزت » . (٥) ا « دماؤنا » .

بيت البحترى أطرف وأبدع من بيت للمهلهل إلا أنه أرشده إلى المعنى ودلّ عليه . ومثله القتّال الكلابى[1] :

[ستأتى لنظائر أخرى ص ٦٢ وانظر أيضاً ص ٦٨]

١ فلمّا رأيتُ أنه غيرُ منتهٍ   أملْتُ له كفّى بلدْن مقوّمِ

٢ فلمّا رأيتُ أننى قد قتلته   نَدِمتُ عليه أىّ ساعة مندَمِ

ولبعضهم[2] :

١ أتتنى آية من أمّ عمرو   فكدتُ أغصّ بالماء القَراحِ

٢ فما أنسَى رسالتها ولكن   ذليلٌ من ينوء بلا جَناحِ

قوله « ذليل من ينوء بلا جناح » من الأمثال الجياد المختارة

قال الحَكَم بن عَبْدَل الأسدىّ[3] :

١ إذا كنتَ جاراً خائفاً ومُحوَّلا   ولاقيتَ عمرانَ بن ورقاء فانزلِ

٢ هو الغيث والشهر الحرام وضامن   لك الدهر إن أخنى عليك بكلكلِ

قال عمرو بن برّاقة[4] الهَمْدانى[5] :

١ تقول سُلَيمى : لا تعرّضْ لتَلْفَةٍ   وليلُك عن ليل الصعاليك نائمُ

---

(١) من ثلاثة أبيات فى الحماسة ٩٥ و غ ٢٠ / ١٥٩ وخبرها أن القتال كان يتحدث إلى ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبد الله ، فحلف أخوها لئن رآه مرة ثانية ليقتلنه ، فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها ، فأخذ السيف وخرج القتال هارباً ، فبينا هو يسعى ، وقد كاد أخو العالية يلحقه ، وجد رمحاً مركوزاً أو سيفاً ، فأخذه وعطف عليه فقتله . والبيتان للقتال فى البصرية د ١ مع ثلاثة أبيات أخرى مضى الاثنان منها ضمن كلمة لحرب بن مسعر ص ٤ . والأول مع بيت آخر فى ت القالى ٢٦ .   (٢) بدله فى ا « مثله » خطأ .

(٣) فى الأصول « الأزدى » وقد صححت فى م .

(٤) فى غ « عمرو بن براق » .

(٥) فى ا و م « الهمذانى » مصحفاً . وذكر فى القالى ٢ / ١٢٢ أنه أغار رجل من مراد يقال له حريم على إبل عمرو وخيل له ، فذهب بها فأغار عمرو ، فاستاق كل شىء له ، فأتى —

٢ وكيف ينام الليل مَن جُلّ ماله … حُسام كلون الملح أبيضَ صارِمُ

٣ كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها … مُراغَمة ما دام للسيف قائمُ

٤ متى تجمع القلبَ الذكيَّ وصارما … وأنفاً حمِيًّا تجتنبْكَ المظالمُ

٥ ومَن يطلبِ المالَ الممنَّع بالقنا … يعشْ ماجداً أو تخترِمْه الخوارِمُ

مثله :

ومن يطلبِ المالَ الممنَّعَ بالقنا … يعشْ مُثرِياً أو يُودِ فيما يمارسُ(١)

٦ [...](٢) إذا جرَّ مولانا علينا جريرةً … صبَرنا لها ، إنّا كرامٌ دعائمُ

٧ وننصرُ مولانا ونعلمُ أنه … كما الناسُ مجرومٌ عليه وجارِمُ

٨ وكنتُ إذا قوم غزوني غزوتُهم … فهلْ أنا في ذا يالَ همْدان ظالِمُ

ـ حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه، فامتنع وقال الكلمة فى ١٨ بيتاً راجع الخبر أيضاً فى غ ٢١ / ١١٣ حيث الكلمة فى ١٥ بيتاً وهى :

فى ١٢ بيتاً فى الوحشيات ص ٢٣ وفى ٨ أبيات بحذف البيتين ٦ و ٧ وإضافة اثنين آخرين فى البصرية ٤٧ . وراجع الأبيات : ١ و ٤ و ٨ و ٦ و ٧ فى الآمدى ٦٩ والأبيات ٣ و ٤ و ٨ فى العقد ١ / ٦١ ، والأبيات : ٤ و ٥ و ٨ فى مقاتل الطالبيين ١٣٢ ، والبيتين : ٣ و ٤ فى حم البحترى ٣٦ — ٣٧ ، والبيتين : ٨ و ٤ فى الكامل ١٥٢ — ١٥٣ والبيت ٣ فى المرتضى ٤ / ١٨٣ وخ ٣ / ١٣ ، والبيت ٤ فى النويرى ٢ / ١٢٤ . والأبيات ٢ و ٣ و ٥ لابن براقة مع البيت التالى (..... فيما يمارس) فى نهج البلاغة ١ / ٣٠١ والبيتان : ٨ و ٤ له فى المصدر نفسه ١ / ١١٤ ونسبا أيضاً إلى مالك بن حريم الهمدانى فى المصدر نفسه ١ / ٣٠٣ كما أن الأبيات : ٣ و ٤ و ٥ و ٨ وردت لبعض لصوص همدان ، وهو مالك بن حريم فى العيون ١ / ٢٢٧ وجاء فى الاشتقاق ٢٤٤ و ٢٥٨ عن البيت الرابع أنه نسب إلى مالك بن حريم إلا أنه لابن براقة .

(١) نهيك بن أساف :

ومن مارس الأهوال فى طلب الغنى … يعش مثرياً أو يود فيما يمارس

كذا فى مجموعة المعانى ١٣١ .

(٢) مكانه فى الأصول «مثله» وذلك سهو لأن الأبيات السابقة واللاحقة من كلمة واحدة .

قال يزيد بن خذّاق العبدى[1] :

١ فَلَتْ[2] عَيْنَها عنّى سَفَاهًا وراقَها فتى دون أضيافِ الشتاءِ شروبُ
٢ دهينُ القفا يُدنى تبيعةَ سيفه وما كلُّ أصحابِ السيوفِ نجيبُ

قوله « فتى دون أضياف الشتاء شروب » نهاية فى الهجاء ، وإنما خصّ بقوله أضيافَ الشتاء للكِنّ[3] والصَلا . وما يضيف فى الشتاء من العرب إلّا للبرّز فى السماحة لكَلَب البرد وصفر البيوت لأنه يريد أن يحصُر عياله ويخرج من بيته ماشيته ليتّسع المكان على ضيفه . وأخرى إن الزاد عندهم فى الشتاء قليل وفى الصيف كثير .

قال الغطمّش الضبّى[4] :

١ إنى وإن كان ابنُ عمّىَ عاتبا لمقاذِفٌ من دونِهِ وورائِهِ
٢ ومفيدُه نصرى وإن كان امرأً متزَحزِحًا فى أرضِهِ وسمائِهِ
٣ وإذا اكتَسى ثوبًا جميلا لم أقلْ يا ليت أنّ عَلَىّ مثلَ ردائِهِ

---

(١) من ثلاثة أبيات له فى الوحشيات ص ١٨٤ .

(٢) م « بكت (عينها) » او ب « بكت » وقد صححت فى ب « نبت (عينها) » كما هى الرواية فى الوحشيات ؛ إلا أن « فنت » أى فطمت وعزلت : أقرب إلى التصحيف الوارد فى الأصول .

(٣) او ب « الكن » وزاد قبلها بهامش ب « لاحتياجه إلى صح » .

(٤) هى ٠ أبيات هذيل بن مشجعة البولانى فى الحماسة ٣٤ – ٧٣٣ و ٧ له فى مجموعة المعانى ٦٣ ، وأنشدها النضر بن شميل للمأمون فى معرض النصف بيت قاله العرب ، منسوبة إلى أبى عروبة المدنى ، كذا فى غ ١٥ / ٢٠ والبيهق ٣٣ – ٤٣٢ [العسكرى ١ / ١١ « ابن غزوية المدنى » وشرح درة الغواص ١٥١ « ابن عروة المدينى »] ونسبت إلى طريف العنبرى فى غ ١٣ / ١١١ و « لرجل من بنى العنبر ، وقيل إنها لبعض شعراء طيىء » فى ذيل القالى ٨٤ (راجع ذيل اللآلى ٤١) وإلى عمرو بن انبيت الطائى البحترى فى رواية محمد بن داود فى المرزبانى ٢٢٥ (حيث الأولان فقط) وإلى سماك بن خالد الطائى فى حم البحترى ٥٧ – ٣٥٦ وهى بدون عزو فى نهج البلاغة ٤ / ٤٠ .

قال كِنازُ بن صُرَيم الجَرْمِيّ(١) :

١ أردّ الكتيبة مفلولةً وقد تركت لِيَ أحسابَها

٢ ولستُ إذا كنت في جانب أذُمُّ العشيرة مُغتابَها

قوله « وقد تركت لى أحسابها » معنى جيد ، ذكر أنه هزم أعداءه فصارت مفاخرهم له بهزيمته إيام .

وأنشد لبعض الأعراب(٢) : معنى طريف الحبيب بالديار

١ أرى كلّ أرض دمَّنَتْها ، وإن مضت لها حِجَجٌ ، يزداد طِيباً ترابُها

٢ ألم تعلَمَنْ يا ربِّ أن رُبَّ دعوة دعوتُك فيها مُخلِصًا لو أُجابُها

٣ لعمر أبي ليلى لئن هي أصبحتْ بوادي القرى ما ضرَّ غيري اغترابُها

مثله للبحترى(٣) :

لعمرُ الرسومِ الدارساتِ لقد غدت بريّا سُعاد وهي طيبةُ العَرفِ

مثله للنُّمَيْريّ(٤) :

تضوّعَ مِسكًا بطنُ نَعمانَ أنْ مشت به زينَبٌ في نِسوةٍ عَطِراتِ

---

(١) له في المرزباني ٣٥٣ وبعدها :

ولكن أطاوع ساداتها ولا أتعلم ألقابها

وزاد في الوحشيات ص ١٤٤ (... بن صرمة ...) رابعاً بين البيتين .

(٢) من أربعة أبيات في الحماسة ٥ – ٨٤ . دمنتها أي أثرت فيها بإقامة فعل مبني من الدمنة ، كذا في أصل العسكري ١ / ١٦١ وبدله في المرتضى ٢ / ١٤٨ « أوطنتها » ، وفي النويري ٢ / ٦٦ « دست فيها » .

(٣) د ١١٢/٢

(٤) هو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج ، انظر غ ١٩٢/٦ والكامل ٢٨٩ و ٣٦٧ والحصري ١٥٧/١ والعسكري ٢٦٠/١ والنويري ٦٦/٢ وسيأتي البيت ص ١٨٧ .

مثله لأبي تمام: • لولا نسيم ترابها لم تُعرفِ •

قوله: « يزداد طيباً تُرابُها » مثل قول جميل[1]:

١ ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً   بأبطحَ فيّاحٍ بأسفله نخلُ
٢ يفوح علينا المسكُ منه وإنّما   به المسكُ أن جرَّتْ به ذيلَها جُمْلُ

ولبعضهم[2]:

واستودعتْ نشرَها الديارَ فما   تزدادُ إلّا طيباً على القِدَمِ

ومن هنا أخذ العباس بن الأحنف قوله[3]:

١ جرَى السيلُ فاستبكاني السيلُ إذ جرى   وفاضتْ له من مقلتَيَّ غروبُ
٢ وما ذاك إلّا حين خُبِّرتُ أنّه   يمرُّ بوادٍ أنت منه قريبُ
٣ يكون أُجاجًا دونكم فإذا انتهى   إليكم تلقّى طيبَكم فيطيبُ

أخذه ابن المعتز فقال[4]:

فلما انتهى قول السلام وردُّه   لفظن حديثاً عطّرته الملافظُ

أبو العباس الأعمى[5]:

ليت شعري أفاح رائحة المسـ   ـك وما إن إخالُ بالخيف إنسي

(١) البيت الثاني مع آخر له في العسكري ١/٢٦٠ والنويري ٢/٦٦ .

(٢) شرح الحماسة ٥٦٧ وخ ٤/١٣٦ والراغب ٢/١٣٩ .

(٣) هي أربعة أبيات له في د ١٨ وغ ١٧/٧٧ وكثيراً ما خلطت بأبيات أخرى للمجنون (غ ٢/٦٣) وابن الدمينة (العقد ٤/١٤٤) .

(٤) لم يثبت البيت في د وسيأتي ص ١٧٩ .

(٥) من أبيات مدح بها مروان بن محمد ، انظر غ ١٥/٥٧ والحصري ٢/١٠١ والبيان ١/٢٣٢ وسيأتي مع آخر ص ١٨٧ .

أنشد ابن الأعرابي[١] :

١ على المَيْتِ من بطن الجزيرة كلما سرَرْنا به أو لم نمُرَّ — سلامِ
٢ وما ذاك إلا أنَّ زينب جرَّرتْ به الذيلَ لم تنزل لدار مُقامِ
٣ كأنّ تِجارًا تحمل الطيبَ عرَّسوا به ثم فضُّوا ثمَّ كلَّ خِتامِ

وهذا كثير في أشعارهم قديمًا ومحدثًا . وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر[٢] :

١ وأنتِ التي حبَّبتِ شَغْبًا إلى بَدى[٣] إلىَّ وأوطاني بلادٌ سِواهُما
٢ حللتِ بهذا حَلّةً بعد حَلّةٍ بهذا فطاب الواديان كلاهُما

ومثله لأبي نواس[٤] :

لمن دِمَنٌ تزداد حُسنَ رسوم على طُول ما أقوتْ وطيبَ نسيمِ

عبد الله بن ثعلبة الأزدي[٥] :

١ فلئن عَمَرْتُ لأشفِيَنَّ النفسَ من تلك المساعى
٢ ولأعلِمَنَّ البطنَ أ نَّ الزادَ ليس بمُستطاعِ
٣ أما النهارَ فرأيٌ قومي[٦] بمَرقَبة يفاعِ

(١) لفروة بن حيفة الأسدي وكان أحدث حدثا فطلبه السلطان فهرب وقال الأبيات بزيادة رابع ، كذا في الآمدي ١٠٥ والرواية هناك « بطن الحرية » بدل « بطن الجزيرة » و « زهرة » بدل « زينب » .

(٢) من ثلاثة أبيات لكثير في الحماسة ٥٦٧ (إيضاح ٤/١٣٦) وهي أربعة له في د ١/٨٤ — ٨٥ البلدي (شغبى) وهما في العسكري ١/٢٦٠ والحصري ٤/٥٤ لجميل .

(٣) في الأصول « شعبا » وفي ا و ب « ندى » مصحفا . (٤) د ٨٨ .

(٥) من تسعة أبيات له في الوحشيات ص ٢٦ — ٢٧ وهناك قبل الرابع :

والليل أبطن ذا الفضا خِض والمسالك ذا التقاع

والأبيات من غير عزو في العيون ١/١٨٩ إلا أن هناك بيتا آخر بدل الرابع .

(٦) العيون « فرأى أصحابي » .

٤ فى قُرَّة هَـــلَكٍ وشَو ... كٍ مثلِ أنياب الأفاعى

٥ ترد الســـباعُ معى فتحـــسُبنى السباعَ من السباعِ

أخذ أبو تمام هذا المعنى لجوّده وظرف كلامه بقوله[1] :

أنَقَّ مع السباع الماء حتّى ... لَخالَتْه السباعُ مع السِّباعِ

سُوَيد بن أبى كاهل[2] :

١ ذرينى أشُب عنّى براحٍ فإننى ... أرى الدهرَ فيه فرجة ومضيقُ

٢ وما أنا إلّا كالزمان إذا صحا ... صَحَوتُ وإن ماق الزمانُ أموقُ

هذا مثل قول بعض الطالبيين :

١ إذا عقــل الدهرُ لم تلقَنى ... جَهولا وأجهَلُ إما جَهِلْ

٢ وما الحزمُ إلّا لدى نَشْوةٍ ... تباكَرُ بالــكأس قبل العذَلْ

أخذ هذا الشاعر معنى هذين[3] البيتين فى تفسير هذين .

[أعرابى][4] :

١ فلو كنتُ فى الدار التى تعرفانِها ... مرِضتُ إذاً ما غاب عنّى معلِّلى

٢ هنالك لو أنى اعتلَلْتُ لعادَنى ... عوائدُ مَن لم يأتِ منهن يُرسلِ

(١) الرواية فى د ١٧٢ « ابن مع السباع النيل » ومكان الكلمة الأولى بياض فى م رفى ب « ابن » مع أثر الحك . وانق : صار ذا نقيق أو دخل فى نقيق ، كذا فى اللسان .

(٢) البيتان مع ثالث لبشار فى الوحشيات ص ١٤١ والمختار من شعر بشار ٢١١ وفصول التماثيل لابن المعتز (مصر ١٩٢٥) ١١ ، والثانى لبشار فى الراغب ٢/٤ وهو غير منسوب فى نهج البلاغة ٤/٤٥١ . (٣) ب « ذينك » مع أثر الحك .

(٤) سقط من ا و ب . والبيتان مع ثالث فى د عمر بن أبى ربيعة ق ٣٣٥ .

هذا مثل قول مالك بن الرَّيب[١] :

وبالرمل منى نسوةٌ لو شهدننى ... بكَين وفدَّين الطبيب المداويا

ومثل قول جرير أيضاً[٢] :

إن لا يكن لك بالمعرَّين باكية ... فرُبَّ باكيــة بالرَّمل معوالِ

القتَّال الكلابى[٣] :

١ إذا هبَّتِ الأرواحُ كان أحبَّها ... إلىَّ التى من نحو نجدٍ هبوبُها

٢ وإنِّى ليدعونى إلى طاعة الهوى ... كواعبُ أترابٌ مِراض قلوبُها

٣ كأنَّ الشفاه الحوَّ منهن حُمِّلتْ ... ذَرَى بَرَدٍ ينهلّ عنها غروبُها

٤ بهنَّ من الداء الذى أنا عارف ... وما يعرف الأدواء إلاّ طبيبُها

طُرَيح الثقفى[٤] :

١ أصلحتَنى بالجود بل أفسدتَنى[٥] ... وتركتَنى أتسخَّطُ الإحسانا

٢ من جاد بعدك كان جودُك فوقه ... لا كان بعدك كائناً من كانا

---

(١) من قصيدته فى الجمهرة ١٤٥ وخ ١/٣١٧ - ٣١٩ وذيل القالى ١٣٨ قالها يذكر مرضه وغربته وكان سعيد بن عثمان ، لما ولاه معاوية خراسان ، استصحبه فمات هناك . وقبل البيت : أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى ... به من عيون المؤنسات مراعيا ، وبعده :

فمنهن أمى وابنتاى وخالتى ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

انظر أيضاً المرزبانى ٣٦٤ .

(٢) د ٢/٣٩ فى رثاء ابن له يقال له سوادة هلك بالشام والرواية « بالديرين » بدل « بالمعرين » . (٣) الأبيات له فى البصرية ١٤٩ وسيأتى البيت الرابع ضمن قطعة منسوبة إلى ابن الدمينة ص ١٨٠ .

(٤) نسب البيت الأول إلى دعبل الخزاعى فى المعاهد ٤٨٠ .

(٥) أ « أسخطتنى » .

مضى «كسرت رمحي أو مضى»

أبو محجن الثقفي[1] :

١ نُعاهدُ أطرافَ القنا فَنَفِي لها   إذا لم تُضَرَّجْ من دمٍ أن تُحطَّما

٢ حرامٌ علينا أن نشيمَ سيوفَنا   ولم تروَ من أعناقِ أعدائنا دَمَا

ومن البيت الأول أخذ بشار قوله :

إذا أُكرِهَ الخطّى فينا وفيهم   جرى ماؤه في لامنا ونُحطِّما

وهذا معنى حسن غير متسع في الشعر . والأصل فيه قول الأسعر[2] الجعفي[3] :

وإذا حملتُ حملت غـير مهلّل   وإذا طعنتُ كسرت رمحي أو مضى

وأخذه البحتري فجوّد في قوله[4] :

ألوى إذا طَعنَ المدجّجَ تلّهُ[5] ليـديه أو نثر[6] القناةَ كعوبَا

وردّه في موضع آخر في صفة السيف فقال[7] :

وكنتَ متى تجمعْ يمينَك تَهتِكِ الـ   ـضَّريبة أو لا تُبقِ للسيف مَضرِبَا

وأخذه أيضاً المَرْيَميُّ[8] في استعارة فقال :

إذا غمزا قناةَ البغى قامتْ   بأذْنَي الغمزِ أو طارت شظَايا

---

(١) لم يثبتا في د .   (٢) في الأصول « الأشعر » .

(٣) من كلمة طويلة له في الوحشيات ص ٣٥ ورواية المصراع الأول هناك : فإذا شددت شددت غير مكذب .   (٤) د ١/٧٥ والعسكري ٢/٥٥ .

(٥) تله : صرعه والرواية في د « سكه » .

(٦) في الأصول « نشر » ، وقد صححت بهامش ب .   (٧) د ١/٥٦ .

(٨) كذا « المريمي » في م و ا وفي ب « الخزيمي » وتلك محاولة لتغيير ما تعذر على الفهم وليعلم أن « المريمي » ورد هكذا في المختار من بشار ٣٢٤ والمنتحل ١٠ ، وقد ذكره الخالديان في التحف والهدايا (نسخة دار الكتب المصرية رقم ش ٨٣ أدب) بأنه أهدى ، إلى أبي الجيش خمارويه (ص ٢) وإن بعض بني طولون أهدى إليه أي المريمي (ص ١٠ و ١٧) . هذا وقد ورد البيت في الأصول بخط مضطرب جداً إنما أثبته بصعوبة .

أُحَيحة بن الجُلَاح الأوسى[1] :

١ وقد علِمتْ سراةُ الأوسِ أنّى ... من الفتيانِ أعدِلُ لا أمِيلُ
٢ وقد أعدَدتُ للحدثان حِصناً ... لو أنّ المرء تنفعُه العقـــولُ
٣ لعمرُ أبيك ما يُغنى مكانى ... من الفتيان زِمّيل كَسُولُ
٤ فهل من كاهل أُودِىْ إليه[2] ... إذا ما كان من قدَر نزولُ
٥ يُراهنُنى فيَرْهَنُنى بَنيـــهِ ... وأرهَنُـــه بنىّ بمـا أقولُ
٦ لما يَدرى الفقيرُ متى غناه ... وما يدرى الغنىُّ متى يَعيلُ
٧ وما تَدرى إذا أجْمعتَ أمرًا ... بأىّ الأرض يُدركك المقيلُ[3]
٨ وما تَدرى إذا أنتجتَ سقبا ... لأىّ الناس ينتقِلُ الفصيلُ
٩ وما تدرى إذا أنتَجْتَ شَولًا ... أتلقَح بعــد ذلك أم تُحيلُ

أما قوله : « بأى الأرض يدركك المقيل » فأخذه من قول الله عز وجل[4] :

(١) من مذهبته فى الجمهرة ١٢٥ وقصتها مع بعض الأبيات فى ابن الأثير ١/٤٩٦ وغ ١٣/١١٩ . والأبيات ٦ و ٧ و ٩ فى حم البحترى ١٨٤ والأبيات ٤ – ٧ فى اللسان (عيل) والبيتان ٦ و ٧ فى مجموعة المعانى ٦ والنويرى ٨/١٨٩ .

(٢) فى الأصول عندنا : أ و ب « آوى إليه » م « أدى إليه » والرواية المشهورة « فهل من كاهن أو ذى إله » إلا أن ، فى ابن الأثير « أودى إليه » وأظنه من أيدى إيداء (ى دى) إليه : أنعم عليه .

(٣) أورد البحترى أن البيتين ٦ و ٧ مأخوذان من قول امرئ القيس :

وما يدرى الفقير متى غناه ... وما يدرى الغنى متى يموت
وما تدرى إذا يممت أرضا ... بأى الأرض يدركك المبيت

ورواية البيت ٧ لاحيحة فى مجموعة المعانى توافق ما روى هنا لامرئ القيس تماما ماعدا القافية . ومثله قول قيس بن الملوح :

وإنك لا تدرى بأية بلدة ... تموت ولا عن أى شقيك تصرع

- الوحشيات ص ١٠٤ .

(٤) ٣١ لقمن ١/٣٤ .

(وما تدرى نفسٌ ماذا تكْسِبُ غدًا ، وما تَدْرِى نَفْسٌ بأىِّ أرضٍ تَمُوتُ) .

وأما قوله : « وما تدرى إذا أنتجت سقباً » ، البيت قريب من قول الحارث ابن حلزة اليشكرى[1] :

لا تكْسَعِ الشَّولَ بأغبارِها ... إنّك لا تَدرى من الناتِجُ

من شعر مالك ابن أبى كعب الأوسى

مالك بن أبى كعب الأوسى[2] :

١ مَعَاذَ إلهى أن تقــولَ حليلتى ... ألَا فرَّ منّى مالكُ بنُ أبى كعبِ

٢ أُقاتِلُ حتى لا أرى لى مُقاتِلاً ... وأنجُو إذا غُمَّ الجبانُ من الكَرْبِ

٣ عَلَىَّ لجارى ما حييتُ ذِمامةٌ ... وأعرف ما حقُّ الرفيق على[3] الصَّحْبِ

٤ ولا أُسمِعُ الندمانَ شيئاً يُرِيبُه ... إذا الكأسُ دارت بالمدام على الشَّرْبِ

٥ وكان أبى فى المَحْلِ يُطعِمُ ضيفَه ... ويُرْوِى نَدَاماه ويَصْبِرُ فى الحربِ

٦ ويمنع مولاه ويُدرك تَبْــلَه[4] ... وإن كان ذاك التَّبل فى مطلَبٍ صعبِ

٧ وإذْ ما منعتُ المالَ منكم لِضِنّةٍ ... فلا يَهْنِنى مالى ولا تَمَّ لى كَسْبِى

وله أيضاً[5] :

١ ولا خيرَ فى مَولًى يظــلُّ كأنّه ... إذا ضِيمَ مولاه ، أكبَّ على غَمِّ

٢ حريصٍ على ظلم البَرِىِّ مخالفٍ ... عن القصدِ مأمونٍ ضعيفٍ عن الظلمِ

(١) المفضلية ٢/١٢٧ واللآلئ ٦٣٩ .

(٢) من ١٦ بيتا فى غ ١٥/٣١ قالها فى حرب كانت بينه وبين رجل من بنى ظفر وقصتها هناك وأضاف الأصفهانى أيضاً أنه ليس بصحيح ما يقال من أن الشعر لرجل من مراد يقال له مالك بن أبى كعب ، والأبيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فى المرزبانى ٣٥٨ لمالك بن أبى كعب الخزرجى [خزرج فى الأوس ؟] .

(٣) ا « من » بدل « على » .

(٤) ا و ب « بتله » وفى غ « نيله » . قال قيس بن الخطيم : الواترون المدركون بتبلهم ، — د ق ١٥/٧ .

(٥) ستأتى لأعرابى ص ١٤٤

٣ حسود لِذِى[1] القربى كأنّ ضلوعَه ... من الغِش للأدنين ضُمَّت على كَلْمِ
٤ قريب إذا عضّتْ به الحربُ عضة ... وأبعد شىء جانباً منك فى السِّلْمِ
٥ فذاك كغثِّ اللحمِ ليس بنافع ... ولا بدّ يوماً أن يُعَدَّ من اللّحم

من شعر عمرو ابن الإطنابة

عمرو بن الإطنابة[2] :

١ أبَتْ لى عفتى وأبَي بلائى ... وأخْذِى الحمدَ بالثمن الرّبيحِ
٢ وإعطائى على المكروه مالِى ... وإقدامى على البطل المُشِيحِ
٣ وقولى كلّما جَشَأَتْ وجاشتْ : ... مكانكِ تُحمَدى أو تَستَرِيحى
٤ لِأدفعَ عن مآثِرَ صالحاتٍ ... وأحْمِى بعدُ عن عِرْضٍ صحيحِ

أما قوله يخاطب نفسه : « وقولى كلّما جشأت وجاشت » فعليه فيه متعلق لأنه ذكر نفسه بالجبن ، وأنها تدعوه إلى الفرار ، وأنّه يقهرها بصبره[3] ، وفى الشعر مثل هذا كثير على العيب الذى قدمنا ذكره .

وله أيضا[4] :

١ ذُلُلٌ ركابِى حيث شئتُ ، مشايعى ... لُبِّى[5] ، أروعُ قطا المكان الغافلِ

(١) ا « على » بدل « لذى » .

(٢) الأبيات فى العسكرى ١ / ١١٤ ورواية ابن دريد عن الرياشى هناك أوفق الروايات للنص الوارد هنا وانظر اللآلى ٥٧٤ واللباب ٤ – ٢٢٣ والعقد ١ / ٤٥ وحم البحترى ١٩ والكامل ٧٥٣ والعيون ١ / ١٢٦ النويرى ٣ / ٧ – ٢٢٦ .

(٣) يعد ابن الأطنابة « من الشجعان الثلاثة الذين تتبين دلائل الجبن فى شعرهم » كذا فى العسكرى . وأثر عن معاوية أنه قال « والله لقد وضعت رجلى فى الركاب يوم صفين مراراً ما يمنعنى من الانهزام إلا أبيات ابن الإطنابة » انظر مجالس ثعلب ٨٣ ونهج البلاغة ١ / ١٨٨ و ٢ / ٢٨٦ والعمدة ١٠ (أيضاً الكامل والعيون) .

(٤) من كلمة فى ٢٠ بيتا فى ابن الأثير ١ / ٣ – ٥٠٢ و ١٣ بيتا فى حم ابن الشجرى ٤٦ ومنها الأبيات ٥ – ٨ فى الحماسة ٧١٤ والأبيات ٤ – ٧ فى المرزبانى ٢٠٤ .

(٥) كذا فى ٥ وحم ابن الشجرى . وفى ا و ب « إنى » .

٢ أظليم ما يُدريك كم من خُلّةٍ[١] حسنٍ مدامعُها كظبيةِ حابلِ
٣ قد بِتُّ[٢] مالِكَها وشاربَ قهوةٍ دِرياقة أرْوَيتُ منها واغِلي
٤ صهباء صافيةٍ ترى ما دونها[٣] قعرَ الإناء تُضيء وجهَ الناهِلِ
٥ إنّى من القوم الذين إذا انتَدَوا[٤] بَدَأوا بحقِّ الله ثم النائلِ
٦ المانعين من الخنا جارانِهم والحاشدين[٥] على طعام النازلِ
٧ والخالطين فقيرَهم بغنيِّهم والباذلين عطاءَهم للسائلِ
٨ والضاربين الكبشَ يَبْرُق بَيضُه ضربَ المُهَجهَج عن حِياضِ الناهلِ

قد أخَذَ فى هذه الأبيات أشياء وأُخِذَ منه أشياء ، فما أخَذَ قولُه : « ذلل ركابى حيث شئت . . » البيت ، وهذا البيت بأسره لعنترة[٦] إلّا أنّا قد وجدنا مثل هذا فى أشعارهم أشياء كثيرة ، فمن ذلك قول امرىء القيس :

وقوفاً بها صحبى علىّ مطِيّهم يقولون : لا تهلِكْ أسًى وتجمَّلِ

ولطرفة بن العبد مثلُه حرفاً بحرف ، إلّا أنه جعل مكان « تجمَّل » « تجلَّدِ[٧] » .

---

(١) ا و ب « حلة » وفى حم ابن الشجرى « حرة » .
(٢) ا و ب « فديت » كذا فى م أيضاً فى الموضع الآتى وصححت هناك .
(٣) بهامش ب « ن : من دونها » .
(٤) فى الأصول « ابتدوا » وقد صححت فى ب و م وانتدوا أى جلسوا فى النادى كذا فى الحماسة والمرزبانى .
(٥) ا « الحاسدين » . قال قيس بن الخطيم : والحاشدون على قرى الأضياف ، — د ق د ١ / ٧ .
(٦) البيت فى معلقة عنترة هكذا :

ذلل ركابى حيث شئت مشايعى لبى واحفزه بأمر مبرم

(٧) يرى ابن قتيبة – الشعراء ٥٣ – أن طرفة أخذ من امرئ القيس . وهو من الأخذ حسن ، كما فى الصناعتين ٢٠٣ ، المثل السائر ٢٧٤ .

ومن تصفّح أشعارَ العرب رأى من هذا عجائب . وهم يسمونه التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة . وممّا أخذه أيضاً قوله : « قد بِتُّ مالكها وشارب قهوة » البيت ، وهذا بأسره للبيد ، إلّا أنهما فى عصر واحد ، فلا ندرى أيّهما أخذ من صاحبه . وأخذ أيضاً قوله : « صهباء صافية ترى ما دونها قعر الإناء ... » ، وتمام البيت من قول الأعشى :

* تُرِيكَ القَذَى من دونِها وهْىَ دونَه[1] *

إلّا أنه لم يأتِ بمثل كلام الأعشى ولا قاربه .

وأما ما أُخِذَ منه فقوله : « والخالطين غنيّهم بفقيرهم » ، والبيت الآخِر أخذه منه حسان بن ثابت مصالتة فقال[2] :

١ والخالطين غنيّهم بفقيرهم والمنعمين على الفقير المُرمِلِ
٢ والضاربين الكبشَ يبرُق بَيضُه ضرباً يَطيحُ به بنان المَفصِلِ

وهذا أقبح ما يكون من الأَخْذِ ، وليس هو من التوارد الذى يذكرونه لأنّ ابن الإطنابة من الأوس وحسّان من الأنصار ، وهما من قبيلة واحدة ، وكان ابن الإطنابة أقدم من حسّان ، فلذلك قلنا أخذَه منه أخذاً .

قيس بن الخطيم[3] :

١ إذا المرء لم يُفضِلْ ولم يلقَ نجدةً مع القوم فليقْعُدْ بصُغرٍ وبِبعدِ

(١) الشطر الثانى : « إذا ذاقها من ذاقها يتمطق » ، - د ق ٣٣ / ٢٣ والشعراء ١٤٢ ، وابن أبى عون ١٧٥ . وللأعشى أيضاً :
تريك القذى وهى من دونه إذا ما تصفق جِريالها
د ق ٢١ / ١٠ . (٢) د ١٦ « الخالطون فقيرهم بغنيهم » الخ
(٣) ق ٦ / ١٢ و ١٦ و ١٣ ومنتهى الطلب ٢ / ١٠١ ، والبيت الثالث فى العمدة ٢ / ١٣ .

٢ وَدِي شِيمةٍ عَسراءَ بكرَه شيمتى فقلتُ له : دعْنى ونفسَك أرْشِدِ
٣ فإنّى لأغنَى[1] الناسِ عن كلّ واعظ يرى الناسَ ضُلّا لا وليس بمُهتدِى

وله أيضا[2] :

١ كأنّا وقد أجلَوا لنا عن نسائهم أُسودٌ لها فى غِيلِ خفّانَ أشبُلُ
٢ كأنّ رُءوسَ الدارعين ، إذا التقتْ كتائبُنا تَترَى مع اللّيل ، حنظَلُ

أخذ مروان بن أبى حفصة المصراع الآخِر[3] من البيت الأوّل فقال[4] :

بنو مَطَر يوم اللقاء كأنهم أسود لها فى غيل خَفّانَ أشبلُ

أبو قيس بن الأسْلَت[5] :

١ رَقودُ الضّحى صِفرُ الحشَى منتَهَى المُنَى قَطُوفُ الخطَى تمشى الهُوَيْنا فتَبْهَرُ
٢ خفيضة أعلَى الصّوتِ ليست بِسَلْفَعٍ[6] ولا نَمَّةٍ خرّاجةٍ حين تظهَرُ
٣ ويُكرِمْنَها[7] جاراتُها فيزرنَها وتعتلُّ عن إتيانهن فتُعذَرُ

---

(١) ا و ب « فإنى أغنى » . (٢) د ق ٨ / ٧ و ٢ .

(٣) فى الأصول « الأول » ، وصححت فى م وسقط من ب « من البيت الأول » .

(٤) من كلمة قالها فى معن بن زائدة الشيبانى ، انظر العسكرى ١ / ٤٧ والحصرى ٣ / ٢٠٤ وغ ١٠ / ٩٠ والمرتضى ٣ / ٤٤ ، وجاء فى النويرى ٣ / ١٨٧ « قالوا : أمدح بيت قاله محدث قول مروان ... » .

(٥) البيتان ٣ و ٤ فى غ ١٥ / ١٥٩ وخ ٢ / ٤٨ والثالث فقط فى العيون ٣ / ٢٥ والعسكرى ١ / ٢٤٣ والراغب ٢ / ١٥ لـ « قيس بن الأسلت » .

(٦) فى الأصول « بلفع » وقد جر عليها التصحيح فى م « بسلفع ؟ » والسلفع : الجريئة البذية ، انظر تهذيب الألفاظ ص ٣٥٧ .

(٧) كذا فى أصل العيون أيضا ، ويروى « يكرمها » وبدلها فى الأساس ١ / ١٥ « تشتاقها » وهناك بعد البيت أيضا :

وإن هى لم تقصد لمن أتيها نرام بيضا مشيهن التأطر

٤ وليس بها أن تَنْتَهِينَ بجـــارةٍ ولـكنها من ذاك تَحْيَا وتَحصَرُ

قيس بن الخطيم[1] :

١ وكنتُ امْرءا لا أسمَعُ الدهرَ سُبَّةً أُسبُّ بها إلاّ كَشفتُ غطاءها

٢ وكانت شجَى فى الحلْقِ مالم أثِرْ[2] بها فأُبتُ بنفس قد أُصيب دواؤها[3]

٣ وإنّى لَدَى الحربِ العوانِ موكَّل بتَقْديم نفسٍ مّا أُريدُ بقاءها

٤ متَى يأتِ هذا الموتُ لاتُلْفَ حاجةٌ[4] لنفسِىَ إلاّ قد قضَيتُ قضاءها

وله أيضا[5] :

١ فما روضةٌ من رياض القَطا كأنّ المصــــابيحَ حَوذانُها

٢ بأحسنَ منهــــا ولا مُزنَةٌ دَلوحٌ تكشَّفُ أدْجانُها

٣ وعَمرةُ من سَرَوَاتِ النِّسَا ء تنفحُ بالمِسْكِ أرْدَانُها

عَمرةُ التى ذكرها أمُّ النعمان بن بشير الأنصارىّ ، وكانت له صحبة وروى بعضهم[6] أنّ النعمان بن بشير غاب عن المدينة غيبة طويلة ، ثم قَدِمَها ، فقال :

---

(١) د ق ١ / ١٠ و ١٤ و ١١ و ١٣ قالها فى أخذه الثأر من قاتل أبيه الخطيم وجده عدى ؛ منتهى الطلب ٢ / ٩٩ ، والبيتان ١ و ٣ فى مجموعة المعانى ٣٦ .

(٢) كذا « أثِرْ » = أثأر ؟ والرواية المشهورة « أبوء » .

(٣) بهامش م « أصبت دواءها » صح ، كما فى الرواية المشهورة .

(٤) م « لا تلق حاجة » .

(٥) د ق ٣ / ٣ - ٥ قالها فى جواب حسان بن ثابت عن شعره فى يوم الربيع وهو اليوم الذى اقتتل فيه الأوس والخزرج قتالا شديداً بالبقيع ، ثم كف بعضهم عن بعض على ما هم عليه من العداوة والحرب ، وانظر شرح الأبيات فى غ ٢ / ٢٨ - ٢٢٦ .

(٦) هى عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة ، كذا فى الجمحى ٥٦ ، والقصة يرويها ابن السكيت والأصمعى عن شيخ من أهل المدينة فى د قيس بن الخطيم ص ٨ . =

أسمعونى من أغانيكم ، فجاءوه بمغنِّية فاندفَعَتْ تغنِّى :

أجَدَّ بعَمرة غُنيانُها أتَهْجُرُ أم شأننا شانُها[1]
وعمرةُ من سروات النسا ء تنفَحُ بالمسك أردانُها

فأوَى إليها جماعةُ من حضر المجلس أن تُخْفِى . وفطن النعمان لذلك ، فقال : دعوها فما قالت إلاّ جميلا .

قيس بن الخَطِيم[2] :

١ إذا جاوز الاثنين سِرٌّ فإنه بِنَثٍّ[3] وتكثير الحديث قَمِينُ
٢ سَلِى مَن جَليسى فى النَدِىّ ومألَفى ومَن هو لى عند الصفاء خَدِينُ
٣ وإن ضيَّع الإخوانُ سِرًّا فإننى كَتومٌ لأسرار العشير أمينُ
٤ أعِزُّ[4] على الباغى ويغلُظ جانبى وذو القصد أحْلَوْلِى له وألِينُ

سُوَيدُ بن صامتٍ الأنصارى[5] :

١ وقد علمتْ سراةُ الأوسِ أنّى إذا ما الحربُ تَحتدِمُ احتِدَامَا
٢ أحُوطُ دِمارَهم وأعِفُّ عنهم إذا لم يَشْدُدِ الورِعُ الحِزَامَا

= و غ ٣/١٣ – ١٤ ، ونقل فى المرجع الأخير قول آخر ، وهو أن عمرة هى بنت صامت ابن خالد امرأة حسان بن ثابت ، وانظر أيضاً غ ١٤ ١١٦ ، والعيون ١ / ٣٢١ ، والعقد ٤ / ١٠٦ ، ونهج البلاغة ٢ / ١١٧ ، والنويرى ٣ / ١٨٧ نقلا عن غ .

(١) مطلع القصيدة .

(٢) د ق ١٢ / ١ و ٤ و ٢ و ١٠ والقالى ٢ / ١٧٧ ، والبيت الأول فى الكامل ٤٢٦ لجميل العذرى . (٣) فى ب و م « يبث » وصححت فى م « ببث » .

(٤) كذا والرواية المشهورة « أمر » كما فى اللسان (حلا) وهى أحسن نظراً إلى قوله « أحلولى » فى الشطر الثانى .

(٥) الأبيات ٤ – ٦ له فى البصرية ص ٥ – ٦ .

٣ وأغشى هامةَ البطلِ المُذَكِّى جُرازًا صارمًا عَضْبًا حُسَامَا
٤ إذا ما البيض يومَ الرَّوع أبدَتْ محاسنَها وأبرزتِ الخِدَامَا[1]
٥ أتتنى مالكٌ بليوثِ غابٍ ضراغِمَ لا يرون القتلَ ذَامَا
٦ معاقِلُهم صوارمُ مرهَفاتٌ يُساقُون الكماةَ بها السَّمَامَا
٧ ومردية صبرتُ النفسَ منها على مكروهها كىْ لا ألامَا
٨ لأكشِفَ كُرْبَةً وأُفيدَ غنمًا وأمنعَ ضيمَ جارى أنْ يُضامَا

قيس بن الخطيم[2] :

١ تَبَدَّتْ لنا كالشمسِ تحتَ غَمامةٍ بَدَا حاجبٌ منها وضنّت بحاجِبِ
٢ ولم أرَها إلاّ ثلاثا عَلَى مِنًى وعهدى بها عذراءُ ذاتُ ذوائبِ
٣ فتلك التى كادَت ونحن عَلَى مِنًى تحلُّ بنا لولا نجاءُ الركائبِ

قال الحاتمىّ : أخَذَ هذا المعنى أخذًا خفيًّا من امرئ القيس فى قوله : « قيد الأوابد[3] » وهو[4] قوله : « نجاء الركائبِ » .

(١) الخدام : الخلاخيل .
(٢) الأبيات ، ما عدا البيت الأخير ، فى د ق ٤ / ٣ و ٤ و ٢ و ٥ و ٨ و ١٠ و ٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ ، والقصيدة من المذهبات فى الجمهرة ١٢٣ ومنتهى الطلب ٢ / ١٠٠ قالها فى حرب حاطب وبعاث ، وقصتها : أن حاطباً ، أحد بنى عمرو بن عوف ، أجار رجلا فكسع يهودى استه بأمر رجل من بنى الحرث بن الخزرج ، فعمد حاطب إلى الخزرجى فقتله ، فخرج بنو الحرث حتى قتلوا حاطباً ، ثم تهيأ الفريقان للقتال ، فالتقيا بالردم من بطحان ، وهو واد بالمدينة ، وكان ذلك اليوم على الأوس . وراجع الأبيات ١ - ٦ و ٨ فى الجمحى ٥٦ والبيتين : ٨ و ٩ فى مجموعة المعانى ٣٦ ، وابن أبى عون ١٥١ وبعض الأبيات فى حم البحترى ٥٦ و ٦٨ .
(٣) من المعلقة :
وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
(٤) ب و م « من » بدل « هو » .

٤ ومثلِكِ قد أصبَيتُ ليست بكَنّة … ولا جارةٍ ولا حليلةِ صاحبِ[١]

٥ أربتُ بدفع الحربِ حتى رأيتُها … على الدفع لا تزدادُ غيرَ تقاربِ

٦ ولمّا رأيتُ الحربَ شَبَّ أوارُها … لبستُ مع البردَين ثوبَ المحاربِ

٧ وكنتُ امرأً لا أبعَثُ الحربَ ظالمًا … فلمّا أبَوْا أشعَلتُها كلَّ جانبِ

٨ إذا ما فرَرْنا كان أسْوَأُ فرِّنا … صُدودَ الخدود وازوِرارَ المناكِبِ

٩ صدودَ الخدودِ والقنا متشاجِرٌ … ولا تبرَحُ الأقدامُ عند[٢] التضاربِ

١٠ يُعَرِّين بيضًا حين نلقَى عدوَّنا … ويُغمِدْنَ حُمْرًا ناحِلاتِ[٣] المَضاربِ

١١ فإن غِبتُ لم أُغفَلْ وإن كنتُ شاهدًا … تجدنى شديدًا فى الكريهة جانبى[٤]

قوله : « وإن غبت لم أغفل » ضدّ قول جرير[٥] :

ويُقضَى الأمرُ حين تغيب تَيمٌ … ولا يُستَأذَنون وهم شهودُ

أخذ بشار قوله : « تبدت لنا كالشمس » البيت فى قوله[٦] :

١ قامت تَصَدَّى إذ رأتنى وحدى … كالشمس بين الزِّبْرِجِ المُنقدِ

(١) لقيس أيضًا :

ومثلك قد أصبيت ليست بكنة … ولا جارة أفضت إلى هباءها

(٢) ا « مثل » بدل « عند » . (٣) ا « ماحلات » أى متغيرة اللون .

(٤) لا يوجد هذا البيت الأخير فى المصادر السالفة الذكر ، ولكنه ينسجم مع ما جاء فى آخر القصيدة فى الديوان :

وغيبتُ عن يوم كنتى عشيرتى … ويوم بعاث كان يوم التغالب

ولم يكن قيس حضر يوم بعاث .

(٥) د ١ / ٦٧

(٦) المختار من شعر بشار ٢٢١ ونص الشارح ٢٢٣ على أنه مأخوذ من قول قيس كما فى العقد ٣ / ٤٢١ . وذكر العسكرى ١ / ٢٢٩ أن قول قيس مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدت كأن الشمس تحت قناعها … بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب

انظر أيضًا ابن أبى عون ٩٢

٢ ضَنَّتْ بخدٍّ وجلّتْ عن خدٍّ ثم انثنَتْ كالنفَس المرتَدّ

وما قصّر بشار فى هذا المعنى ، بل جوّده وزاد[1] .

وقوله : « فتلك التى كادت[2] ونحن على منى » البيت ، يريد : أنا نظارنا إليها ونحن سائرون ، فلولا أن الإبل ، لما شُغِلْنا[3] بالنظر إليها ، سارت ونحن لا نعلم لكُنّا قد نزلنا[4] . وفيه قول آخر ، وهو أنّا كنا محرمين فكدنا ، بنظرنا[5] إليها أن نحلّ فيفسد إحرامنا[6] . وشبيه بهذا قول الشاعر :

وتستوقفُ الركْبَ العِجَال بطَرْفها فما أحدٌ يمضى من القوم أو تمضِى[7]

وقال آخر :

١ أغَرَتْ[8] بموضع أخمَصِيها طرفَها ؟ تحثو التراب بنظرة المسترعَفِ

٢ أخذَت بألحاظِ الركاب فلَمْلَعَتْ متقــدّمًا منهم على متخلّفِ

---

(١) قال شارح المختار من شعر بشار ٢٢٣ : لم يفسد الآخر (بشار) قول الأول (قيس) ولم يكن الأول بالمعنى أولى من الآخر .

(٢) ا ، م « كانت » وصححت فى م .　　(٣) م « شغلتنا » .

(٤) قال حسان بن ثابت ، د ق ١٧ / ٥ :

ديار التى كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الرواحل

وجاء فى تفسير البيت : يقول لعرفانها كدنا أن نقيم فلا نبرح لولا نجاء إبلنا كما قال قيس ابن الخطيم .　　(٥) ا و م « ننظر » بدل « بنظرنا » .

(٦) فى د « قال الطوسى : أى تجعلنا حلالا ونحن حرام » .　　(٧) « يمضَى » .

(٨) كذا مع بعض الشك ، الهمزة للاستفهام و « غرَت » أى ألصقت ، يصفها بغض البصر وعدم التلفت ، إلا أنى لا أستبعد أن يكون البيت هكذا :

أثرتْ بموضع إخصيها طرفه تحثو الترابُ بطرفه المسترعف

أثر خف البعير : حتى باطنه ليقتص أثره ، يصف المحب بمراقبة سيرها وإيثار للنظر إلى قدميها ، وهذا هو المعنى الذى نحن فيه .

وقوله : « ومثلك قد أصبَيْتُ . . » البيت ، معنى جيد فى الحفاظ ، وقد أخذه بعض المحدثين فقال[1] :

١ قالت — وقلتُ : تحرَّجي وصِلي حبلَ امرئٍ بوصالِكم صبٌّ :
٢ واصِلْ إذن بَعلى ، فقلتُ لها : الغدرُ شيء ليس من شَعْبى[2]
٣ ثِنتان لا أصبُو لوصلِهما عِرسُ الخليل وجارةُ الجنبِ
٤ أمّا الصديق فلستُ خائنَه والجارُ أوصانى به رَبِّى

هذا جيد ، إلاّ أنّ الأوّل أجود ، لأنّه جمع ما احتاج إليه من السكنة والجارة وامرأة الصاحب فى بيت واحد ، وهذا أتى بالجارة وامرأة الصاحب فى أبيات ولم يذكر السكنة ، وهذا المعنى كثير فى أشعارهم قديماً ومحدثاً[3] .

وقوله : « لما رأيت الحرب شبّ أوارُها . . . » البيت ، أراد بالبردَين الشجاعة والشباب ، ويجوز أن يكون أراد بهما ثوبَيه . فأمّا قوله : « ثوب المحارب » فهو الدرع لا محالة ، ثم قال فى ذكر الفرار ما لم يقُله أحد ، جودة وحسن لفظ وصحة معنى . وقوله فى ذكر السيوف : « ناحِلات المضارب » شبيه بقول النابغة[4] :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم بهنّ فُلولٌ من قراعِ الكتائبِ

---

(١) من عدة أبيات للأحوص فى غ ٤ / ٢٦٤ م ، والقالى ١ / ٤٦ ، والحصرى ١ / ١٥١ ، وهى من غير عزو فى نهج البلاغة ٤ / ٥٢٤ .

(٢) كذا فى نهج البلاغة وبعض نسخ الأغانى ، ويروى « ضربى » .

(٣) أخذ هذا المعنى شاعر آخر ، فقال :

ضربت لها الميعاد ليست بكنة ولا جارة يخشى على ذمامها

كذا فى نهج البلاغة ٤ / ٥٢٦ .

(٤) العقد الثمين ق ١ / ١٩

قوله : « إذا ما فرَرْنا » والبيت الذى بعده مأخوذ من قول الأعشى فى يوم ذى قار[١] :

ما فى الخدودِ صدودٌ عن وجوههم ولا عن الطّعن فى اللّبّات منحرَفُ[٢]

وقال عبدُ الله بن رَواحة فى جواب قيس بن الخطيم عن شعره هذا الشعر[٣] :

١ إذا غُبِّرت[٤] أحسابُ قوم وجدتَنا إلى مَشْعَرٍ[٥] فيها كِرامُ الضرائبِ

قوله : « إذا غبّرت . . » البيت ، أى أن يَشِحُّوا[٦] بعد الجود لما صاروا إليه من الشدّة والجهد فى سنة قد تقدّم ذكرها فى الشعر .

٢ نُدافعُ عن أحسابنا بتِلادِنا لمُفْتَقِرٍ أو سائل الحقِّ واجبِ

٣ وأعمَى هدَتْه للسبيل حُلُومُنا وخَصْمٍ أقمنا بعدَ تَلْجيج شاغبِ[٧]

٤ ومُعترَكٍ ضَنكٍ ترى القومَ وسطَه مشَينا له مشىَ الجِمالِ المَصاعبِ

أخذ قوله : « مشينا له » من النابغة فى قوله[٨] :

إذا نزلوا عنهنّ للضَّرب أرْقَلوا إلى المَوتِ إرقالَ الجِمالِ المَصاعبِ

(١) د ق ١٦٤ / ٧ . (٢) م « ينحرف » .

(٣) د قيس بن الخطيم ص ٣٧ الأبيات ٧ – ١٠ .

(٤) يروى « عبرت » بالعين المهملة .

(٥) بهامش م « معشر » ، صح » وبهامش ب « لعله معشر » ولا حاجة إلى التصحيح ، فإن المشعر هو الشجر الملتف . (٦) م « شحوا » ا « تسخوا » .

(٧) ا « تاحيج ساغب » ب « تاحيج شاغب » ، والرواية فى الديوان : « بعد ما لج شاغب » .

(٨) العقد الثمين ق ١ / ١٦ ، وهو من المعانى التى سبق إليها النابغة ، كذا فى لمنثور والمنظوم لابن طيفور – رقم ٥٨١ أدب بالدار – ص ١٠٠ ، ولقيس بن الخطيم – د ق ١٣/٤ مثل قول النابغة تماماً :

رجال متى يُدعوْا إلى الموت أرقلوا إليه كأرقال الجمال المصاعب

وقال رفاعة بن خالد[1] الواقفى من الأنصار[2] :

---

(١) كذا ، إلا أنى أميل إلى أن يكون « خالد » تصحيفا لـ « زنبر » و « رفاعة ابن زنبر » ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٢ / ١٧٩ [وقد فرق أبو نعيم بينه وبين « رفاعة ابن عبد المنذر بن رفاعة بن زنبر » الذى لم يعقب – أسد الغابة ٢ / ١٨١ – كذا أورده ابن حجر مع أن ابن حجر كان يميل إلى أنهما واحد ، انظر الإصابة ٢٦٥٩ و ٢٧٥٧] .

ثم هل « رفاعة بن زنبر الواقفى من الأنصار » هذا هو والد « قيس بن رفاعة » الآتى ذكره آنفا ؟ لقد ذكر ابن حجر – الإصابة ٧١٦٣ – قيس بن رفاعة [ولايهمنا فى هذا المقام الترجمة الأخرى ٧١٦٤ لقيس ابن رفاعة الانصارى فإنهما رجلان اثنان يختلف نسبهما كما جزم بذلك صاحب الخزانة ٢ / ٤٩] عن المرزبانى ٣٢٢ ونص على أنه واقفى أنصارى [مجموعة المعانى ١٤٩ « قيس بن رفاعة الأنصارى» والبصرية ١٤ « قيس بن رفاعة الواقفى »] كما أن المرزبانى ٢٣٤ ذكر أيضاً « عمرو بن رفاعة الواقفى الأوسى » – هكذا فى ابن الجراح – وربما قيل عن هذا الشاعر أنه « أبو قيس بن رفاعة » كذا سماه الجمحى ٧٢ وهو فى حم البحترى ٢٤ « أبو قيس بن رفاعة الأنصارى » وقال البكرى فى اللآلى ٥٦ « هكذا رواه أبو على قيس ابن رفاعة فى أماليه (١١) ورويته فى إصلاح المنطق عن يعقوب : أبو قيس بن رفاعة ، وهو الصحيح واسمه دثار » إلا أن البكرى قال أيضاً فى التنبيه ٢٢ « إنما هو أبو قيس بن أبى رفاعة ، واسمه دثار » وهذا الاسم « دثار » هو فى العينى ١ / ١٦٧ عن اللآلى « دينار » ولا يخفى أن « دينار » هو تصحيف شائع قديم لـ « زنبر » وقد نبه على هذا بالتفصيل ابن الأثير ٢ / ١٨٢ (انظر أيضاً الإصابة ٢٧٥٧) وأرى أن « دثار » ليس إلا تصحيفا آخر لنفس الكلمة . وإذا تأكدنا من كلمة « زنبر » فالأرجح أن نفسر كلام البكرى بأن « زنبر » هو اسم « أبى رفاعة » فيكون النسب هكذا : قيس بن أبى قيس رفاعة بن أبى رفاعة زنبر ، – ومن هذا يتضح مدى سوء الفهم الذى نشأ من إسقاط كلمة « أبى » قبل « رفاعة » [ومن حسن الحظ أنها بقيت فى التنبيه] ثم من تصحيف « زنبر » إلى « دثار » و « دينار » وتبادر الذهن إلى أنه اسم لأبى قيس (بدل « أبى رفاعة ») . وبناء على ما ذهبنا إليه يكون الشك من الرواة فيما إذا كان القائل قيسا أو أباه لا فى اسم القائل هل هو قيس أو أبو قيس .

على كل حال فمما لا شك فيه أن رفاعة هذا ، وقيس بن رفاعة الآتى ذكره كلاهما من بنى واقف ، واسمه مالك [« سالم بن مالك بن الأوس » فى التاج (وقف) عن الصحاح والسمعانى (الواقفى) والمعارف لابن قتيبة ٥٥] بن امرئ القيس بن مالك ابن الأوس . وكثيراً ما خلط ناس بين « أبى قيس بن رفاعة » و « أبى قيس بن الأسلت » (انظر العينى ١ /١٦٧) لأن الأخير هو أيضاً ينسب إلى واقف مع أنه من وائل ، كذا فى ابن هشام ١٧٨ .

(٢) ـــ البيت الثالث إلى قيس بن الحطيم فى حم البحترى ١٦٦ (عنه فى د ص ٤٣) .

١ لا مهاذير فى النّدىّ ولا ينـــفكُّ فيه لهم ندى وسماحُ
٢ منهم القائدُ الكتيبة بالسّيـــفِ كما يكشفُ السحابَ الرياحُ
٣ فيهـــم للمُلايِنِـــينَ أناةٌ وطِمَاحٌ إذا يُراد الطِّماحُ
٤ ومداريكُ للذُّحـــول مَبَا ذيلُ إذا قلّ فى السّنين اللّقاحُ

[الرواية : القلاح[1]][2] .

وقال قيس بن رفاعة[3] :

١ إنْ نُصبحِ اليومَ قد خفَّتْ مجالسُنا والموتُ أمرٌ لهذا الناس مكتوبُ
٢ فقد غَنِينا وفينـــا سامِرٌ غَرِدٌ وصارِخٌ كأَتِيِّ السَّيلِ مَرْهوبُ[4]

وقال نَهيك بن أُساف :

١ لعمرى لقد أكرمتُ ندبة وابنها ولكن عِرقَ السوء فى المرء غالبُه
٢ فلسنا ، وإن قَلَّتِ السَّفَاهةَ والخنا ، بأوّل من يَثْروه[5] يوماً أقاربُه
٣ ولو قلتِ بالمعروف أبيات أنّنا[6] إذا الكبشُ لاحَتْ فى الصباح كواكبُه
٤ نطاعِنُه حتى نُصرِّعَ حولَه ونمشى إلى أبطالِه فنضارِبه

---

(١) تقلح فلان البلاد : تكسب فيها فى الجدب ، كذا فى التاج ، ولعل هذا المعنى هو المراد هنا ، وإلا فالقلاح صفرة تعلو الأسنان لا غير .

(٢) ثبت ما بين المعقفين بهامش م لا بالمتن

(٣) البيتان مع ثالث فى المرزبانى ٢٣٤ لـ « عمرو بن ثعلبة وقيل (هكذا فى ابن الخراج) عمرو بن رفاعة الواقفى الأوسى الجاهلى » وانظر اللآلى ٥٦ و ٧٠٢ .

(٤) قارن قول قيس بن الخطيم ، د ق ٤ / ١٤ :

إذا فزعوا مدوا إلى الميل (الليل) صارخاً كموج الأتىّ المزبد المتراكب

(٥) تهذيب الألفاظ ص ١ « ترى بنو فلان بنى فلان إذ صاروا أكثر منهم مالا يثروانهم ثروة .

(٦) ا « أينا »

وقال قيس بن رفاعة[1] :

١ وخيلٍ بعضُها حربٌ لبعض ... بحرٍّ طِرادها أُصُلًا صَليتُ
٢ وفتيانٍ أطاعوا اللهوَ عندى ... فآبوا حامدين وما خَزيتُ[2]
٣ ولم أغنمْ حلال القوم همّى ... أُعدِّدُ بالأصابع ما رُزيتُ
٤ متى ما يأتِ يومى لا تجدْنى ... بمالى حين أبذُلُه شَقِيتُ
٥ ولا بموفِّرٍ شيئاً عليه ... من الحق الملطّ إذا اجْتُدِيتُ[3]

من شعر القتال الكلابي

وقال القتّال الكلابىّ :

١ لقد ولدتْ عوفَ الطمان ومالكا ... وعمرو العُلَى والحارث المتنَجّبا[4]
٢ رجالٌ بأيديها دماءٌ ونائلٌ ... يكادُ عَلَى الأعداء أنْ يتحلّبا

ومن هذا أخذ البحترى قوله[5] :

١ وصاعقة فى[6] كفّه ينكفى بها ... على أرؤس الأبطالِ[7] خمس سحائبِ
٢ يكاد النّدَى منها يفيض على العِدى ... مع السيف فى ثِنْيَىْ قنا وقواضبِ

والبحترى وإن كان أخذ المعنى وأتى به فى بيتين ، فقد جوّد وأحسن ،

(١) من قصيدة له فى حم ابن الشجرى ٢٥ ، وهناك الأبيات : ٤ و ٢ و ١ والجمحى ٧٢ ، وهناك البيت ٤ .

(٢) فى الأصول « جزيت » والتصويب عن حم ابن الشجرى .

(٣) غيرت فى ب « احتذيت » .

(٤) ا « المتنخبا » م « المتجنبا » ، وهذا الأخير تصحيف .

(٥) د ١/٧٣ والعسكرى ١/١١٧ والمعاهد ٤٠ .

(٦) ا « من » بدل « فى » .

(٧) ا « الأعداء » كما فى المثل السائر ٢٢٩ وفى د « الأقران » .

وَفَاقَ على وِفَاقٍ[1] الأوّل بما أبدَع فى المعنى الأول وزاد ، لأنّه صيّر السيفَ صاعقةً ، فيجوز أن يكون أراد حديدة من صاعقة ، على ما يحكى بعض الناس فى الصواعق ، ويجوز أن يكون شبّه السيف بالصاعقة لحدّته ، وأنّه يتلف ما مرّ به ، ثم ذكر أنه ينكفى به على أرؤس الأبطال خمس سحائب ، يعنى أصابع الممدوح[2] . ومن النادر فى هذا البيت أنه صيّر السحائب مع الصاعقة ، إذ كانا من جنسٍ واحد . وتقول الفلاسفة : إنّ الصواعق تكون مع السحائب الصَّيْفِيَّة دون الأمطار المطبقة فى الشتاء . وممّا يقوى هذا القول قولُ لبيد يرثى أخاه أَرْبَد وقد أحرقته الصاعقة[3] :

أَخْشَى على أربدَ الحُتُوفَ ولا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأسدِ

وهذان الكوكبان من منازل القمر ، مطلعهما فى آخر الربيع وأوّل الصيف .

وهذا هو الحذق فى الشعر وأخذِ معانيه ، ومَن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحقّ به ممّن ابتدعه . وقد شرحنا أمر المعانى شرحاً شافياً فى رسالتنا التى ذكرنا فيها شعر أبى نواس ، فلذلك لم نشرح ههنا إلاّ اليسير . وبعدُ وقبلُ فقد سبق البحترى جميع الشعراء فى هذا المعنى حُسناً وملاحة وصحة وفصاحة .

[الحذق فى / وأخذ / ب]

(١) ب « البيت » مكان « رفاق » مع أثر الحك ، وليس هناك سهو .

(٢) جاء فى العسكرى : هذا البيت أجود ما قيل فى معناه ، جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب سحائب تجود على المؤملين بنيلها وتقتل معاديه بصاعقتها ، وفى المثل السائر ٢٢٩ : وهذا من النمط العالى الذى شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر إلى استعارته والمراد بالسحائب الخمس الأصابع .

(٣) سار أربد (مع عامر بن الطفيل) إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فأصابته صاعقة نهلك فقال فيه لبيد البيت . انظر د ١٧ واللآلى ٢٩٧ – ٢٩٨ والآمدى ٢٩ والمرزبانى ٢١٠ والشعراء ١٥١ .

وكان القتّال الكلابىّ أحدَ فتّاكِ[1] العرب ، وهو ممّن كان يطرده قومه لكثرة جناياته ، فرُوِى عنه أنه سلك فى بعض الأودية ، وكان مسلكا ضيّقاً ، فبينا هو فيه إذا هو بأسد مفترش ذراعَيه على الطريق ، ولم يعلم حتى هجم عليه ، فخشى أن يرجع فيبادره ، فلم يجد مقدماً إلاّ بقتله . فانتضى سيفه وحمل على الأسد فقتله وقال :

١ أتَتْكَ المنايا من بلادٍ بعيدة بمنخرقِ السربال عَبْلِ المناكبِ

٢ أخى العرفِ والإنكار يَمْلُوكَ وقعةً[2] بأبيضَ قطّاعٍ وراء الضرائبِ

في صفة السيف

[انظر أيضاً ص٦٠ و١٦٢]

هذا البيت فى صفة السيف نهاية فى الجودة . ولولا كثرة ما ذكر به السيف واتّساعه فى أيدى الناس لأتينا منه ههنا بقطعة صالحة إلا أنه مشهور كثير فلذلك تركنا ذكره .

وللقتال أيضاً يهجو قوما ويذكر أنّ لهم عدداً وسلاحاً ولكنهم لا يثبتون فى الحرب لمن قاتلهم بل ينهزمون ولا يثبتون :

١ أفى كلِّ يوم لا تزال كتيبةٌ عقيليةٌ يَهفو عليكم عقابُها ؟

٢ وأنتم عديد فى حديد وشَفْرةٍ[3] وغابِ رماحٍ يَكْسِفُ الشمسَ غابُها

٣ فما الشرُّ كلَّ الشرِّ لا خيرَ بعده على الناس إلّا أن تَذِلَّ رقابُها

وقال أيضاً[4] :

١ وبَيِّتُ يَنتَحِى الأمورَ وبطنُه طَيَّانُ طَىَّ البرد يَحْسَبُ جائعا

٢ من غير ما عُدْمٍ ولكن شيمة إنّ الكرامَ هم الكرامُ طبائعا

---

(١) م و ب «قتال» وصححت الكلمة بهامش م «فتالا» .

(٢) ا و ب «بعدك دفه» م «...» وفى «التصحيح سنا ولا يبعدان تكون «يفشاك (يغشك)» .

(٣) ا «شغرة» ب و م «شدة» .

(٤) من قصيدة (٢٠ بيتا) فى مدح عبد الله بن حنظلة الكلابى فى منتهى الطلب ١/٢٦٩ .

من شعر حميد بن ثور الهلالي

وقال حُميد بن ثَور الهلالي ووجّه صاحبَين له إلى عشيقته فأوصاهما وصيّة ما فوقها زيادة ، وعرّفهما من التلطّف والحِيَل أموراً ما أتى أحد بمثلها ولا قارب وهو[1] :

١ خليلَيّ إنّي مُشتَكٍ ما أصابَني ... لِتَستَثبِتا ما قَدْ لَقِيتُ وتعلَما

٢ أمِنْتُكما إنّ الأمانةَ مَن يَخُنْ ... بها يحتمِلْ يوماً من الله مأثَما

٣ فلا تُفشِيا سِرّا ولا تَخذُلا أخاً ... أبَثّكما منه الحديثَ المكتّما

٤ لتتّخذا لي ، بارَكَ اللهُ فيكما ، ... إلى آلِ ليلَى العامريّةِ سُلّما

٥ وقولا ، إذا وافَيتُما أرضَ عامرٍ ... وجاوزتُما الحيَّين نَهداً وخَثعَما :

٦ نَزيعانِ من جَرمِ بن رَبّانَ أنّهم ... أبَوْا أن يُرِيقُوا في الهَزاهِزِ محجَما

٧ وسِيرا على نِضوَيكما وتقصّدا ... ولا تحمِلا إلّا زِناداً وأسهُما

٨ وإن كان ليلاً فالْوِيا نسبَيكما ... وإن خفتُما أن تُعرَفا فتلثّما

٩ وزادًا قليلا خَفّفاهُ عليكما ... ولا تُبدِيا سِرّا لِقومٍ فيُعلَما

١٠ وقُولا : خرجنا تاجِرَين فأبطأتْ ... رِكابٌ تَركناها بتَثليثَ قُوَّما

١١ ومُدّا لهم في السَّومِ حتى تَمكّنا ... ولا تَستَلِجّا صفقَ بيعٍ فتَلزَما[2]

١٢ فإن أنتُما اطمأنَنتُما وأمِنتُما ... وأخلَيتُما ما شئتُما فتكلّما

١٣ وقُولا لها : ما تأمُرِينَ بصاحبٍ ... لنا قد تَركتِ القلبَ منه مُتيَّما

١٤ أيادِي لنا أنّا رَحَلنا مطيَّنا ... إليكِ فلم نبلُغكِ إلّا تجشُّما

١٥ فجاءا وأمّا يَقضِيا لِيَ حاجةً ... إليها ولمّا يجعَلا الأمرَ مُبرَما

---

(١) د ص ٢٧ - ٣٠ .

(٢) ا و ب « فيلزما » وعلق عليه الشيخ الميمني بقوله : وما عليه لو تمت الصفقة ! وفتلزما : أي لا يلزموكم فيعوقوكم عن حاجتكم .

١٦ فما[1] لهما من مرسَلَين لحاجة أسَافًا من المال التِلادَ[2] وأعْدَما

معنى الهـ

أما قوله « وقولا إذا وافيتُما » البيت وقوله « تزيعان » البيت بعده فمن طريف[3] الهجاء ودقيقه ومحضه ؛ وذلك أنه ذكر قوما فقال : هم لا يَقتُلون ولا يُقتَلون فليس أحد من العرب يطلبهم بوتر ولا طائلة ، فلذلك أمر صاحبيه بالانتساب إليهم لئلاّ يذكرا[4] غيرهم من القبائل فيكون الذى يسألهما عن نسبهما يطلب تلك القبيلة التى ذكراها بطائلة فيقتلهما . وهذا من غريب الهجاء وبديعه . وشبيه به قول الآخر[5] :

١ إذا الله عادى أهلَ لُؤم ودِقّة[6] فعادَى بنى العَجلان رهطَ ابن مُقبِلِ

٢ قُبيِّلَة لا يغدرون بذمّة ولا يظلمون الناسَ حبّة خَرْدل

٣ ولا يَرِدون الماء إلاّ عشيّة إذا صدرَ الوُرّادُ عن كلِّ منهلِ

يريد أنهم لا يستطيعون أن يغدِروا ولا يَظلِموا أحدا ولا يَرِدون الماء حتى يصدر الناس عنه لضعفهم وذلّتهم ، وهذا مثل قول بنتى[7] شعيب لموسى عليهما السلام وقد سألهما عن وقوفهما والناس يسقون ، وقد قالتا له : « لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدِرَ الرِّعَاءُ »[8] فهؤلاء نساء وحقهم الضعف عن مقاومة الرجال .

---

(١) هى الرواية وفى ا « نيما لهما » .

(٢) فى الأصول « البلاد » وقد صححت فى م .

(٣) ا و ب « ظريف » .

(٤) فى الأصول « يذكران » .

(٥) من خمسة أبيات للنجاشى الحارثى فى الشعراء ١٨٨ – ١٨٩ والحصرى ١/١٩ – ٢٠ وحم ابن الشجرى ١٣١ وهى ستة فى خ ١/١١٣ وانظر أيضا العسكرى ١/١٧٦ والعقد ٣/٩ – ٤٠٨ والعمدة ١/٢٧ والبيان ٤/٣٧ وابن مقبل هو تميم بن أبى بن مقبل وسيأتى الأخيران ص ٣٥٣ ، انظر أيضا ص ٢٧٦ .

(٦) يروى أيضا « رقة » .

(٧) فى الأصول « بنات » .

(٨) سورة ٢٨ القصص /٢٣ .

وشبيه بهذا المعنى قول الأعجم[١] :

ويشكر لا تستطيع الوفاء   وتعجز يشكرُ أن تغدِرَا

فهذا ذكر أنّ الغدر في طباعهم إلّا أنهم يعجزون عنه لذلّهم وقهر الناس لهم .

وذُكِر أن بني العَجلان استَعْدَوْا عمر بن الخطّاب على الذي هجاهم بالشعر الذي ذكرناه، وقالوا هجانا هجاء ما هُجِيت العربُ بأقبح منه . فقال لهم : أنشِدوني ما قال فيكم ، فأنشدوه :

قُبَيِّلة لا يغدرون بذمّــــة   ولا يظلمون الناسَ حبّةَ خردَلِ

فقال : ليتَ الخطّابَ وأهلَ بيته وجميعَ بني عديّ بن كعب بهذه الصفة ، لا يغدرون ولا يظلمون ، ما أرى بأسا ، هيه ، فقالوا :

ولا يردون الماء إلاّ عشيّةً   إذا صدر الورّاد عن كل منهل

فقال : ذاك أصفَى للماء وأجَمُّ له ، ما أرى بأسا ولا على قائل هـــذا الشعر عقوبة ولم يُعْدِهم عليه . وعُمر كان أعلمَ بالشعر من قائله ولكنّه أراد بهذا معنًى . سياق معنى الهجاء ص٦٠و١٣٩ – ١٤٣ و ٢٧٦ و ٢٩٢

وأمّا قول حُميد بعد وصيته لصاحبَيه بما ذكرناه « ومدًّا لهم في السوم » البيت [فنهاية في التيقظ][٢] .

و[أمّا][٣] قوله وقد عاد إليه رسولاه بغير قضاء حاجة « فما لهما من مرسلَين » البيت فقد جوّد لهما إذ كانا يستوجبان أضعاف ما دعا عليهما به لتقصيرهما مع وصيته إياهما واحتياطه في توجيههما واشتّان بينهما وبين صاحبة ابن أبي ربيعة الّتي يقول فيها[٤] :

---

(١) زياد الأعجم انظر الشعراء ٢٥٧ يقوله في قتادة بن مغرب اليشكري وكان يهاجيه .

(٢) زيادة في ب .   (٣) سقط من ا .

(٤) جاء في غ ١/١٣٤ : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأة يقال لها « أسماء » فوعدته أن تزوره فانتظرها وأبطأت عنه حتى نام . وكانت عنده جارية له تخدمه ، فلم تلبث أن جاءت =

١ وبعثنا طَبَّةً عالمـــــةً تخلِط الجِدَّ مِرارا باللَّعِبْ
٢ ترفَعُ الصوتَ إذا لانَتْ لها وتُراخى عند سَوْرات الغَضَبْ

هذه بلغت بغير وصية كلَّ ما فى نفس صاحبها، وهذان لم يبلغا، مع وصية صاحبهما، شيئا.

معنى « كفى بالسلامة داء »

ولحميد فى هذا الشعر بيت قد أكثرت الشعراء فى القديم والمحدث فى معناه فما فيهم أحدٌ أتى به إلا دون بيت حُمَيد، وهو قوله[1]:

أرى بَصَرى قد خاننى بعد صحّةٍ وحسبُك داءً أن تصِحَّ وتَسْلَمَا

هــذا بيت قد جمع مع صحة المعنى جودةَ اللفظ وحسنَ التقسيم وملاحة الـكلام، وإن كان أخذه ممن قبله[2] فقد زاد عليه لأنَّ النَمِرَ[3] بن تولب أول من أتى بهذا المعنى فى قوله[4]:

= ومعها جارية لها فأمرت الجارية أن تضرب الباب فضربته فلم يستيقظ، فقالت لها: تطلعى فانظرى ما الخبر، فقالت لها: هو مضطجع وإلى جنبه امرأة، فحلفت لا تزوره حولا، فبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه فصدقتها عن قصته وحلفت لها أنه لم يكن عنده إلا جاريته فرضيت. وإياها يعنى عمر بقوله: فأتتها طبة الخ والبيتان فى د ص ١٥٤ وانظر الحيوان ١/١٦٩.

(١) قال ابن قتيبة، الشعراء ٧: لم يقل فى الكبر شىء أحسن منه. والبيت له فى اللآلئ ٥٣٢ ورحم البحترى ١٤٤ والحصرى ١/٢٠٢ وخ ١/٢٢٣ ومجموعة المعانى ٧ والكامل ١٢٥ و ٥٠٦ وابن أبى عون ٢١٧ والنويرى ٣/٦٥ ونسب إلى عبدة بن الطبيب فى نهج البلاغة ٤/٢٩١.

(٢) فى البيان ١/١٢٤: لعل حميدا أن يكون أخذه عن النمر بن تولب.

(٣) ب و م « النمير » كذا فى الموضع الآتى.

(٤) قبله: كانت قناتى لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء
والبيتان فى الحصرى ١/٢٠١ - ٢٠٢ لعمرو بن قميئة [لم يثبتا فى د] وفى مجموعة المعانى ٧ لعبد الرحمن بن سويد المرى وفى الكامل ١٢٥ لبعض شعراء الجاهلية وقد فرق صاحب الخزانة ١/٣٢٢ - ٣٢٣ بين البيتين فنسب الأول إلى بعض شعراء الجاهلية والثانى إلى « آخر » - والبيت عند الثعالبى: خاص الخاص ٨٠ والإيجاز والإعجاز ٤٠ للنابغة الجعدى والبيتان عند الثعالبى أيضا فى التمثيل والمحاضرة للبيد.

ودعوتُ ربِّي بالسلامة جاهدا ليُصحَّنِي فإذا السلامةُ داء

وهذا البيت وإن كان الأولَ نبيت حميد أحسن كلاما وأجودُ وصفا . وروى أن ابن عباس سمع منشداً ينشد بيت النمر هذا فقال : لا إله إلا الله ، ما أعجبَ هذا ! كلام العرب متشبك بعضُه ببعض . قال النبي صلى الله عليه وسلم[1] : لو لم يُوكل بابن آدم غير الصحة والسلامة لأوشكا[2] أن يُتلِفاَ[3] ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أتى بهذا المعنى منثورا وأتى به الشاعر منظوما . وقد ذ[كر] جماعة من الشعراء المتقدمين والمحدثين هذا المعنى فبعضهم قارب وبعضهم قصّر . والأجود من كل ما قيل في هذا الباب بيت حُميد . ولبعض المتقدمين فيه[4] :

ويهوَى الفتى طول السلامة جاهدا فكيف يُرى طولَ السلامة يفعَلُ

هذا وإن كان قائله متقدما فهو دون ما ذكرنا ، لأنه لم يبيِّن المعنى كما بيَّنه غيره ، ولهذا قيل : المعنى لمن اخترعه ، فإن زاد [عليه][5] الآخذُ له فهو أحقُّ به ، وإن قصَّر عنه فإنَّما فضَح نفسَه . وقد جوَّد أبو العتاهية هذا المعنى في قوله[6] :

نهوَى من الدنيا زيادتَها وزيادةُ الدنيا هي النقصُ

---

(١) الذي روى في المراجع السالفة الذكر قوله « كفى بالسلامة داء » كذا في الصناعتين ٢٨ أيضا وهو أوفق ، وجاء في الراغب قوله « لولم يكسب ابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفى بهما داء » ومثله قول علي « نهج البلاغة ٤/٢٩١ : كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم بصحته : هذا وقد ثبت في د حميد ص ١٣٤ (عن معجم الأدباء لياقوت ٤/١٥٥) بيتان في هذا المعنى :

لو لم يوكل بالفتى إلا السلامة والنعم
وتتاراداه لأوشكا أن يسلماه إلى الهرم

(٢) ا و ه « لأوشك » . (٣) ب « تبلعا » .

(٤) في المراجع نفسها روى البيت للنمر بن تولب وهو من كلمة طويلة له في الصناعتين ١٢٦ ، والظاهر أن الخالديين إنما خلطا هذا البيت بالبيت السابق .

(٥) سقط من ا . (٦) د ١٣٦ .

وقال أيضاً[١] :

* أسرعَ فى نَقصِ امرئٍ تمامُه *

وفى مثله يقول الآخر[٢] :

وتحسِب أنّ النقصَ فيك زيادة   وأنت إلى النقصان حين تزيدُ

ولو ذهبنا إلى استغراق جميع ما فى هذا الباب لطال واتّسع .

وقال حميد أيضاً[٣] :

١ ليالِيَ أبصارُ الغوانى وسَمْعُها   إلَيّ وإذ رِيحى لهنّ جَنوبُ

٢ وإذ ما يقول الناسُ شىء مُهوّنٌ   علَيّ وإذ غُصنُ الشبابِ وطيبُ

٣ فلا يُبعِدِ اللهُ الشبابَ وقولَنا :   إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

٤ فإنّ الذى يشفيكَ مِمّا تضمّنَتْ   ضلوعُكَ من وَجْدٍ بها لطبيبُ

٥ وإنّ الذى منّاك أن تسعف النوى[٤]   بها بعد أيام الصِّبَى لكذوبُ

أما قوله فى ذكر النساء « وإذ ريحى لهن جنوبُ » فإن الجنوب عند العرب أحمد[٥] من الشمال لأنها تجلب المطر ويكون معها السحاب ، والشمالُ تقطع السحاب ولا يكون مع أكثرها مطر ولذلك فضّلوا الجنوبَ على الشمال[٦]

(١) له فى الصناعتين ٢٨ والبيان ١/١٥٤ وابن أبى عون ٢١٧ حيث ورد الشطر الثانى : يا ذا الذى قد بعدت أيامه .

(٢) ما أقرب هذا من قول أبى العتاهية د ٨٣ :

يرى ما يزيد فى الزيادة نقصه   إلا أن نقص الشىء حيث يزيد

(٣) د ص ٥٢ .   (٤) ب « أحب » .

(٥) م « المنى » [كما فى د] وصححت بالهامش « النوى » .

(٦) فى الميدانى ١/٢٥٤ : « ريحها جنوب » يضرب للمتصافيين فإذا تكدر حالها قيل « شملت ريحها » .

وأما قوله :

فلا يبعد الله الشبابَ وقولَنا[1] إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

فمن أملح الكلام وأطرفه[2] وأرقه ولو لم يكن فضائل الشباب غير ما ذكر الشاعر في هذا البيت لكفاه ، ولم نعلم أحدا أتى بأحسن من هذا المعنى واللفظ في تذكر عهد الصبا وأيام البطالة . وشبيه بقوله « إذا ما صبونا » البيت قول بعضهم[3] :

١ أتانا بها حمراء يحلفُ أنهـــا طبيخٌ فصدّقناه وهو كذوبُ
٢ فهلْ هي إلّا ليلةٌ غاب نحسُها أواقِعُ فيها الذنبَ ثمّ أتوبُ

ومثله قول أبي نواس[4] :

١ لو شئتَ لم نبرحْ من القُفْصِ نشربُهـــا حمراء كالحُصِّ
٢ نسرق هذا اليومَ من ربِّنا وإنمـــا يُعفَى عن اللِّصِّ

وشبيه به بيت قرأناه في هيكل دير مَتّي وهو :

١ سقِّنا يا غلام في هيكل الدّيْـــرِ شراباً يختـــاره الرهبانُ

---

(١) ا و م « نزله » وقد صححت في م . (٢) ا « أظرفه » .

(٣) هما في العقد ٤/٣١٩ لعبد الله بن المقفع باختلاف وفي القالي ٢/٥٩ لأعراب « دخل على بعض الأمراء وهو يشرب فجعل يحدثه وينشده ثم سقاه ، فلما شربها قال : هي والله أيها الأمير ، أي هي الخمر ، فقال : كلا ، إنها زبيب وعسل ، فلما طرب قال له : قل فيهما ، فقال البيتين .

(٤) لا يوجد البيتان في د إلا أنه جاء في العقد ٤/٣٦٧ ، قال ابن قتيبة ، خرج أبو عيسى جبريل بن أبي عيسى إلى متنزه له بالقفص ومعه الحسن بن هانئ في آخر شعبان . فلما كان اليوم الذي أوفى به الشهر ٣٠ يوما ، قيل له : إن هذا يوم شك وبعض أهل العلم يصومه ، فقال : لا عليك ، ليس الشك حجة على اليقين ، ثم قال لابن أبي عيسى : لو شئت الخ « من شهرنا » بدل « من ربنا » — والبيت الثاني من غير عزو في الراغب ٢/١٨١ . وقال ياقوت : القفص قرية مشهورة قريبة من بغداد كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه تنسب إليها الخمور الجيدة ، وذكر أبياتا أخرى لأبي نواس فيها .

٢ [هاتِها كالعقيق حمراء ولْيَجْـــهَدْ علينا بجهده رمَضــانُ][1]

٣ هو يومٌ مكانَ يومٍ ويعفو الـلّـــهُ عنّا فربُّنا منّــانُ

ولجيد أيضاً من قصيدة[2] :

١ قضَى اللهُ فى بعضِ المـكاره للفتى برُشدٍ وفى بعضِ الهَوَى ما يُحاذِرُ

٢ ألم تعلمِى أنِّى إذا الإلفُ قادَنى سوى القصد لا أنقادُ والإلفُ جائرُ[3]

٣ وقد كنت فى بعض الصَّباوة[4] أتَّقِى أموراً وأخشَى أن تدور الدَّوائرُ

٤ واعـــلم أنِّى إن تغطَّيتُ مرَّةً من الدهر مكشوفٌ غِطائى فناظِرُ

٥ وما خلقتنا إذ ليس بحجزٍ بَيننـا وبين العِدَى إلّا القنا والحوافِرُ[5]

٦ ووصل الخُطَى بالسيف والسيف بالخطَى إذا ظَنّ أن السيفَ ذو السيفِ قاصِرُ

٧ إلى أن نزلنا بالفَضَــاء وما لنا به مَعقِلٌ إلّا الرماحُ الشواجِرُ

أما قوله « قضى الله فى بعض المـكاره » البيت فمثل من أمثال العرب جيّد ، وذلك أنه لم يقل « قضى الله فى المـكاره » فيجمعها كلّها فصيَّر الرشد فى بعضها وكذلك فى بعض الهوى ، وهو مثل قول الله سبحانه[6] « وعَسَى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لـكم » فالله عزّ وجلّ إنما ذكر شيئاً من أشياء كثيرة ، وكذلك الشاعر جعل فى بعض الـكره رشدا ، وفى بعض الهوى حَذَرا ، وقد قال بعض المحدثين فى هذا المعنى وجوّد[7] :

معنى الرشد فى بعض المكاره وعكسه

(١) سقط البيت من م .

(٢) د ص ٨٧ — ٨٩ . وروى الأولان لعامر بن الطفيل فى الحماسة ٣٤٢ .

(٣) ا « حاير » .

(٤) ا « النباوة ؟ »

(٥) فى د « إلا القنى الخواطر » .

(٦) ا « عز وجل » بدل « سبحانه » .

(٧) هما لأبى العتاهية د ١٠٢ وغير منسوبين فى حم البحترى ٣٦٩ ومع ثالث فى البيتى ١٣١ — ١٢٢ والثانى فقط فى الكامل ١٨٣ و خ ٣/٤٥٧ .

[مثاله نظائر أخرى ص ٢٠٣]

١ توكَّلْ على الرحمن في كلّ حاجةٍ طلبتَ فإنّ اللهَ يقضي ويَقدِرُ
٢ وقد يهلِكُ الإنسانُ من وَجْه أَمْنِه وينجو بإذن الله من حيثُ يحذَرُ

معنى وصل السيوف بالخطى

وأما قوله « ووصل الخطى بالسيف » البيت فمأخوذ من قول الأنصارى(١) :

إذا قَصَرتْ أسيافُنا كان وصلُها خطانا إلى أعدائنا فنُضَارِبُ

ومن قول الآخر(٢) :

نصلُ السيوفَ إذا قصُرن بخَطْونا قُدُما ونُلحِقُهنّ إن لم تَلْحَقِ

---

(١) يعنى قيس بن الخطيم والبيت هو الشاهد الخامس بعد الخمسمائة من شواهد سيبويه والرواية هناك « فنضارب » بكسرة الباء ، قال صاحب الخزانة ٣/١٦٤ : البيت من قصيدة بائية مجرورة لقيس بن الخطيم (د ق ٤/٢٠ وقد مضت منها أبيات ص ١٥) أوردها المبارك بن محمد بن ميمون فى منتهى الطلب (٢/١٠٠ والرواية هناك « للتضارب » وفى رواية ابن السيد فى خ « للتقارب » وفى د « بالتقارب ») وقد وقع فى شعرين رويهما مرفوع أحدهما فى قصيدة للأخنس بن شهاب التغلبى [أخذه قيس بن الخطيم وجعله فى قصيدة مجرورة القوافى ، كذا فى خ ١/٣٤٤] أوردها المفضل وروى المصراع الثانى كذا « خطانا إلى القوم الذين نضارب » (المفضلية ق ٤١/٢٤) وهى فى الحماسة ٢٤٧ . أما الشعر الثانى فهو من قصيدة لرقيم أخى بنى الصادرة المحاربىّ وقد ورد البيت الشاهد مع آخرين فى حم ابن الشجرى ٤٩ لسهم ابن مرة المحاربى فظهر ان البيت من ثلاث قصائد ، قال ثعلب : هذا البيت يتنازعه الأنصار وقريش وتغلب وزعمت علماء الحجاز أنه لضرار بن الخطاب الفهرى أحد بنى محارب من قريش . انتهى ملخص كلام البغدادى والبيت من غير عزو فى النويرى ٣/٢٢٩ والرواية هناك « فنقارب » . هذا وضبطت الكلمة « فنضاربُ » بضم الباء فى م والكسرة أولى نظرا إلى نسبة البيت إلى الأنصارى إلا أن الخالديين ربما ظنا خطأ أن بيت الأنصارى مرفوع الروى كما يظهر من كلاميهما على قصيدة الأخنس بن شهاب التغلبى ص ٣٣٧ .

(٢) البيت لكعب بن مالك فى البيان ٣/٢٦ وذيل القالى ٣٠ والكامل ٦٦ ، من قصيدة قالها فى وقعة الأحزاب انظر خ ٣/٢٢ وهو « أمدح بيت قالته العرب فى الشجاعة » كذا فى الحصرى ٣/١٨٣ و ٤/٢١٥ و « أشجع بيت وصف به رجل قومه » كذا فى غ ١٥/٢٩ ونسب البيت فى الشعراء ٨٠ – ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم أخذه من قيس بن الخطيم أو أخذ قيس منه وقال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات إن الأخنس بن شهاب هو أول العرب وصل قصر السيوف بالخطى ومنه استرق كعب بن مالك . قال صاحب الخزانة : وهذا هو الصحيح لأنه قاله قبل أن يخلق هؤلاء بدهر ، وقد نبه الخالديان أيضا فيما بعد (ص ٣٣٧) على أن الأخنس أقدم من قيس بن الخطيم بدهر طويل .

وهذان البيتان أجود من بيت حميد لفظاً وحسنا . وروى أنّ فتى من الأزد دفع إلى المهلّب بن أبى صفرة سيفا له وقال : يا عمّ ! كيف ترى سيفى هذا ؟ فقال له المهلّبُ : سيفك جيد إلاّ أنه قصير ، فقال له الفتى : أطوّله يا عمّ بخطوى ، فقال له : والله يا ابن أخى إنّ المشى إلى الصين أو إلى أقصى [أذربيجان][1] على أنياب الأفاعى أسهل من تلك الخطوة . لم يقُل المهلّب هذا جبنا بل على ما توجب الصورة[2] ، إذ كانت تلك الخطوة قريبة[3] الموت . وقوله « إلى أن نزلنا بالقضاء » البيت . جيِّد نادر ، وقد عوّل ابن الرومى عليه فى قوله :

[ستأتى نظائر أخرى ص ٧٠-٧١]

معنى الاستغناء بالسلاح من الحصون

حلُّوا الفضاء ولم يبنوا فليس لهم ... إلا القنا وإطارُ الأفقِ حِيطانُ

[ستأتى نظائر أخرى ص ٣٠ و ٣٢٦-٣٢٧]

ولحميد أيضا ، وقد روى بعض العلماء هذا الشعر لليلى الأخيلية[4] :

١ إنّ الخَليــعَ ورهطَه من عامرٍ ... كالقلب أُلبِس جؤجؤا وحَزيما[5]

٢ لا تُسرفَنّ إلى ربيعــــة إنّهم ... جَمَعوا سَــــوادا للعدوّ عظيما

٣ شعبا تفرّق من جماعٍ واحـد ... عَــــدَلَتْ مَعَدّا تابعاً وصميما

٤ فاقْصِر[6] بذَرعك لو وطئتَ بلادهم ... لاقَتْ بكَارتُك الحِقاقُ قُروما

٥ وتعاقبتك كتائبُ ابن مُطرِّف ... فأرتك فى وَضَح النهار نجوما

---

(١) بياض فى م .

(٢) أورد صاحب الخزانة ٣/١٦٨ القصة عن الخالديين (شرح ديوان مسلم لهما) باختلاف والراغب ٢/٦٩ عنهما أيضا حسب رواية النص وهناك « إنما أراد توجيه الصورة » بدل « على ما توجب الصورة » .

(٣) ا « قريبة » .

(٤) د حميد ص ١٣٠ - ١٣١ وانظر الكلام على نسبة الأبيات ص ١٣٢ . والأبيات السبعة الأولى مع أربعة أخرى لليلى الأخيلية فى البصرية ص ٥ - ٦ كذلك البيت الأول مع آخر لها فى ابن أبى عون ١٤٦ ونسب البيتان ٦ و ٧ إلى الخنساء فى العسكرى ١/١٣٨ والصناعتين ٢٨٦ .

(٥) ا و م « حريما » .

(٦) ا « فاقصد » كما فى د .

٦ ومشقّقٌ عنـــه القميصُ تخالُه وسطَ البيوتِ من الحياءِ سقيما

٧ حتى إذا رُفِـع اللّواء رأيتَه تحتَ اللواء على الخَميس زعيما

٨ وإذا تُسَاه[1] وجدتَ منهم مانِعاً مُلْجِئاً[2] على سخط العدوّ مقيما

٩ أو ناشـــئاً حَدثاً يُحـكّم مثلَه ضُامُ الرجال ، توارثَ التحكيما

الذي لا شك فيه أن هـذا الشعر لليلى الأخيلية ، لأنها كانت كثيرة المدح لِآل مطرِّف العامريّين حتى ضرب بذلك البحترى مثلا فى شعره فقال وذكر جيشاً[3] :

لو أنّ ليلَى الأخيلية عاينَتْ أطرافَه لم تُطرِ آل مُطرِّفِ

معنى وصف الرجل والمرأة بالضعف والسقم

أما قوله « ومشقّق عنه القميص » البيت والذى بعده ، فمن جيِّد الـكلام وفاخر المدح ، وهم يمدحون الرجل السيّد والمرأة الحسناء بالسقم والضعف ؛ وليس يريدون السقم بعينه[4] ، ولـكن يريدون الانكسار ، فإذا وصفوا الرجل بذلك أرادوا أنه ساكن الأطراف ، [ذ] والنظر العاقل والحلم ، فإذا هُيِّج للحرب زال عنه ما نعتوه به . وإنما يصفونه بهذه الصفة فى حال السلم لا فى الحرب . وقد أكثرت الشعراء فى هذا المعنى . وقول ليلى أو حُميد الذى ذكرناه من أجود ما قيل فيه ، ولقد جوّد الآخر فى قوله[5] :

إذا غدا المِسكُ يجرى فى مفارقهم راحوا كأنّهمُ مرضى من الـكرمِ

---

(١) كذا فى م وفى ا و ب « تشاء » .

(٢) كذا فى ب وهو الذى يفوز ويظهر على خصمه وفى ا و م « ملحا » والملح : الحرمة والذمام .
(٣) د
(٤) ب « نفسه » بدل « بعينه » .

(٥) البيت للشمردل بن شريك اليربوعى ، وفى اللسان (نى) عن ابن برى أنه لليلى الأخيلية أو الشمردل ، راجع اللآلى ٤٤٥ . وجاء فى الشعراء ٣٤٤ إن بيت شريك هذا نحو قول ليلى الأخيلية : ومشقق عنه القميص ، البيتين .

وقال آخر :

وعلى الثنيَّة من خُزيمةَ سادةٌ يتمارَضُون تمارُضَ الأُسْــدِ [معانى نظائر لخرى ص ٧٧ و ٣٠٦]

وأما ذكرهم المرأة بذلك فيريدون الترفُّه والنعمة والحياء كما قيل[1] :

ضعيفةُ كرِّ الطَّرْفِ تحسِبُ أنها قريبةُ عهدٍ بالإفاقة من سُقْمِ

وقال مسلم بن الوليد[2] فى هذا المعنى [فجوّد][3] :

ضعيفة أثناء التَّهادى كأنّما تخافُ على أحشائها أن تقطّما

وهذا وأشباهه كثير فى الشعر .

وقولها « أو ناشئا حدثا » البيت ، تريد بذلك غلاماً حدثاً إلا أنه قد ساد فهو يحكم على الضُّلَّع من الرجال وهم الكهول والمشايخ فلا يُرَدُّ حكمه لأنه من أهل بيت شرف فقد ورث سوددهم ومآثرهم . ومثله قول الخنساء[4] : معنى ورائة للسؤدد فى الحداثة .

رفيعُ العماد ورِىَ الزِّنا دِ ساد عشــيرتَه أمْرَدَا

ومثله لآخر[5] :

١ وإذا سألت الجودَ أين محلُّه فالجودُ تِربُ القاسم بن محمّدِ

٢ قاد الجيوشَ لخمس عشرة حجةً يا قُرب ذلك سوددا من مَولدِ

ومثل هذا قول الآخر[6] :

١ قاد الجيوش لخمس عشرة حجةً ولِداتُه عن ذاك فى أشــغال

(١) البيت لأبى نواس د ٣٢٥ والقالى ١/٢٢٧ والذيل ٣٩ والنويرى ٢/٥١ وابن أبى عون ٨٧ .

(٢) لا يوجد البيت فى د .

(٣) سقط من م .

(٤) د ٤١ .

(٥) لحمزة بن بيض الحنفى فى محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند كذا فى المرزبانى ٤١٢ وانظر الفتوح للبلاذرى ٤٤١ والعيون ١/٢٢٩ والراغب ١/٧٦ وكثر الاختلاف فى رواية البيت الأول ويروى « لسبع عشرة » بدل « لبضع عشرة » .

(٦) فى محمد بن القاسم أيضا لزياد الأعجم أو غيره ، كذا فى المرزبانى والفتوح (البيت=

٢ قصدَتْ بهم همَّاتُهم وسَمَتْ به هِمَمُ الملوك وسورةُ الأبطال

ولسعيد بن هاشم[1] الخالدى هذا المعنى إلاّ أنه قد زاد فيه وهو قوله :

ساد فى مَيعة الشباب وأبْهَى الزَّ هْرِ ما لاح فى الغُصون الرطابِ

وقال جِران العَود النُّمَيْرى ، ولا يعرف فى نسيب الأعراب وغزلهم أحسن

من شعر جران العود النميرى

ألفاظا من هذه القصيدة ولا أملح معانى ، والمختار منها قوله[2] :

١ ذكرتَ الصِبَا فانهلّتِ العينُ تذرِفُ وراجَعَكَ الشوقُ الّذى كنتَ تعرفُ[3]

٢ وكان فؤادى قد صَحَا ثم هاجَه حمائِمُ وُرْق بالمدينة هُتَّفُ[4]

٣ فبتّ كأنّ العينَ أفنانُ سِدرةٍ عليها سَقيط من ندى الليل يَنطُفُ

٤ أراقِبُ لَوحا[5] من سُهَيل كأنّه إذا ما بدا من آخِرِ الليل يَطرِفُ[6]

٥ فلا وجدَ إلاّ مثلَ يومَ تلاحقَتْ بنا العِيسُ والحادى يشُلُّ ويعطِفُ[7]

٦ وفى الحىِّ مَيلاء الخِمار كأنّها مَهاةٌ بهَجْل من ظُبَاء[8] تَعطّفُ

٧ تقولُ لنا ، والعِيس صُعْر من السُرى فأخفافُها بالجندل الصُّمّ تقذِفُ

=الأول فقط) وقد ورد للكميت يمدح مخلد بن يزيد بن المهلب فى الهاشميات ٨٨ و غ ١٠٨/١٥ و ١٢٢ والبصرية ٥٧ .

(١) فى الأصول « هشام » وقد ورد « هاشم » فيما بعد ، انظر ص ١٠٩ و ١١٧ .

(٢) اختيار الأصل ضمن الشذرات بآخر د جرير ١٩٩/٢ — ٢٠٠ والقصيدة فى د ص ١٣ — ٢٤ ومنتهى الطلب ٩٣/١ (٧٢ بيتا) والبصرية ١٨٣ (٢٢ بيتا) .

(٣) م « ليت » . (٤) ب « تهتف » .

(٥) فى د : لوحا من سهيل أى بريقه وذلك أن سهيلا يطلع من آخر الليل فلا يمكث إلا قليلا حتى يسقط فهو يطرف كما تطرف العين ، وفى المرتضى ٤٠/٤ « لمحا » .

(٦) ا « مطرف » .

(٧) كذا وبدله بهامش ا « يشل ويعنف » كما فى د وروى فى البصرية « يشل ويقذف » .

(٨) ا و ب « ظباة » م « ظباء » والظباء جمع ظبة : منعرج الوادى وقيل الظباء واد بعينه : كذا فى اللسان (ظبا) ، والرواية فى د « أديم » (أيضا اسم مكان) بدل « ظباء » .

٨ حُمِدتَ لنا حتى تمنّاكَ بعضُنا ... وقلنا أخو هزلٍ عن الجدّ يصدفُ

٩ وفيكَ إذا لاقيتَنا تجرُفيَّة ... سِرارًا وما نهوى الذى يتَمَجْرَفُ

١٠ فَمو عدُكِ الوادى الذى بين أهلنا ... وأهلِكَ حتى تسمعَ الديكَ يهتِفُ

١١ ويكفيك آثار (١) لناحين نلتقى (٢) ... ذُيولُ نُعفيها (٣) بهنّ ومُطرَفُ

١٢ فنُصبحُ لم يُشْعَر بنا غيرَ أنّه ... على كلّ حالٍ يحلفون ونَحلِفُ

١٣ فأقبلنَ يمشــينَ الهوَينا تهادِيا ... قِصارَ الخُطا منهنّ رابٍ ومرجِفُ (٤)

١٤ فلمّا هبطنَ السهلَ واحتَلنَ حيلةً ... من حيلة الإنسان ما يتخوفُ

١٥ حملن جِرانَ العود حتى وضعنه ... بعلياء فى أرجائها الجنُّ تعزِفُ

١٦ فبِتْنَا قعودا والقلوبُ كأنّها (٥) ... قطًا شُرَّعٌ (٦) الأشراكِ مما تخوَّفُ (٧)

١٧ علينا النَّدى طورًا وطورًا يرشّنا ... رذاذٌ سرى من آخر الليل أوطَفُ

١٨ يُنازِعْنَنا (٨) لذّا رخيما كأنّما ... عوازرُ (٩) من قَطر حذاهُنّ صَيِّفُ

١٩ رقيق الحواشى لو تسمّع راهبٌ ... ببُطنَان قولاً مثلَه ظلّ يرجُفُ

---

(١) كذا والرواية « آثارا » .   (٢) ب « تلتق » .

(٣) ا و م « تعفيها » .

(٤) كذا « مرجف » فى البصرية وضبطت الكلمة فى م بفتح الجيم ورجفت وارجفت وارجفت بمعنى واحد كذا فى اللسان ، وفى د : رابٍ من الربو أى قد وقع عليهن النفس ومزحف (كذا فى منتهى الطلب) أى معى يعنى إنهن لسن بخراجات إنما يخرجن حياله .

(٥) م « كأنما » .   (٦) البصرية « تنزع » — وقارن قول قيس بن ذريح :

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يُراحُ

قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

— العسكرى ١/٢٧٠ .   (٧) ب « تخوف » كما فى د .

(٨) ا و م « ينازعنا » .

(٩) ب « عوابر » كذلك فى م فيما بعد ، والعوازر ما تفرق من القطر .

٢٠ ولمّا رأينَ الصبحَ بادرنَ ضوءه   كمَشْى قطا البطحاء أو هُنَّ أقطفُ [(١)]

٢١ وما أُبْنَ حتى قُلن : ياليت أنّنا   تُرابٌ وأنّ الأرض بالناس تُخسَفُ

٢٢ فأصبحْنَ صَرعَى في الحِجال كأنّما   سقاهنّ من ماء المدامة مُرقِفُ [(٢)]

٢٣ يبلّغهنّ الحاجَ كلُّ مكاتَبٍ   طويلِ العصا أو مُقعَدٌ يتزحّفُ

٢٤ رأى [(٣)] ورقا بيضا فشدّ حَزِيمَه   لها فهو أمضَى من سُليكٍ وألطَفُ

٢٥ ولن يستَهيمَ الخُرّد [(٤)] البيضَ كالدُّمَى   هِدانٌ ولاهلباجةُ الليل مُقرِف [(٥)]

٢٦ ولـكن رفيقٌ بالصِّبا متطرّف [(٦)]   خفيف لطيف سابغُ الذّيلِ [(٧)] أهيَفُ

٢٨ يَئِمُّ كإلْمامِ القُطاميّ بالقطا   وأسرَعُ منه لمّةً حين يخطَفُ

٢٨ فأصبح في حيث التقينا غُديّةً   سِوارٌ وخَلخَال وبُردٌ مُفوّفُ

---

(١) زاد بعد البيت بهامش ا :

وأدركن إعجازا من الليل بعد ما   أقام الصلاة العـابدُ المتحنف

(٢) كذا في ا من أرقفَ : أرعد . وفي ب و م « قرقف » وهو الماء البارد المرعد أو الخمر . انظر اللسان (رقف ؛ قرقف) ، ويظهر أن في البيت إقواء ، والرواية المشهورة في د والبصرية هكذا :

فأصبحن صرعى في الحجال وبيننا   رماح العدا والجانب المتخوف

وقد ورد البيت هكذا في ب في معرض الكلام عليه فيما بعد ص ٣٣ .

(٣) الرواية في د وأيضا في الشعراء ٢ : ٤ والعيون ٤/١٠٣ : « رأت . . . . . فشدت حزيمها . . . فهي أمضى . . . » ولعل هذا التغيير من الخالديين بمناسبة حذف البيت الذي قبله وهو : ومكونة رمداء لا يحذرونها   مكاتبة ترمى الكلاب وتحذف .

(٤) ا و م « الجرد » ب « الخود » والتصويب عن د .

(٥) ا و م « معرف » .

(٦) د « متطرف » والبصرية « متظرف » .

(٧) في الأصول « الليل » والتصحيح عن د .

معنى سرعة تحدر الدمع

أما قوله « فبتُّ كأنَّ العينَ أنفانُ » البيت ، فمن أحسن ما قيل في الدمع وأجوده وأطرفه . وشبيه به قول الآخر[(١)] :

لعينُك يوم البَين أسرعُ واكفًا من الفَنَنِ المَمطُور وهْوَ مَرُوحُ

وقالُ[(٢)] هذا البيت قد جوّد أيضاً وزاد على من تقدّمه وأتى بعده ، وذلك أنه لم يرضَ أن يكون دمعه[(٣)] مثل الفنن ، وهو الغصن ، الذى يقع المطر على ورقه فهو يجرى حتى قال «وهو مَروح» أراد أنّ للريح تحرّكه فهو لا يَهدأ من القطر . وليس بعد هذا نهاية فى تحادر الدمع وسرعته .

[ستأتى نظائر أخرى ص ٣٦٩ — ٣٧٠]

وقوله « أراقب لوحا من سهيل » البيت مليح التشبيه صحيحه لأنه من تأمّل رآه كأنه عين تطرِفُ .

وقوله يصف قولها له « وفيك إذا لاقيتَنا عجرفيّة » البيت ، يقال إنّ النساء يملن إلى من كانت فيه دعابة ولهو ولا يملن إلى غير ذلك ، فذكر جران العود عنهن أنهنّ قُلنَ له : لستَ على ما وُصِفتَ لنا لأنّ فيك عجرفيّةً ، وقد وُصفتَ لنا بغيرها حتّى تمنّيناك وما نحبّ الذى يتعجرَفُ . ويُذكَر أنّ كُثيّرًا أنشد بعض نساء الأشراف قوله[(٤)] :

١ وكنتُ إذا ما جئتُ أجلَلْن مَجلسى وأعرضْنَ عنه هَيبة لا تَجهُّمَا

(١) من كلمة لأبى حية النميرى فى الثمالى ١/٧٠ واللآلى ٢٤٣ والبصرية ١٨٢ وهناك « لعينك » والبيت من غير عزو فى الكامل ٥٠٩ و « مروح » أجود من « مريح » كذا فى نوادر أبى زيد ٢٣٨ .

(٢) فى الأصول « قيل » قبل ؟ وصححت بهامش م « قائل » وقائل القصيدة قائلها كذا فى اللسان .

(٣) م « دمعه » .

(٤) انظر د ١/١٦٧ والشعراء ٤٩٤ والعيون ٤/٧٨ وجاء فى غ ١١/٢٢ (ساسى) والحصرى ٢/٥٧ أن عزة أيضا استجفت قوله هذا .

٢ يُحاذِرنَ منّى نبــوَةً قد عرفنَها قديماً فما يضحكنَ إلّا تبسُّما

فقالت له : يا ابن أبي جُمَة ، أبهذا القول تدّعى الغزل ؟ والله ما نال وصلنا وحظى بودّنا إلا من يجرى معنا كما نريد ويجمل الغىّ ، إذا أردناه ، رشداً . قُم لعنك الله ، فقام منقطعا . وإلى قولها نظر البحترى فقال[1] :

ولا يؤدّى إلى المِلَاحِ هوًى من لا يرى أنّ غيّه رشدُ

وقوله « ويكفيك آثار لنا حين نلتقى » البيت ، معنى مليح ،وقد اشترك فيه جماعة من الشعراء فأوّل ذلك امرؤ القَيس فى قوله[2] :

فقُمتُ بها أمشى تجرُّ وراءنا على إثرِنا أذيالَ مرطٍ مُرَحَّلِ

وقال ابن المعتز[3] :

فقُمت أفرش خدّى فى الطريق له ذلّاً[4] وأسحب أكماماً على الأثرِ

ولابن المعتز فى هذا المعنى زيادة حسنة على من تقدّمه[5] .

وقوله « فنصبح لم يشعر » البيت ، كلام طريف وكذب[6] مليح لأنّه قال لا بد من تهمة تلحقنا فنحلف أنّا لم نفعل ويحلفون[7] أنا قد فعلنا .

وقوله « فأقبلن يمشين » البيت من أحسن ما يكون فى صفة المشى . وقد مشى المرأة

(١) لا يوجد فى د .

(٢) من المعلقة ويروى أيضا « على أثرينا ذيلى ... » كما فى م .

(٣) من كلمة له فى نهج البلاغة ٣٦/١ ؛ والراغب ٤٨/٢ ؛ ولا يوجد فى د .

(٤) ا « دلاً » .

(٥) يرى صاحب الخزانة ١٧/٤ ؛ أيضا أن قول ابن المعتز أحسن من قول امرئ القيس .

(٦) ب « كلام ظريف ومعنى » .

(٧) ا « يحلفن » .

أكثرت الشعراء فى هذا الباب ، فمن مليحه قول بعضهم[(١)] :

يمشين مشىَ قطا البطاح تأوُّدا   قُبُّ البطون رواجح الأكفالِ

وإنّما شبَّهوا مشى المرأة بمشى[(٢)] القطاة لأنّ فيها سرعةً وتأوُّدا[(٣)] .

وقال المنخَّل[(٤)] :

ودفعتُها فتـــدافعتْ   مشيَ القطاة إلى الغَديرِ

وللأعشى فى المشى شىء حسن وأشياء يُفْرط فيها . فمن الجيِّد قوله[(٥)] :

١ غرَّاء فرعاء مصقولٌ عوارِضُها   تمشى الهوَينا كما يمشى الوجى[(٦)] الوجِلُ

٢ كأنّ مشيتَها من بَيت جارَتها   مرُّ السحابة لا رَيثٌ ولا عَجَلُ

[ستأتى نظائر أخرى ص ٦٠ و ١٢٢ و ١٥٢]

معنى خفقان القلب وما إليه

[(٧)]وقد شبَّه بشار بن بُرد خفقان القلب بالكرة فى نزوها[(٨)] وهو قوله[(٩)] :

---

(١) نسب البيت إلى « الكميت بن زيد فى رواية اليزيدى » فى المرزبانى ٣٤٨ كذا فى غ ١٥/١٩ والحيوان د/١١٧ وهو ضمن كلمة لـ « الكميت بن معروف الأسدى » فى البصرية ١٤٧ وبعده :

وإذا أردن زيارة فكأنما   ينقلن أرجلهن من أوحال

[وفى اللباب ٣٧١ من غير عزو] :

وكأنهن إذا أردن زيارة   بزل الجمال دلجن بالأحمال

والبيت من غير عزو فى غ ٨/٢٢٧ والنويرى ٢/١١٤ .

(٢) م « بمشية » .   (٣) فى الأصول « تأيدا »

(٤) الحماسة ٢٦٦ .

(٥) د ٤٢ وجاء فى غ ٩/١١٢ : قال الشعبى : الأعشى أغزل الناس فى هذا البيت ، وانظر اللآلى ١٧٧ واللباب ٣٧١ والعمدة ٢/٤٧ .

(٦) ا و م « الوحى » ويروى أيضا « الوجل » بدل « الرحل » .

(٧) من هنا يبدأ الكلام على قوله « فبتنا قعوداً والقلوب » البيت ١٦

(٨) ا « تروبها » (تنزيها) ب « تدورها » .

(٩) من أحسن التشبيه عند ابن المعتز ، البديع ص ١٢٨ وانظر المختار من شعر بشار ٧ والشعراء ٤٧٩ والزهرة ٨٣ وابن أبى عون ٢١٢ والحيوان د/٢٤١ . اللآلى ٣٤٨ : يحيى بن طالب : =

كأنَّ فؤادَه كُرةٌ [تنزَّى][1] حَذارَ البَين إن نفع الحذارُ

وهذا لعمرى تشبيه جيد ومعنى صحيح . وقال آخر[2] ، وهو غير هـذا المعنى ، فجوَّد :

كأنَّ فؤادى فى مخاليب طائر إذا ذُكِرَتْ لَيلى يشُدُّ به قَبضَا

هذا ذكر أنَّ فؤاده ، إذا ذكرتْ عشيقتُه ، قُبِضَ عليه ولم يذكر أنه شديد الخفقان[3] ، وهو يدخل فى هذا المعنى أو يقاربُه . وقد قال بعض المحدثين من أهل الموصل[4] فى هذا المعنى فجوَّد وأحسن وزاد وأورد معنى ثانياً وهو قوله :

كأنَّ قلبي وشاحاها إذا خَطَرت وقَلبَها قُلبُها فى الصَّمت والخَرَسِ

هذا ذكر أن قلبه مثل وشاحَى صاحبته قلقا وتحرُّكا . ثم أتى وزاد فى المعنى بقوله « إذا خَطَرت » ليكون أشد للحركة ؛ ثم أتى بمعنى وهو قوله « وقلبَها قُلبُها فى الصَّمت والخرس » وقد ذكر أنّ قَلبها غير خافقٍ ولا قلق ، والقَلبُ

= كأن فؤادى كلما مر راكب جناح عقاب رام نهضا إلى وكر

(١) بياض فى م . وتنزى أى تتوثب . انظر اللسان (نزا) حيث نسب البيت إلى نصيب وروى أيضا « تنزى » بالبناء على المفعول ؛ راجع اللآلئ ٥٩٦ وفى الحصرى ٣/١٦٥ « ترأى » .

(٢) هو المجنون كذا فى غ ٢/٨٣ والبيت مع آخر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت فى ابن أبى عون ٢١٠ ومن غير عزو فى الوحشيات ١٦٧ والشطر الثانى هناك :

« إذا ذكرتك النفس زاد به قبضا »

(٣) قال المجنون د ٣٢ — ويروى لابن الدمينة ، د ٢٤ ، أيضا — :

كأن فؤادى من تذكره الحمى وأهل الحمى : يهفو به ريش طائر

وانظر إلى قول ديك الجن وكأنه جمع بين المعنيين :

ولى كبد حرى ونفس كأنها بكف عدو ما يريد سراحها

كأن على قلبى قطاة تذكرت على ظمأ وردا فهزت جناحها

— الأبشيهى ٢/٢٢٢ .

(٤) من ٤ أبيات منسوبة إلى مسلم بن الوليد فى د ٢٩٨ عن مختصر مقدمة الشعر منقذ والبيت له فى الكنايات للجرجانى ٥٢ أيضا .

السِوار . وهم يصفون المرأة بضيق السوار والخلخال وقلة حركتهما[1] ، فهذا الشاعر ذكر قَلْبه بالقلق وقلبَ من يحبّ[2] بالسكون فزاد وجوَّد .

وأما قوله فى ذكر الحديث وحسنه « ينازعننا لذًّا » البيت ، والذى بعده فهو حسن نادِر إلاّ أنّ الشعراء فى الحديث أكثروا من جيّدِه ، ومن حَسَنه[3] قولُ القطامىّ[4] :

معنى حديث النساء .

١ فهنّ ينبِذْنَ من قول يُصِبنَ به   مواقعَ الماء من ذى الغُلّةِ الصّادِى

٢ يقتُلْننا بحديث ليس يفهمُه   من يتّقِينَ ولا مكنونُه بادِى

ومن مليح هذا المعنى قولُ بشار[5] :

وحديثٍ كأنه قطعِ الرّو   ضِ زَهّتْه الصفراء والحمراء[6]

ذكر أنّ حديثها مثل الرياض فى ملاحتها وأنّه يجمع جِدّا وهزلاً .

وقال بشار أيضاً[7] :

ولها مَضحكٌ كثَغر الأقاحى   وحديث كالوشْى وشيِ البرُودِ

---

(١) ا و م « حركتها » — انظر إلى قول خالد بن يزيد بن معاوية فى رملة بنت الزبير :

يجول وشاحاها ولست بواجد   لرملة خلخالا يجول ولا قلبا

— المختار من شعر بشار ١٤٩ ؛ وهكذا قول الأخطل :

من الخفرات البيض أما وشاحها   فيجرى وأما القلب منها فلا يجرى

(٢) ا « يحبه » ب « يحبها » .

(٣) ب و م « الشعر فى الحديث كثر (كثير) فى (ب « ظ فن ») « جيده وحسنه » .

(٤) د ق ٢/١٣ و ١٤ واللآلى ١٨ والشعراء ٤٥٣ والمختار من شعر بشار ٤١ والحصرى ١/١٤ .

(٥) د ١/١١٩ والمختار من شعر بشار ٣٣ والعيون ٤/٨١ والحيوان ٣/١٢٢ .

(٦) ق م « البيضاء » بدل « الحمراء » .

(٧) المرتضى ١/٩٨ والحصرى ٢/١١٧ والرواية « مبسم كثغر الأقاحى » .

وله أيضاً :

١ دعَتْنى حين شِبتُ إلى المعاصى محاسِنُ زائر كالرِّيم غَضٍّ
٢ كأنّ كلامَه يوم التقَيْنا رَمِىٌّ خَدٌّ[١] فى طولى وعَرضِى

وله أيضاً[٢] :

١ حوراء إن نظرت إلَيْكَ سقَتكَ بالعَينينِ خَمْرا
٢ وكأنّ رجعَ حديثِها قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا

وقال بعض ولد أسماء بن خارجة الفزارىّ[٣] :

١ وحديث ألَذُّه وهو مما يونق السامِعِين[٤] ، يُوزَنُ وَزْنَا
٢ منطِقٌ صائب وتلحن أحْيَانًا وأحلى الحديثِ ما كان لَحْنا

ذكر أنّها تحدَّثُ بحديث يُفهِمَ ثم تخشى [نَمّ من يحضر][٥] من الوشاة فتلحَنُ لهم بمعنى يعرفه وإشارة يقِفُ[٦] عليها لا يعرفها غيرها وغيره[٧] . قال

(٨) فى الأصول « رى [ا « دمى] يأخذن » بدل « رِىّ خدٌّ » والتصحيح منا والرى : قطع صغار من السحاب وقيل هى سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع كذا فى اللسان .
(٩) المختار من بشار ٣٣ والحصرى ١/١٧ واللآلئ ٢٧٦ وابن أبى عون ١١١ .
(١) هو مالك بن أسماء ، الشعراء ٤٩٢ ومجالس ثعلب ٢/٥٩٩ .
(٢) بدله بهامش ب « ينعت الناعتون » .
(٣) بدله فى ب « تحصر » — والأصل فى ا و م « ثم » بدل « نم » .
(٤) ا « تعرفه . . . . تقف » .
(٥) المراد باللحن « الكناية عن الشىء والتعريض بذكره » (المرزبانى ٣٦٥ والمرتضى ١/١١) وعن ابن الأعرابى : « لحن يلحن إذا أصاب وفطن » (القالى ١/٥) وظن الجاحظ أن المراد باللحن هو ما يخالف الصواب (البيان ١/١٤٧) وتبعه على هذا الغلط ابن قتيبة (العيون ، المقدمة ن) واستدرك ابن حزيمة على الجاحظ « هذه العثرة التى لا تقال » (الميدانى ٢/١٧٤) وقد تنبه الجاحظ إلى الخطإ بعد ما سار الكتاب فى الآفاق ، انظر اللآلئ ١٧ . الأضداد لابن الأنبارى ٢١٠ : — اللحن لا يعنى الخطأ .

الله تعالى : ولتعرفنّهم فى لحن القول ، أى فى معنى القول ، يقال هذا لحن بنى فلان أى لغة بنى فلان .

ومن أجود ما قيل فى هذا الحديث قديما وحديثا قولُ ابن الرومى[(1)] :

١ وحديثُها السِّحرُ الحلال لو أنه لم يجنِ قتلَ المسلم المتحرِّزِ[(2)]
٢ إن طال لم يُملَلْ وإن هى أوجزَتْ ودّ المحدّثُ أنها لم توجزِ
٣ شركُ العُقُول ونزهة[(3)] ما مثلها للمطمئنّ وعُقلةُ المستوفزِ

هذا نهاية ما قيل فى هذا الباب . وقد تناول ابن الرومى قوله « ودّ المحدّث أنها لم توجزِ » من بعض المتقدمين[(4)] ، وهو قوله :

من الخفِراتِ البيض ودّ جليسُها إذا ما قضَتْ أحدوثةً ، أن تعيدَها[(5)]

ومن مليح ما قيل فى الحديث أيضاً قول بعض الأعراب[(6)] :

١ وحديثها كالغيث[(7)] يسمَعُهُ راعِى سنينَ تتابعَتْ[(8)] جدْبا
٢ فأصاخَ يرجو أن يكون حَيًا ويقــول من فرَحٍ : هَيَا رَبَّا

(١) له فى الحصرى ١/٩ والعسكرى ١/٢٤٢ والمختار من بشار ٤١ واللآلى ٢٧٥ ونسبت فى حم ابن الشجرى ١٩٥ إلى البحترى .
(٢) م « المتجوز » .
(٣) روى « نهزة » انظر اللآلى .
(٤) نسب البيت إلى كثير فى غ ٧/٨٦ : انظر د ١/٧١ . وهو من غير عزو فى الكامل ٣٨٥ والقالى ١/٨٤ والحصرى ١/١٦ وسيأتى ص ١١٨ .
(٥) ب « لو تعيدها » كما هى الرواية .
(٦) القالى ١/٨٤ واللآلى ٢٧٥ والبيان ١/٢٨٣ والعيون ٤/٨٢ وابن أبى عون ١١٤ .
(٧) بدله بهامش ب « كالقطر » كما هى الرواية .
(٨) ب و م « تواصلت » وروى أيضا « تتابعت » .

وقال آخر(١) :

١ وإنّا ليجرى بيننا حين نلتقى حديث كتسبيح المريضَين(٢) مُزعِجُ

٢ حديث لو أن اللّحم يُولَى(٣) ببعضه غريضاً أتى أصحابَه وهو مُنضَجُ

هذا ذكر أنه إذا خلَى بمن يحبّ يجرى بينهما من التشاكى أحرُّ من النار .

ومثله قول الراجز(٤) :

تقول لى وهى تخُفُ الموِدجا قولا جميلا حسَنا سَمَلّجا

لو طُبِخَ اللّحمُ به لأنضَجَا .

والقول فى الحديث كثير ، ولو استقصَينا جميع ما فيه لخرج كتابنا عن الغرض الذى قصدنا له .

[معانى نظائر أخرى ص ١١٩ – ١٢١]

وقوله « ولمّا رأين الصبح بادرن » البيت والذى بعده فهو شبيه بقول بشار(٥) :

١ حتى إذا بعث الصباح فَراقَنا ورأينَ من وجه الظّلام صُدودا

(١) البيتان لأم الضحاك المحاربية فى الوحشيات ١٩١ وهكذا روى عن ثعلب فى الحصرى ٨١/٤ وابن دريد . فى القالى ٨٦/٣ ومع البيتين ثالث تذكر فيه الضبابى الذى كانت تحبه . وهما للشماخ فى ابن أبى عون ١١٠ والبيت الثانى فقط له فى مجموعة المعانى ١٧٩ وسيأتى – ص ١٢١ – منسوبا إلى جران العود كما فى العيون ٨٢/٤ [ولجران العود بيت يشبهه فى بعض اللفظ مع التباين فى المعنى :

حديثا لو ان البقل يولى بمثله زها البقل واخضر العضاه المصنف

انظر د ٢١ والبيان ٢٨١/١] وهو من غير عزو فى غ ١٠٠/٥ .

(٢) م « كسيح المرتضين » ب « كسيح المريضين » وروى أيضا « كتنشيج (كتنشاج) كتنفيس المريضين » .

(٣) يولى أى يدنى وفى ا « قولا » ب « قرلا » والرواية « يصلى » .

(٤) انظر ابن أبى عون ١١٠ واللسان (سملج) .

(٥) البصرية ١٨٤ .

٢ جرتِ الدموع وقلن : نيك جلادة هنّا ونكره أن تكون جليــــدا

ومثله قول عبد الصمد بن المعذّل :

فضحِكن فى وجه الدجى وبكَين فى وجــه الصباحْ

يريد أنهن اشتَهين طول الليل ليتمتَّعنَ بالحديث . وبيت عبد الصمد أحسن ممّا تقدمه وأعذب(١) ألفاظاً .

وقوله : «فأصبحنَ صرعى فى الحِجال» البيت ، مأخوذ من امرئ القيس(٢) :

فأصبَحتُ معشوقاً وأصبح بَعلُها عليه القتامُ كاسفَ الظنِّ والبالِ

وقوله « يبلّغهن الحاجَ » البيت و[الذى] بعده ، يذكر أنه يُرسِل إلى من يهوَىْ بمن لا يُؤبَهُ له . وقوله: « مكاتب » أى ضعيف . ويجوز أن يكون قد كانب هذا الرسول عن نفسه فهو يسأل الناس فى مكاتبته ، فليس ينكر دخوله البيوت وكلامه النساء . وقوله : « أو مقعد يتزحّف » أراد أيضاً ضعيفاً ، وهذا مثل(٣) قول الفرزدق :

١ فأبلغَهنّ وحىَ القَــــول عنّى وأدخَل رأسَــــهُ تحتَ القِرامِ

---

(١) ب « أغرب » .

(٢) العقد الثمين ق ٥٢/٢٧ والشعراء ٥٦ . وسيأتى ص ١٥٠ بيت لسحيم مثل قول جران العود تماما :

فأصبحن صرعى فى الحجال كأنما شربن مداما أو سرين لياليــا

(٣) كذا فى الشعراء ٢٥٤ والبيان وفى النقائض ١٠٠٦ وهناك « أسيد » بدل « ضعيف » وجاء فى الشرح : أسيد يعنى زوجها . . . . . ويقال أسيد أى رسول أرسله إليها فى هذه الحالة التى وصف لئلا يزبه له ؛ وفى الموشح ١١٤ أنه الإشارة إلى غلام للفرزدق اسمه وقاع . وهما من أربعة فى غ ١٦٨/١٤ .

٢ ضعيفٌ ذو خُرَيْطَةٍ بهيمٍ[1] من المتلقِّطِى قَرَدَ القُمامِ

وصفه أيضاً بالضعف والمسكنة وإنّه يلقط القَرَد ، وهو ما يقع من الصوف ، في خُرَيْطة معه .

وقوله : « فأصبح في حيث التقَينا » البيت[2] ، أراد أنّا تجاذبْنا وتعاركنا فتكسَّرت الإسورة والخلاخيل وتحرَّقتِ الثياب ، فمن أيّ موضع التقائنا وجد فيه ما قلنا ، وهذا مثل قول عبد بنى الحسحاس[3] :

١ فـكم قد شققْنا من رداء مُطَرَّف ومن برقع عن طِفْلَةٍ غَيرِ عانسِ

٢ إذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبُرد برقعٌ[4] دوالَيْـكَ حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

وقال جران العود[5] :

١ كأنني يومَ حثَّ الحاديان بهم مرنَّح من سلاف الخمر مَعْلولُ

٢ يومَ ارتحلتُ برَحْلى قبل برْذَعتى والقلبُ مستوهِلٌ بالبين مشغول

٣ ثم اغترزتُ على كورى لأدفعَه إثر الحُمُول الغوادى وهو معقولُ

٤ لم يُبقِ من كِبدى شيئاً أعيشُ به طولُ الصَّبابة والبِيض المطابيلُ

٥ ممّن يجول وشاحاها إذا انصرفَتْ ولا تجـــولُ بساقَيها الخلاخِيلُ

٦ يرنو إليها ، ولو كانوا على عَجَل بالشِّعب من مكّة ، الشِّيبُ المثاكيلُ

(١) في الأصول « مهيم » وقد صححت في ب « مهين » .

(٢) في الشعراء ٤٥٢ أن جران العود كذب في قوله هذا فأخذ عليه .

(٣) د ١/٣ و ٤ .

(٤) يعنى أنه يشق برقعها وهى تشق برده والعرب يزعمون أن المتحابين إذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد ، كذا في الزجاجى ٨٤ .

(٥) اختيار الأصل ضمن الشذرات بآخر د جرير ٢/٢٠١ – ٢٠٢ والقصيدة في د ٣٥ – ٣٨ وفي منتهى الطلب ١/٩٦ أنها وتروى للقحيف الخفاجي وللحكم الخضرى ، وراجع البيتين الثانى والثالث في الشعراء ٤٥٢ والحماسة ٢ ٥٤ والثانى فقط في خ ٤/٤٥٠ .

أما قوله : « ثم اغترزت[١] على كورى » البيت ، فلا يكون فى الطيش والدهش وشغل القلب بالبَين مثله ؛ لأنه ذكر أنَّه جعل رحله على جَمَله قبل بَرْذعته[٢] ثم ركبه وأثاره و بعثه فى السير وهو لا يعلم أنَّه معقول دهشاً لما نالَهُ من فراق من يحبّ . وإلى هذا نظر أبو تمّام فى قوله[٣] :

أظَلّه البين حتى أنّه رجُلٌ ... لو مات من شغله بالبين ما علِمَا

على أنّ جران العَود أتى بما يمكن ويقوم فى العقل وأتى أبو تمّام بما لا يكون ، إلاّ أنّه إغراق جيّد .

وقوله « يرنو إليها ولو كانوا » البيت ، [نهاية فى معناه ، فهو[٤]] قد جمع محاسن كثيرة ، لأنّه قد « يرنو إليها ولو كانوا على عجل » فجعل العجلان وغير العجلان فى النظر إليها بمنزلة واحدة . ثم قال « بالشِعب من مكّة » أى أنّهم فى الحرم ، ومن كان فى الحرم كان خاشع القلب غاضّ الطرف . ثم قال « الشيبُ » والأشيَبُ قلما يلتفت إلى شىء من اللّهو من جهات ، أما أحدها فلِمَا مضى من عمره ، والأخرى أنّ الأشيب أتْقَى من الشباب . وأخرى أنّ الأشيب يستحيي من الغزل أكثر ممّا يستحيي الشباب . ثم قال « المثاكيل » والثاكل يشتغل بثكله عن النظر إلى الحسن والقبيح لا سيما إذا كان ثاكلا ، فقد يئس من الولد لكبره وعلوّ سنّه . والأوّل فى هذا المعنى قيس بن الخطيم فى قوله[٥] :

ديار الّتى كادت ، ونحن على مِنًى ... تَحُلُّ بنا لولا نجاء الركائبِ

---

(١) اغترزت أى وضعت رجلى فى الغرز وهو الركاب .

(٢) ما أسخف قول من فسر بأن الشاعر كنى بالبردعة عن الزوجة !

(٣) د ٢٦٨ . أظله أى غشيه وفى ا و م « أطله » . (٤) سقط من ب .

(٥) مضى ص ١٥ .

[مضت النظائر ص ١٦]

وقد ذكرنا هذا البيت ونظائره فى صدر كتابنا هذا . و بيت جران العَود هذا الذى قدمنا ذكره أجود من كلّ ما عُمِل فى هذا المعنى وأشدّ إغراقًا[1] .

من شعر مسكين الدارمى

وقال مِسكين الدارمىّ[2] :

١ ونارٍ دعوتُ المعتفين بضوئها فباتوا عليها أو هَدَيْتُ بها سَفْرا
٢ تضرَّمُ فى ليل التِّمام وقد بدَتْ هوادى نجوم الليل تحسبُها جَمْرا
٣ وضيفٍ يخوض الليل خوضًا كأنّما يخوض به ، حتى تأوّبنى[3] ، بَحْرا
٤ وكم من كريم بوّأتْه رِماحُه[4] فتاة أناس لا يسوق لها مَهْرا
٥ وما أنكحونا طائعين بناتهم ولكن نكحناها بأرماحنا قَسْرا[5]
٦ وكائن ترى فينا من ابن سبيئةٍ إذا لقىَ الأبطالَ يطعنُهم شَزْرا
٧ فما ردّها فينا السباء وضيعةً ولا عرِيَتْ[6] فينا ولا طبخت قِدْرا
٨ ولكن جعلناها لخير نسائنا فجاءتْ بهم بيضا غطارفة زُهْرا
٩ إذا لم تجدْ بُدًّا من الأمر فأْتِهِ رحيبَ الذراعِ لا تضيقَنْ به صدرا
١٠ ولا تأمنِ الخلّانَ إلاّ أقلّهم عليك إذا كانت صداقتهم مكرا
١١ وإنّى امرؤ لا آلَف البيتَ قاعدا إلى جَنبِ عِرْسى لا أفارقُها شِبْرا
١٢ ولا مُقيمٌ لا تَبرحُ الدهرَ بينَها لأجْمِلَه قبل المماتِ لها قَبرا

---

(١) ا و م « أغرابا » .

(٢) الأبيات ٦ و ٧ و ٨ له فى مجموعة المعانى ٤٠١ والأبيات الخمسة الأخيرة له فى المرتضى ٢/٤٢١ ونهج البلاغة ٤/٤٨ والأبيات ٥ و ٧ و ٨ و ٦ مع آخرين لحاتم فى العقد ٤/١٨١ – انظر د حاتم ص ٤٧ – ولابن المعمر فى الابشيهى ٢/٩٤ وللأعور الشنى فى الراغب ١/١٦٨ .

(٣) تأوبنى أى أتانى ليلا وفى ا و م « يأوينى » .

(٤) ب « رماحنا » .

(٥) قارن قول الفرزدق :

إذا ما التقينا أنكحتنا رماحنا من القوم أبكارا كراما عقائله

(٦) ب « عيرت » .

١٣ إذا هي لم تُحصِنْ أمامَ فنائها فليس يُنَجِّيها بِنائي لها قَصْرا
١٤ ولا حامل ظنّي ولا قالَ[1] قائلٍ على غيرةٍ[2] حتى أُحيط به خُبْرا
١٥ وهَبْني امرأً راعَيتُ مادُمتُ شاهداً فكيف إذا ماغِبتُ من بيتها شَهرا

أما قوله « وكم من كريم » البيت ، فإليه نظر أبو تمام في قوله[3] :

لم تطلُعِ الشمسُ منهم يومَ ذاك علَى بانٍ بأهلٍ ولم تغرُبْ على عَزَبِ

إلاّ أن بيت أبي تمام أجود بناءً ورصفاً . وأمّا ذكره النساء بما ذكر فلا نعلم أنّ أحداً ذكرهن بأحسن من ذلك ولا أجود . ويقال إنّ عبد الملك ابن مروان سابق بين ابنَيه ، مسلمة والوليد ، وكانت أمّ مسلمة أم ولد وأم الوليد عَبسيّة ، فسبق الوليد مسلمة فقال رجلٌ من أخوالِ الوليد من بني عبس : أحسن . والله يا أمير المؤمنين الذي يقول[4] :

١ نهيتُكم أن تحملوا هُجناءكم على خيلكم يوم الرِّهان فتُدرَكوا[5]
٢ وما يستوي المرءان ، هذا ابن حُرّةٍ وهذا ابن أخرى ظَهرُها[6] متشرَّكُ
٣ فتضعفُ خذاه ويرعش كفُّه ويلقى على الأعواد ، لا يتحرَّكُ

(١) ا و ب « قيل » .
(٢) في الأصول « غيره » والتصحيح عن نهج البلاغة .
(٣) د ١٦ (طبعة عزام ١/٦١) .
(٤) جاء في العقد ٤/١٨٠ أن المسابقة كانت بين سليمان ومسلمة وأن عبد الملك بعد أن أنشد الأبيات التالية « أقبل على مصقلة بن هبيرة الشيباني [« مصقلة بن رقبة العبدي » كذا في أنساب الأشراف للبلاذري ١١/٢٢٢] فقال : أتدري من يقول هذا ؟ قال : لا أدري ، قال : يقوله أخوك . والأبيات لعمرو بن مبردة (مبرد) العبدي في المرزباني ٢٤٠ : انظر أيضا الأبشيهي ٢/٩٤ ، وفي الراغب ١/٨٠١ أن المسابقة كانت بين الوليد وسليمان (وهما من أم واحدة وقد جاءا سابقا ومصليا) وبين مسلمة (وجاء سكيتا) وهناك نسبت القطعتان — القطعة التالية والقطعة المعزوة إلى حاتم في العقد — إلى الأعور الشني .
(٥) ب « فيدركوا » . (٦) ب « ظهرها » كما في العقد .

٤ وأدركْنَه جَــــدّاتُه[1] فخَنّجْنَه ... ألاَ إنّ عرقَ السُّوء لابُدَّ مُدرِكُ

فأعجَبَ عبدَ الملكِ هذا القولُ لميله إلى الوليد ؛ فقال مسلمة ، وسمع الــكلام : كَذَب يا أمير المؤمنين ، بل أحسنُ من هذا وأصْوَبُ قولُ مسكين الدّارمىّ ، وذكر الأبيات التى قدّمنا ذكرها قبل هذا ، فتعجّبَ الناس من ذكاء مسلمة فى ذلك الوقت وقلّة دهشه .

وأمّا أبياته فى ذكر قلّة الغيرة ، فقد ردّ مثلَها فى موضع آخر من شعره وهو[2] :

معنى قلة الغيرة وضده

١ ألاَ أيُّها الغائر المستَشِيطُ ... عــــلامَ تَغارُ إذا لم تُغَرْ

٢ فـــا خَيرُ عِرسٍ إذا خِفتَها ... وما خَيرُ بَيت إذا لم يُزَرْ

٣ تَغارُ عَلَى الناس أن يَنظروا ... وهل يَفتِنُ الصالحاتِ النظرْ

٤ فإنّى سأُخلِى لهـــا بيتَها ... فتَحفَظ لى نفسَها أو تَذَرْ

وما نعلم أنّ أحداً من الشعراء سهّل ترك الغَيرة غير هذا . ونظنّه كأنّه يقول بالإباحة ، وإلاّ فأىّ شىء دعاه إلى هذا القول الذى يأنَفُ منه الأحرار[3] .

ولقد روى أنّ بعض العلوية[4] قال فى هوى له :

---

(١) فى العقد والراغب « خالاته » .

(٢) من خمسة أبيات له فى غ ١٨/٦٩ وستة له فى المرتضى ٢/١٢٤ ونهج البلاغة ٤/٤٨ .

(٣) للراغب ٢/١٠٣ « قال الخالدى : ما أراه إلا وكان يقول بالإباحة وإلا فلم يجوز ما يأنف منه الأحرار » .

(٤) هو على بن عبد الله الجعفرى من ولد جعفر بن أبى طالب ، انظر اللآلئ ٢٦٤ و غ ١٩/١٤٢ والعمدة ٢/١٠٠ والراغب ٢/١٠٥ ، وله فى الغيرة أيضا : —

ربمـــا سرنى صدودك عنى ... فى طلابيك وامتناعك منى

حذراً أن أكون مفتاح غيرى ... فإذا ما خلوت كنت التمنى

وجاء فى المثل السائر ٤٧٨ أن هذا القول فى الغيرة ليس له « ابن جعفر » نفسه الذى ألقى من منكبه رداء الغيرة بل هو لآخر جاء بالضد من ذلك وتغالى به غاية الغلو .

١ ولمّا بدا لى أنّها لا تُحبُّنى ... وليس هواها عن فؤادى بمُنجلى
٢ تمنّيتُ أن تهوَى سِوايَ لعلّها ، ... إذا عرفَتْ طعم الهوى ، أن تَجُودَ لى

فجاء رجل يسأل عنه فقال : ما فعل المتديّثُ فى شعره ؟ فهذا عِيبَ عليه ما قال فى غير زوجته ، ونُسِب إلى التديُّث بما قال . ولقد عيب على القائل[1] :

أهيمُ بدعدٍ ما حيِيتُ فإن أمُتْ ... فوا حَزَنًا من ذا يَهِيمُ بها بَعْدِى

فقال له بعض من سمع هذا البيت : وما يهمّكَ ممّن[2] ينيكها بعدك[3] ؟ ولشتّان بين مسكين الدارمىّ فى إغفاله تفقد امرأته وتركه الغيرة عليها وبين الذى يقول[4] :

١ إذا كنتَ ذا عِرس تضِنُّ بوصلها ... فلا تُخرِجَنْها تبتغى ليلةَ القَدْرِ
٢ ولا تُدخِلِ الحمّامَ عِرسَكَ ، أنّنى ... أخاف من الحمّام قاصمةَ الظَّهْرِ

(١) روى البيت لنصيب فى الكامل ٣٢٢ والموشح ١٦٤ و غ ساسى ١١/١٨ والعقد ٣/٤٣٢ و ٤٣٨ والعيون ٤/١٤٦ وخ ٣/٥٤٦ ، وقد ورد فى الشعراء ١٧٤ منسوبا إلى النمر بن تولب مع ذكر أن « الناس يروونه لنصيب » وفى غ ١٩/١٦٠ أن نسبة البيت إلى نصيب خطأ . والبيت من غير عزو فى الحماسة ٥٥٩ .

(٢) ب « هلك من » ا « تعمل بمن » .

(٣) نسب هذا القول إلى كثير فى المراجع السالفة الذكر . وذكر فى غ ١٤/١٦٧ والموشح ١٦٠ أن سكينة بنت الحسين اقترحت أن يكون المصراع الثانى هكذا : فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى ، إلا أن هذا الاقتراح نسب إلى عبد الملك بن مروان فى الموشح ١٨٩ والصناعتين ٨٥ والعيون والراغب . وجاء فى الموشح ١٦٩ أنه لما قال نصيب : أهيم بدعد البيت أجابه جنى من حيث لا يراه :

أتحزن أن أرواغ دعد تفرجت ... وأنت صدى بين الخفائر فى اللحد
وأهون على دعد بفقدك أن ترى ... صملا يترّيها على هامة المرد

(٤) البصرية ٢٤٥ .

وإلى هذا أشار أبو علىّ البصير فى قوله[١] :

١ دهَتْك بعلّة الحمّام خُشْفٌ وعال بها الطريق إلى سعيدِ

٢ أرى أخبارَ بيتك عنك تخفَى فكيف وَلِيتَ أعمالَ البريدِ

وإلى هذا نظر عثمان بن سعدان[٢] بقوله :

١ سألَتْ زوجَها الخروجَ إلى الحـقِّ ويا رُبَّ باطل فى الحقوقِ

٢ واستقامتْ على الطريق إليـهِ ساعة ثم عرّجَتْ فى الطريقِ

٣ لم تخفْ فتنة الفُتونَ[٣] لما فى قلبها من تلهُّب وحريقِ

٤ وأقامت بمأتم اللهـو لا مأ تمٍ[٤] شقّ الجيوب والتخريقِ

ويروى أنّ جميل بن معمر كان يقول : ما رأيتُ مصعب بن الزبير يمشى بالبلاط إلاّ لحقَتْنِى الغَيرة على بثَينة[٥] وهى بالجَنابِ ، وبينهما مسيرة عشر ليال لراكب المجِدّ المُسرِع[٦] . ويقال إنّه لم يُرَ فى الدنيا رجلٌ كان أغْيَرَ من مالك بن طوق . تزوّج امرأة من بنى تغلب فجاء أخوها يزورها فأقام سنة حتى وصل إلى من أدّى رسالته إليها[٦] .

ولمكين الدارمىّ أيضاً :

١ أرى كلّ ريح سوف تسكنُ مرةً وكلّ سماء لا محالة تقْلِعُ

---

(١) الراغب ٢/١٠٦ والبصرية د٢٤٥ وهما ثابتان فى د البحترى (الجوائب) ٢/٢٥٦ يهجو بهما ابن قماش وفيه « فرز » [الراغب « خود »] بدل « خشف » .

(٢) الأول والأخير لـ « عمر بن سعدان » فى الراغب ٢/١٠٦ .

(٣) ا « فيه المتول » م « فيه الفنون » ب « فتنة الفتون » .

(٤) ا « تمايم اللهو لا يأثم » .

(٥) م « بثنه (بثنة ؟) » .

(٦) انظر الراغب ٢/١٠٥ .

٢ وإنّى والأضـــيافَ فى بُردة معاً　　إذا مات نصفُ الشمس والنصفُ يَنزِعُ

٣ أحدِّثُه إن الحديث من القِرى　　وتَعرفُ نفسى أنّه سوف يَهجَعُ

قوله : « وإنى والأضياف فى بردة معاً » البيت ، حسن جدًّا ، وذلك أنّ البرد فى الشتاء أشدّ ما يكون طرَفَى النهار ، فهو قوله : « إذا مات نصف الشمس » أراد آخر النهار وقد غاب نصف الشمس وهو الذى مات ، والنصف الذى ينزع هو الذى بقى منها ، وهذا استعارة فى نهاية الحسن والجودة .

معنى مضاحكة الضيف ومحادثته

وأما قوله : « أحدّثه إن الحديث من القرى » جيد حسن ، وتمام الكرم عندهم مضاحكة الضيف ومحادثته وطلاقة[1] الوجه . ومن أمثلهم : إنّ الحديثَ من القِرى طرفٌ[2] . وقال الآخر[3] :

[ستأتى تعليقات أخرى ص ٢٠٥ – ٢٠٦]

١ أُضاحِكُ ضيفى قبلَ إنزال رحْلِه　　ويُخصِبُ عندى والمحلُّ جديبُ

٢ وما الخِصبُ للأضياف أن يكثُرَ القِرى　　ولكنّما وجهُ الكريم خَصيبُ

وله أيضاً[4] :

(١) ا و ب « طلاوة » .

(٢) للشماخ : إن الحديث طرف من القرى » – المرتضى ٢/١٣٧ و غ ٩/١٦٨ .

(٣) هو مسكين نفسه – المرتضى ٢/١٢٣ – أو حاتم – د ص ٤٥ والعقد ١/١١٨ – والغالب أنه الخريمى كما فى الوحشيات ٢٢٣ والعيون ٣/٢٣٩ ومجموعة المعانى ٢٨ والبصرية ٢٠١ والمعاهد ١١٧ .

(٤) من كلمة طويلة لمسكين فى المرتضى ٢/٣ – ١٢٢ والباب ٢٦٥ و خ ١/٩ – ٤٦٨ والثلاثة له فى الشعراء ٣٤٨ ونهج البلاغة ١/٤٣٦ والأولان فى العيون ٣/٢٤٠ وهما مع آخرين فى اللآلى ١٨٦ . هذا وقد نسبت الأبيات إلى حاتم ، انظر د ص ٤٨ و خ ١/٤٦٩ ، ولحاتم بيتان يقاربان الثانى والثالث هنا : –

وما ضر جارا يا ابنة القوم فاعلمى　　يجاورنى أن لا يكون له سِتر

بعينىّ عن جارات قومى غفلة　　وفى السمع منى عن حديثهم وقر

لم يثبتا فى د إلا أنهما لحاتم فى غ ١٦/١٠١ وشعراء النصرانية ١١٠ .

١ نارِى ونارُ الجار واحدة ... وإليه قَبلى تُنزَل القِدْرُ
٢ ما ضرَّ جارًا لى[١] أجاوِرُه ... أن لا يكون لبابِه سِتْرُ
٣ أعمَى إذا ما جارتى ظهرَتْ ... حتى يُغيِّبَ جارتى الخِدْرُ

ذكر بعض الرواة أن امرأة ســكين خاصَمَتْه ونسبَتْه إلى البخل، فقيل لها: أليس هو القائل:

نارى ونار الجار واحـــــدة ... وإليه قبلى تُنزل القِـــــدرُ؟

قالت: صدَقَ، النار والقدر لجاره، وإليه تُنزل قبله لأنّه صاحبُها؛ وهو أيضاً لا يشعل ناراً مخافة أن يراها ضَيفٌ فيأتيَها[٢]، فعجب كلّ من حضر لتأتّيها وحسن جوابها.

وله أيضاً[٣]:

١ إنّى لأُغلاهُمُ باللَّحمِ قد علموا ... نِيًّا وأرخَصُهم لَحْماً إذا نَضِجَا
٢ لا تَجْعلَنّى كأقــــوامٍ علمتَهم ... لم يظلِموا البّـــــةَ يوما ولا وَدَجَا
٣ ولا أُرى صاحِبَ هجرانَ زوجته ... ولا أُحدِّثُها الــوآتِ إن خرجَا
٤ أُديم وِدِّى لمن دامتْ مودّتُه ... وأمزُج الوُدّ أحيــانًا لمن مَزَجَا
٥ يا رُبَّ أمرَين قد فرّقتُ بينهما ... من بعد ما اشتبها فى الصدر واعْتَلَجا
٦ وأقطعُ الخرقَ بالخَرقاءِ لاهيَــةً ... إذا الـكواكبُ كانَت للدُّجَى سُرُجَا

(١) ا « ان » ب « لى » كما فى خ وفى المرتضى « إذ ».
(٢) زاد فى غ ١٨/٧٢ أنها علقت على البيت الثانى بقولها: أجل! إن كان له ستر هتكه » وانظر الراغب ١/١٨٧
(٣) مى، ما عدا الثالث، من ٨ أبيات فى المرتضى ٢/١٢٣.

قوله : « إنى لأغلام باللحم ... » البيت ، معنى مليح دقيق وهو أنه لا يُطعم[١] فى إبله ولا غنمه لعزّته ، فإذا ذبح وطبخ أرخَصَ ، أى أطعم الضيوفَ وغيرهم . ومثل هذا قول شبيب بن البَرصَاء :

وإنّى لأُغلى اللّحم نيًّا وأنّنى   لِمَّن يُهينُ اللّحم وهْوَ نَضِيجُ

والمعنى يحتمل وجهاً آخر[٢] ، وهو أن أُغلِي اللحم عند الشراء ، فإذا طبختُه أرْخَصْتُه . واختَرتُ[٣] هذا المعنى من قول أبى نواس[٤] :

أُغالِى بها حتى إذا ما ملكتُها   أهَنتُ لإكرامِ الخليل[٥] مَصونَها

ومثله أيضاً[٦] :

إنّ بَذْلى لها لَبذْلُ جواد   واقتنائى لها اقْتناه شحيحِ

وقريب من هذا المعنى قول الآخر[٧] :

١ يا عين جودى بدمعٍ لا نفادَ له   وابْكى فتى الجود والهَيجاء مسروقا

---

(١) م « يطعم » .

(٢) لقد فسر بيت شبيب على هذا الوجه فى اللآلى ٤٩٣ . ومثله أيضا قول الأبيرد - غ ١٢/١٥ - :

فتى كان يغلى اللحم نيا ولحمه   رخيص لجاديه إذا ينزل القدر

(٣) ب « أخذت » ا « ما أحرب » مطموسة لعلها « ما أقرب » .

(٤) د (اهلوارد) ق ٦٧/٢ .

(٥) ب « الجليس » .

(٦) من ثلاثة أبيات لأبى العتاهية فى البديع لابن المعتز ص ٨٧ وقبله :

عاذلى فى المدام غير نصيح   لا تلمنى على شقيقة روحى

لا تلمنى على التى فتنتنى   وأرتنى القبيح غير قبيح

(٧) فى غ ١٣٢/١١ (ساسى) كلمة للأسود بن يعفر يرثى بها مسروق بن المنذر ابن سلمى بن جندل بن نهشل ؛ البيت الثانى منها :

من لا يشيعه عجز ولا بخل   ولا يبيت لديه اللحم موشوقا

٢ مَن لا يخامره جُبن ولا بُخُلٍ ولا يَبيت لدَيه اللحمُ موشوقا

هذا ذكر أنّ هذا الرجل لا يقدِّد اللّحم ، فيدخره ، بل يطبخه طريًّا ويُطعمه للأضياف وغيرهم .

وقوله : « لا تجعلنّي كأقوام علمتهم » البيت ، أراد أنّهم لم يذبحوا ناقة وهم ظالمون لها ، إذا نُحرت الناقة وهى غير عليلة فهى مظلومة ، وكذلك السّقاء إذا أُخذ زُبْدُه قبل أن يستحكم فهو مظلوم ، وكذلك كلّ شيء فعلوه قبل استحكامه فهو عندهم مظلوم ، قال الشاعر يهجو رجلا :

لايظلِم الوَطْبَ لابن العمّ يَصْبَحُه[1] ويظلم العمّ وابن العمّ والخالَا

وله أيضاً :

١ فما زال لى مثل الغزال وسابحٌ وخطّارة غبَّ السرى من عياليا
٢ أقاسمهم للمالِ فى القُلّ والغنى ويدفع عنهنّ السّنين احتيّاليا
٣ فهذا لأيام الطِّراد وهذه لِلَهوى وهذى يُسِّرَتْ لارتحاليا
٤ وإنّى لأستحيى أخى أن أرى له عَلَىَّ من الحقّ الذى لا يرى لِيَا

قوله : « فهذا لأيام الطِّراد ... » البيت ، حسن التقسيم محكم الصنعة . ذكر أنّ فرسه لأيام الحرب ، وجاريتَه لأيام السلم ، وناقته لرَحلِه[2] . وهذا شبيه بقول رجل سافر عن امرأته ، فاشترى جارية وفرساً ، وأقام بالبلد الذى

(١) صبحه أى قدم له الصبوح . وفى م « يصحبه » .

(٢) ب « لرحلة (لرحلة) » .

سافر إليه ، فكتبت إليه امرأته تَسْتَبْطِئُه ، فكتب إليها[1] :

١ ألا أقرِها منى السلام وقل لها غنيتُ وأغنتْنى الُجمانةُ والوَرْدُ
٢ شديد مناطِ المنكبَين إذا جرى وبيضاء مِنهاجٌ يُزَيِّنُها العِقدُ
٣ فهذا لأيام الطِّراد وهذه لحاجة نفسى حين ينصرف الجندُ

هذا يقرب من شعر مسكين الذى قدّمنا ذكره إلّا أنه أجود من هذا ، لأنّ مِسكيناً[2] ذكر ثلاثة أشياء فى بيت واحد ، وهذا ذكر شيئين فى ثلاثة أبيات فبينهما تفاوت[3] بعيد .

وأما قوله : « وإنّى لأستحيى أخى ... » البيت ، فهو من أمثال العرب الجياد . وقد رُوى هذا البيت لجرير[4] . ويُروى أيضاً لعبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب [عليه السلام][5] . وضدّ هذا المعنى قولهم : إذا عزّ أخوك فهُنْ[6] . وحكى بعضهم أنّه قرأ[7] على باب النوبهار ببلخ ، مكتوب : يقول بعض الحكماء : إذا عزّ أخوك فهُنْ ، وتحته مكتوب : كذب المديم لا الحكيم ، إذا عزّ أخوك فأهِنْه . ومثل هذا قول ابن المعتزّ :

• ولا إذا عزّ أخ أذِلُّ •

(١) قصة الأبيات باختلاف فى بلاغات النساء ١١٧ والعقد ٤/١٦٣ والعيون ٤/٤٨ والأبشيهى ٢/٢٨٤ .
(٢) فى الأصول « مسكين » .
(٣) ا « بون » بدل « تفاوت » .
(٤) كذا فى العيون ٣/١٨ والكامل ٣١٠ والحيوان ٣/٩٠ ؛ واللآلئ ٢٨٩ وقد ضمنه أحمد بن المعذل فى شعر له : انظر الموشح ٣٤٤ ، وقد ورد البيت أيضا فى قصيدة لسيار ابن هبيرة فى ذيل القالى ٧٤ (انظر الكلام عليه فى السمط ٣/٣٧) وتفسيره كما ورد فى الموشح والكامل والحيوان : إنى لأستحيى أخى أن يكون له على فضل ولا يكون لى عليه فضل .
(٥) زيادة فى م .
(٦) انظر الميدانى ٢/٤٤ .
(٧) بدله بهامش م « رأى » .

ومثل الأول قول عبد الصمد بن المعذّل :

إذا عزّ يوماً أخـو ك فى بعض أمرٍ فهُنْ

وقال أيضاً[١] :

١ وإنّى لا أحِـلُّ ببطنِ وادٍ ولا آوِى إلى البيت الصـغيرِ
٢ وإنّى لا أُخاوِصُ[٢] عينَ نارى ولا أدعو رُعاتى[٣] بالصَّفيرِ

قوله : « لا أحِلُّ ببطن وادٍ » يقول : بيتى على اليفاع[٤] وفيه ينزل الكرماء لإيقاد[٥] النيران فى الليل من أجل الضيوف ؛ وإنّما ينزل بالأودية البخلاء لتخفَى نيرانهم عن طرّاق الليل .

قوله : « ولا آوى إلى البيت الصغير » يريد أنّ بيتى فى الفخر بيت كبير واسع . ومثله قول النابغة : « يا دار مَيّةَ بالعلياء »[٦] ، يقول : إنّ بيتها فى الفخر بيت عالٍ ، هذا الذى [ذُكِر][٧] من تفسير بيت النابغة لم يقبَله أحدٌ من أهل العلم . والذى ذكره الأصمعىّ وغيره فى تفسيره أنّه جعله بالعلياء ليكون

---

(١) من ٤ أبيات له فى الحيوان ٥/٧٧ .

(٢) ا و ب « أحاوص » بالحاء المهملة والمقصود فى هذا المقام هو الخوص أى ضيق العينين وصغرها وغورها كما يقال : تخاوصت النجوم إذا صغرت لغورها ، كذا فى اللسان ، وميأتى آنفاً ص ٣٤ لمعقر الأزدى « . . . . خوص نجومها » . قارن أيضاً ابن الرومى (د الكيلانى ٤٤٦) :

تخاوص عين مس أجفانها الكرى يرنق فيها النوم وهى تغمض

(٣) ب « رعاتى » م « دعائى » كما فى الحيوان .

(٤) انظر إلى قول ربيعة بن مقروم ، المفضلية ٣٩/٧ :

ويأبى الذم لى أنى كريم وإن محلى القبل اليفاع

(٥) م « لاتقاد » . (٦) زاد فى ا « فالسند » .

(٧) زيادة فى ب .

بمنجاة من السَّيل . وكيف يريد بيت الفخر وهو يقول : « أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ » .

قوله : « وإنى لا أخاوص عين نارى » يريد إنّى لا أجعلُ نارى صغيرة مثل العين الخوصاء وهى الصغيرة ، من ذلك قولهم عن ابن عبّاس أنه قال : ما رأيتُ معاوية يخوّص عينَه فى وجه أحَد ويقول له : هات [يا أخ ، إلّا رحمةً علماً من معاوية أنّه قد انتهز فرصةً][1] .

من شعر الربيع ابن أبى الحقيق اليهودى

وقال الربيع بن أبى الحُقَيق اليهوديّ[2] :

١ أبلغ أبا ثابتٍ عـــنّى مغلغلةً   والجَهْلُ شرّ قعودٍ كان مرتحلا
٢ أنا ابنُ عمّك إن نابتْك نائبةٌ   ولستُ منك إذا ما كُمبُك اعتدلا

وقال أيضاً[3] :

١ لسنا إذا جارتْ دواعى الهوَى   نحكُمَ حكمَ الجائرِ المائلِ
٢ واضطرَعَ القـــومُ بألبابِهم   وأنْصَتَ الســـامعُ للقائلِ
٣ لا نجعـــلُ الباطِلَ حقًّا ولا   نَلِظُ دون الحـــقِّ بالباطِلِ

وقال أيضاً[4] :

---

(١) لقد ورد ما بين المعقفين فى غاية الارتباك : — ا « يا أخ لا رحته علما أن معاوية أنه انتهز فرصة » م « يا أخ إلا رحمة للعالمين أن معاوية قد انتهز فرصته » ب « باح إلا رحمة علما أن معاوية قد انتهز فرصته » — وإنما صححناه حسب المستطاع فتأمل .

(٢) البيت الثانى من أربعة أبيات له فى الوحشيات ٧٧ وهو له مع آخر فى مجموعة المعانى ٢٤ ومن غير عزو فى العيون ٣/٩٦ .

(٣) هى خمسة أبيات فى اللباب ٣٥٨ والبيان ١/٢١٢ وستة فى الجمحى ٧١ باختلاف وخلط كثيرين .

(٤) الأولان فى المرتضى ٣/٢٧ — ٢٨ .

١ إذا مات منّا سيّدٌ قام بعده له خَلَفٌ بادى السيادةِ بارِعُ
٢ من أبنائنا والغصن ينضُرُ(١) فرعُه عَلَى أصله ، والعِرق للمرء نازِعُ
٣ وإنّا لتغشانا الجدوبُ فما نُرَى تُقَرِّبُنا للمُدنياتِ(٢) المطامِعُ

وقال أيضاً(٣) :

١ ومن يكُ عاقلاً(٤) لم يَلقَ بُؤساً يُنِخْ يوماً بِساحته(٥) القضاءُ
٢ تُعاوِرُه(٦) بناتُ الدهرِ حتى تُثلِّمَه كما ثُلِمَ الإناءُ
٣ وكلُّ شديدة نزلتْ بحيٍّ سيأتى بعد شِدّتها رَخاءُ
٤ فقلْ للمتّقى غرضَ المنايا : توقَّ وليس ينفعكَ اتقاءُ
٥ فما يُعطى الحريصُ غِنًى بحرص وقد يَنمِى لدى الجود الثّراءُ
٦ يُريد المرءُ أن يلقَى نعيمًا ويأبَى اللهُ إلّا ما يشاءُ

---

(١) المرتضى « ينظر » . مثله قول قيس بن عاصم المنقرى (ص ٧٠) : « والغصن ينبت حوله الغصن » .

(٢) ا « للمذنبات » .

(٣) الأبيات ١ — ٥ مع سادس غير الذى هنا فى د قيس بن الخطيم ق ٢٣ (البيتان الخامس والثالث لقيس فى حم البحترى ١٩٥ و ٣٢٣) وهى من كلمة طويلة للربيع ابن أبى الحقيق يقولها فى عراض قول عامر (عمرو) ابن الإطنابة الماضى (ص ١١) فى ابن الأثير ١/٢ — ٥٠١ والأبيات ٦ و ٣ و ٥ من كلمة لقيس بن الخطيم ونسبها أبو رياش إلى ابن أبى الحقيق فى الحماسة ٥٢٨ والأبيات الثلاثة الأول من أربعة للربيع ابن أبى الحقيق فى البيان ١٨٦/٣ وقد نسبت بعض الأبيات من الشعر إلى قيس بن الخطيم فى المصدر نفسه ٢٠٣/٣ ، وعن الصاغانى — التاج ١٨٨/٧ — إنها ليست لقيس بل هى للربيع ، ومن الغريب أن القطعة كلها ثابتة ضمن كلمة طويلة جدا فى د نابغة بنى شيبان ٤٠ — ٥١ ، انظر أيضا غ ١٠٨/٧ .

(٤) كذا فى أصولنا وأصول البيان ، يريد من يكن يعتمد على عقله وحسن تدبيره للأمور . وفى ت « غافلا » .

(٥) ا « تتح يوما لساحته » .

(٦) ا « تعاوده » م « تنادره » .

وقال مهرب الغامدىّ :

١ أرى الدهر لا يَرعَى عَلَى أهل ثروة ، خؤونًا ، ويبدأ أهــلَه بعُقوقِ
٢ فمن يكُ نَصبًا للمنـــون وريبها يكن بحِمام الموت غير سبوقِ
٣ وكم قد رأينا من مُلوك وسُــــوقة وعيش لذيذ للعيـــون أنيقِ
٤ مضى فكأن لم يغن بالأمس أهله وكلُّ جديد صائر لخُلُوقِ

وقال الحارث بن عوف الغامدى[1] :

١ فإن أكبَرْ فإنّى فى لِدَاتى[2] وعانبةُ الأصاغرِ أن يَشيبُوا
٢ وما كبرتُ فائدنى بقَدْرٍ كفانى فى الفوائد ما يَطِيبُ
٣ أبَى لى ذاكُمُ خالى وعمّى وفضلُ المال والصدرُ الرحيبُ

قوله : « فإن أكبر فإنى فى لداتى » فى نهاية التعزّى والتسلّى عن الشباب . يريد : إنّى ما أصِبتُ[3] بالشيب وحدى فأغتمّ ، ولكن قد أُصِبتُ مع غيرى ، فهذا يُسلّى عنّى . ومثل هــذا ما أنشدنا ابن دريد لبعض الأعراب :

١ أنحن ذمَمْناها[4] أم الناس كلّهم سُقُوا شربَتَهم منها برَنْقٍ مُكدَّرِ
٢ وقد يجزَع الإنسانُ يُنكَبُ وحده وإن تكن البلوى مع الناس يصبِرِ

---

(١) ا « العائذى » ب و م « العابذى » — هل الحارث أخو سفيان بن عوف الغامدى الذى ذكر فى البيان ٢/٣٥٣ ؟

(٢) هذا المصراع « فإن أكبر فإنى فى لداتى » ورد بعينه فى [illegible] الغامدى ، انظر المفضلية ١٨/٧ .

(٣) م « [illegible] » .

(٤) ب « هم » .

وقال فراص الغامدِى[١] ، بل هى لنَهشَل بن حَرِى[٢] :

١ ويَوم كأنّ المصطلين بحرّه ... وإن لم يكن جَمرٌ ، قيامٌ عَلَى الجَمرِ

٢ صبَرنا له حتى يَبُوخ[٣] وإنّما ... تُفرّج أيام الكريهة بالصبْرِ

٣ ومَن عدّ مساةً فلا يكذِبنّها ... ولا يكُ كالأعمى يقول ولا يَدْرِى

وقال معقّر الأزدى[٤] :

١ ألَا مَن لِعَين قد نَآها[٥] حَميمُها ... وأرّقها بعد المنام هُمُومُها

٢ وباتتْ لها نفسان شتّى هواهما ... فنفسٌ تعزّيها ونفسٌ تلومُها

٣ ومُستنبِح بعد العشاء دعوتُه ... عَلَى ساعة من سمة يَستديمُها

٤ دعا دعوةً من بعد أوّل هجعة ... من الليل والظّلماء خُوصٌ نجومُها

٥ رفعتُ له بالكفّ نارًا يشبُّها[٦] ... عَلَى المجد معروفٌ بها ما يَرِيمُها

٦ وقمتُ إلى للبَرْك الهواجد فاتّقتْ ... مرابيعُ أمثال الجرائم كومُها[٧]

(١) ا « قراض العابدى » ت « قراض العائذى » م « فراض العابدى » والتصحيح منا بدليل أن « فراص بن عتبة الأزدى » ذكر فى المرزبانى ٣١٩ وغامد بطن من الأزد .

(٢) الأولان له فى شرح الحماسة ١٨٩ والشعراء ٤٠٥ والعيون ١/١٢٥ والحصرى ٤/٢١٦ والعقد ١/٥٥ وحم ابن الشجرى ٥٩ وخ ١/٢ – ١٥١ وهما من كلمة له فى الجمحى ١٣٠ والأبيات الثلثة فى البصرية ١٥ .

(٣) يبوخ أى يسكن .

(٤) الأولان نسبا إلى الممزق العبدى ورويا أيضا لمعقر بن حمار البارقى ، كذا فى المرتضى ٢/٧ .

(٥) م « تناها » .

(٦) ا و م « أشبها » .

(٧) قارن قول عمرو بن الأهتم — المفضلية ٢٣/١٢ — :

وقمت إلى الكوم المراجد فاتقت ... مقاحيد كوم كالمجادل روق

قوله : « وباتت له نفسان شتى ... » البيت ، مثل قول الآخر[١] :

١ ألاَ إنّ لى نفسَين نفسٌ تقول لى : تمتّعْ بليلى ما بدا لكَ لِينُها

٢ ونفس تقول : استَحْيِ من طلب الصبا ونفسك لا تطرح على مَن يُهِينُها

وقال صاحب الأزدىّ[٢] :

١ هل الدهرُ إلاّ ليلةٌ وصباحُها وإلاّ طلوعُ الشمس ثم رواحُها

٢ وإلا صروفُ الدّهر بالمرء مرّةً ذلولا ومرّا سعيُها ومراحُها

٣ تُقرِّبُ ما يَنأَى وتُبعِدُ مادنا إلى أجَلٍ يُفضى[٣] إليه انشراحُها

٤ ويسعى الفتى فيها وليس بمدركٍ هواه سوى ما غرّ نفسا طماحُها

أخذ أبو ذؤيب قوله « هل الدهر إلاّ ليلة » البيت بأسره فقال[٤] :

هل الدهر إلاّ ليلة ونهارُها[٥] وإلاّ طلوع الشمس ثم غِيارُها

وقال عبيد السلامىّ[٦] :

---

(١) البيتان فى غ ١١/٢٤٧ - وشبيه بهما قول كثير : د ١/٧٥ : -

فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة من اليأس ما ينفك هم يعودها

ونفس رجى وصلها بعد صرمها تجمل كى يزداد غيظا حسودها

(٢) فى م بياض بين « صاحب » و « الأزدى » . وسيأتى الأولان مع بيتين آخرين للنعمان بن عقبة العتكى ص ٢٢٥ .

(٣) ب و م « يقضى » وغيرت فى م « يفضى » .

(٤) د ق ٥/١ . (٥) م « صباحها » وهو سهو من الكاتب .

(٦) الأبيات ٦ - ٨ فى القالى ٢/٢٣٣ وعلق عليها البكرى - اللآلى ٨٥٦ - بقوله « هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله الأزدى ، هكذا نسبه أبو تمام (الحماسة ١٩٨) .... وقد رأيته منسوبا إلى مضرس بن ربعى الفقعسى ...... والصحيح ما قاله أبو تمام » وهى فى اللباب ٣٥٧ من غير عزو . والأبيات ٦ - ٩ بزيادة بيت خامس ، لمحمد بن عبيد الأزدى ، فى حم البحترى ٣٥٦ ، ولمحمد بن عبد الله الأزدى ، فى مجموعة المعانى ٦٢ ، ولمحمد بن عبد الأزدى » فى الراغب ١/١٧٥ والبيتان الثالث والرابع من ٣ أبيات لحاجز (بن عوف) الأزدى فى العسكرى ٢/٢٢٨ وسيأتيان ص ٢٨٩ بإضافة ثالث آخر لمالك بن النهان وهما من أربعة لبعض اليهود فى مجموعة المعانى ٦٨ والبيان ٣/٢٠٨ .

وكلُّ قرينٍ ذي قرين يودُّه سيفجَعُه يوما من الدهر فاجعُ

٢ وإنّى لصَرّامٌ ولم يخلقِ الهوى جميلٌ فراق حين تبدو الشرائعُ

٣ وإنّى لأَستَبقِى إذا العُسر مَسَّنِى بشاشة وجهى[1] حين تَبلَى المنافعُ

٤ مخافةَ أن أقلَى إذا جِئتُ سائلا ويَرجِعَنى[2] نحو الرجال المطامعُ

٥ وأعرِضُ عن أشياء لو شئتُ نِلتُها حياء إذا ما كان فيها مقادِعُ[3]

٦ ولا أدفَع ابنَ العمِّ يمشى على شَفًا ولو بلَغتْنى من أذاهُ الجنادِعُ

٧ ولكن أواسِيهِ وأنْسَى ذنوبَه لِترجِعَه يوما إلىَّ الرواجِعُ

٨ وحسبُك من ذُل[4] وسوء صنيعةٍ معاداةُ ذى القُربَى ولو قيل قاطِعُ

٩ فألبِس تُراكَ الأهلَ تسلَمْ صدورُهم فلا بدَّ يومًا أن يَروعَك رائعُ

١٠ فتَبلُوَ ما أسلَفتَ حتى تردَّه إليك الجوازى وافِراً والصنائعُ

١١ فإن تكُ تَعفُو يُعفَ عنكَ وإن تكن تُقارِعُ بالأخرى تُصِبْكَ القوارِعُ[5]

وقال عبد الله بن ثعلبة الأزدىّ .

١ إنّى إذا نادى المنادى لَيلةً إحدى ليالى الدهر لم أتمالِ

٢ أسعَى إليه ولا يرانى قاعداً بين القُعودِ مع النساء الغزَّلِ

٣ فلعلَّ ما أُدعَى لما أنا فاعِلٌ ولِمَ الحياةُ إذا امرؤ لم يفعَلِ

---

(١) م بياض ا « وكرى » ب « ذكرى » والتصحيح عن مجموعة المعانى .

(٢) م « رجعنى » . (٣) م « مقارع » والمقادع : عوار الكلام .

(٤) « من ذل » مكانه بياض فى م وروى « من لؤم » و « من جهل » .

(٥) هكذا ورد البيت فى م وب وروايته فى ا :

فن يك يعفو نعف عنك [اعف عنه ؟] وإن يكن يقارع بالأخرى فقيك القوارع

وقال قتادة بن طارق الأزدىّ :

١ فإنْ أنا أو[1] أقربْ فإنّى لحافظ   لحقّ ابْن عمّى حين يضعُف ناصِرُهْ
٢ ولا أتصدّى للملوك ولا يُرَى   عدوُّ ابْنِ عمّى لى رفيقاً أُسايِرُهْ
٣ ووافِقِهِ لا أُعطَى يداً عن مذلّة   أذلّ بها ما يَمَّمَ البيت سائِرُهْ

وقال شراحيل بن قيس بن جمال :

١ أليس أحقّ الناسِ أن يدعَ الصبا   ويَنهَى عن الجهل الكريمُ المُجرّبُ
٢ من الأوّلين عالج الفقرَ والغنَى   وكلَّ ضُروعِ الدهر ما زال يحلبُ

وقال غيره :

١ أهنيد[2] إنّ الموتَ مدركُ من مشَى   مَا إنْ له مَنجاً ولا متأخَّرُ
٢ ولقد رأيتُ من الحوادث عبرةً   لا والدهر ذو عِبَرٍ لمن يتدبَّرُ
٣ لا تَخشَى للنائبات وسلّمِى   إنّ الزمانَ بأهله يتغيَّرُ

وقال الوليد بن عريض بن جبلة الكِندىّ :

١ وكلُّ فتى ، وإنْ كره المنايا   سيَحدُوه إلى المكروه حادى
٢ إذا مَا المجدُ ضلّ[3] ديارَ قوم   هدَاهُ الكِندة الأخيار هادى
٣ ترى للمجد وسطَهم بُيوتا   طِوالا غير واهية العِمادِ

وقال شريك بن أبى الأعقل التجيبىّ[4] :

١ ومستعجِل والمكثُ أدنَى لرشدِه   ولم يَدْرِ فى استِعجاله ما يُبادِرُ

---

(١) ا « أنا لم » بدل « أنا أو » .
(٢) م « أهنيك » ب « أهنيه » .   (٣) ا « مل ؟ » .
(٤) الأخيران باختلاف يسير فى الرواية مع ثالث غير الذى ذكر هنا لأسامة بن زيد فى مجموعة المعانى ١٣٠ والبيت الثانى من أربعة أبيات لمعقر بن حمار البارقى فى المرزبانى ٤٠٢ — انظر أيضا الآمدى ٩٢ .

٢ تُهَيِّبُكَ الأسفارَ من خشيةِ الردى وكائنْ رأينا من رَدٍ لا يسافِرُ
٣ [ولو كان يَبدو مقبلَ الأمرِ للفتى كمُدبره ألفَيتَه لا يدامِرُ

هذا أوّل من أتى بهذا المعنى وهو قوله : « تهيِّبك الأسفار » البيت ، و][1]
قد أكثرت الشعراء بعده فيه . فمن جيد ذلك قول الشاعر[2] :

١ تقول سُلَيمى : لو أقمتَ لسرَّتنا ولم تَدْرِ أنّى للمَقام أطوّفُ
٢ لعلّ الذى خَوَّفْتِنا من ورائنا[3] يُصادفُهُ من بعدِنا المتخلِّفُ

ومثله :

وخافَت على التَطواف فَوتى وإنّما تُصَابُ غِرارُ[4] الوحش وهى رُتُوعُ

وهذا البيت فى نهاية الجودة ، وهو للمحدثين . والقول فى هـذا المعنى كثيرٌ جدّا ، ومن سبيلنا الاختصار ، لا سيما ما كان مشهوراً فى أيدى الناس .

وقوله « ولو كان يبدو مقبل الأمر للفتى » البيت جيد صحيح[5] ، وأخذه ابن الرومىّ فقال[6] :

أَلَا من يُرِيى غايتى قبلَ مذهبى ؟ ومن أينَ والغاياتُ بعدَ المذاهبِ

(١) سقط من م مع أن البيت ذكر فيما بعد فى معرض الكلام عليه .
(٢) هو عروة بن الورد العبسى . انظر د ٩١ – ٩٣ والكامل ١١٥ والحماسة ١٥٧ ومجموعة المعانى ١٢٩ والزهرة ١ ٢٥١ مع ثالث .
(٣) يروى « من أمامنا » بدل « من ورائنا » وعلى هذا يكون المعنى : لعل الموت الذى خوفتنى منه بأن يكون أمامى يترقبنى ، يلحق المتخلف المقيم فى أهله ، كذا فى د .
(٤) فى الأصول « عرار » .
(٥) مثله لابن السليمانى :

لو أن صدور الأمر يبدون للفتى كأعقابه لم تلفه يتندم

انظر الحماسة ٣٥٧ .
(٦) د ١/ ٢٥٨ .

وهذا المعنى كثير جدًّا . وقال ابن غزالة[1] :

١ لا يُوئِلُ[2] الدهر من صرف الردى أحدًا   والموت إن ألكُ[3] منه هاربًا لحقا
٢ وكلّ باكٍ سيُبكَى ليس منفلتًا   من المنيّة إمعــــانًا ولا شفقا
٣ كذلك الدهر لا يرعَى عَلَى أحــد   والمرء رهنٌ لريب الدهر مذ خُلِقا

وقال آكل المُرَارِ[4] :

١ رُبَّ همٍّ جَشَّمتُه فى هواكُم   وبعيرٍ تركتُهُ محسورِ
٢ وغلام كلفتُـــــه دَلَجَ اللّيــــل فأضحَى يَبيد كالمَخْمُورِ

١ [...[5]]إنّ من غرّه النساء بشىء   بعدَ هنــدٍ لجاهِلٌ مغرورُ
٢ حلوة العـــين واللسان ومُــــرٌّ كل شىء يُجِنّ منها الضميرُ

وقال الحارث بن مريم[6] الوادِعِيّ :

١ فما نفح روض ذى أقاح وحَنوة   وذى ورَقٍ من قُلّةِ الحَزْنِ عازبِ
٢ ولا ريح فَغْوٍ أو خُزَامَى وحَنوة   أَرَشَّتْ عليــه سارياتُ السحائبِ
٣ بأطيبَ من فيها إذا ما تقلّبتْ   مع الليل وَمْنَى جانبًا بعد جانبِ

---

(١) هو ربيعة بن غزالة ذكره محمد بن حبيب فيمن نسب إلى أمه وانظر الآمدى ١٢٥ .

(٢) يوئل : ينجى ؟ ولم يرد فعل من وأل بهذا المعنى فى المعاجم ، وفى ا « يوءل » .

(٣) م « ءال » .

(٤) وردت الأبيات الأربعة التالية قطعة واحدة والظاهر أنهما قطعتان والبيت الأول من القطعة الأولى فى اللسان (نفه) من غير عزو والرواية هناك « منفه محسور » .

(٥) لعل كلمة [وله] سقطت من هنا قبل القطعة الثانية وهى مع أبيات أخرى وخبرها فى غ ١٥ = ١٢/٨٤ – ٨٤ وانظر ابن الأثير ٣٧٢/١ ، البيان ٣/٢٢٨ .

(٦) كذا فى ا و م وفى ب « جرهم » .

وقال أيضاً :

١ إذا انكشفَتْ عنها عجاجةُ مَعركٍ لحين تَعاديها[1] بدت حولها شقرا
٢ وكنا إذا ما استَمطرونا لحادثٍ رعَدْنا فأمطَرْنا مثقَّفةً سُمْرَا
٣ نجودُ بها في كلِّ قسرٍ كريهةٍ لأعدائنا حتى يلينوا لنا قسرا

وقال الحشيش بن عبد الله الوادعي :

١ إني إذا ما خفتم ورغِبتُمُ[2] فأنا الحبيبُ لديكم والمصطفَى
٢ عجباً عجبتُ لمن يدنِّسُ عِرضَه ويصون حلَّتَه[3] ويحميها الأذى
٣ الثوب يَبلَى ثم يُشرى غيرُه والعِرْضُ بعد هلاكه لا يُشترَى

ابن الرقاع العاملي[4] :

١ لاخيرَ في الخَبِّ[5] لا تُرْجَى فواضِلُه فاسْتَمطِروا من قريش كلَّ منخَدِعِ
٢ تخالُ فيه إذا حاوَلْتَه[6] بَلَهاً عن ماله وهْوَ وافي العقلِ والوَرَعِ

ولبعض الشعراء في يزيد بن المهلَّب لمّا انهزم عنه الناس يوم العَقْر، وقد بايعوه على الموت[7] :

(١) ب « يناديها » م و ا « تناديها » . (٢) ا و م « رعيتم » .

(٣) في الأصول « خلته » وصححت بهامش م .

(٤) نسب البيتان إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ورويا لابن قيس الرقيات في غ ١١/٦٦ (ساسي) ، انظر د ابن قيس الرقيات ٢٨٩ ولعل الصواب أنهما للفرزدق كما ورد في العيون ١/٢٢٥ ، انظر أيضا اللسان (مطر) والبيت الأول في التاج (مطر) عن الصاغاني لأبي دهبل الجمحي وهما في البصرية ٦٧ له « أبو الرقاع العاملي » .

(٥) ا و م « الحب » ب « الخي » ولا شك أن الصواب « الخب » أي الخدع كما في العيون والرواية هناك « في خب من » .

(٦) ا و م « جاملته » ب « حايلته » والتصحيح عن العيون .

(٧) من قصيدة ثابت قطنة . راجع الكلام عليها في خ ٤/١٨٤ والأبيات الثلاثة في الشعراء ٤٠١ والبيان ١/٢٩٣ و غ ١٣/٥٣ والبيتان الأخيران مع آخرين في حم ابن الشجري ٩٠ .

١ كلّ القبائل بايعوك على الذى تدعو إليه طائعين وساروا
٢ حتى إذا حَمِيَ الوغى وجعلتَهم نَصْبَ الأسنّة أسلموك وطاروا
٣ إنْ يقتلوك فإنّ قتلكَ لم يكن عارًا عليك ، ورُبَّ قتلٍ عارُ

ابن الدمينة[(١)] :

١ أيا ربِّ أدعوك العشيةَ مُخلِصاً لتعفُوَ عن نفس كثيرٍ ذُنوبُها
٢ قضيتَ لها بالبخل ثمّ ابتَلَيْتَها بحبِّ الغوانى ، ثم أنت حسيبُها
٣ خليلَىَّ ما من حَوبة[(٢)] تَرَيانها بجسمىَ إلّا أمّ عمرو طبيبُها
٤ أهمُّ بجذّ[(٣)] الحبلِ ثم يَرُدُّنى تذكُّرُ ريّا أمّ عمرو وطيبُها
٥ وبَرْدُ ثناياها إذا ما تغوّرتْ نجوم يشفّ الواجدين غيوبُها
٦ وقد زعموا أنّ الرياحَ ، إذا جرت يمانيَةً ، يشفِى المحب دبيبُها
٧ وقد كذبوا ، لا بل يزيد صبابةً إذا كان من نحو الحبيب هبوبُها
٨ فيا حبّذا الأعراض طاب مقيلها إذا مسّها قَطْر وهبّت جنوبُها

أما قوله : « قضيت لها بالبخل ... » البيت ، فإليه نظر القائل[(٤)] :

أيا ربِّ[(٥)] تخلُقُ ما تخلُقُ وتنهَى عبادَك أنْ يعشَقوا

وأحسن منه قول الحسن المشرك الموصلى فى هذا المعنى ، وبه لُقِّبَ المشرك :

---

(١) الأبيات ما عدا الخامس والأخير فى البصرية ١٥٤ ولم تثبت فى د .
(٢) كذا فى البصرية وفى الأصول « حومة » مصحفا .
(٣) ب « بجز » م « لجذ » .
(٤) هو يزيد بن عثمان كذا فى العقد ٤/٢١٢ ويلى البيت بيت آخر :
إلهى خلقت حسان الوجوه فلِمْ عبادك لا يعشق ؟
(٥) فى ا و م زاد كلمة « إن » بعد « رب » .

١ أيا ربَّ مخلُوقٍ أقمارَ ليـــلِ وقضبانَ بانٍ وكثبانَ رَمْلِ
٢ وخشفانِ[1] إنسٍ تصيـدُ القلوبَ بألفاظِ سِــــحْرٍ وألحاظ قَتْلِ
٣ وتُبدِع فى كلِّ خدٍّ بوَرْدٍ وفى كلِّ قدٍّ بشَكْلٍ ودَلّْ
٤ وتَنهَى عبادَك أن يعشَــقوا فَيا حاكِمَ الحُكمِ إذا حُكمُ عَدلِ؟

وقوله : « وقد زعموا أنّ الرياح إذا جرت » البيت ، والبيت الذى يليه ضدّ ما ذكره كثير من الشعراء ، لأن بعضهم يقول[2] :

١ إذا الريح من أرض الحجاز تَنسَّمَت وجدتُ لمَسراها على كبدى بَرْدا
٢ على كبدى قد كاد يُبدِى بها الهوَى صدوعا[3] وبعض القوم يَحسَبنى جَلْدا

وقال آخر[4] :

١ إذا هبَّت الأرواح من نحو جانب به آل مَىٍّ هاج وَجدى هبوبُها
٢ قريبـــة عهد بالحبيب[5] وإنّما هوى كل نفس حيث كان حبيبُها

---

(١) جمع خشف ، لم يرد فى المعاجم .

(٢) البيتان لعلى بن علقمة فى حم ابن الشجرى ١٦٧ والبصرية ١٨١ وزاد فى المرجع الأخير أن بعضهم يجعلها من قصيدة ورد الجعدى ، ونسبا إلى قيس بن الملوح العامرى فى المنتحل ٢٤١ والبيت الثانى من كلمة لإبراهيم بن هرمة فى غ ٤/٣٦٦ .

(٣) كذا فى الأصول وروى « ندوبا » .

(٤) البيت الثانى من بيتين لبعض الأعراب فى ذيل الثالى ٩٢ وثلثة أبيات لإبراهيم ابن العباس فى المرتضى ٢/١٣٢ والعسكرى ١/٢٧٤ انظر أيضا الابشيهى ٢/٢٢١ ، وخمسة أبيات لمجنون بنى عامر فى غ ٢/د٨ . وجاء فى المرتضى والعسكرى إن إبراهيم أخذ قوله من قوله ذى الرمة : —

إذا هبت الأرواح من كل جانب به آل مى هاج شوقى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها (د ٦٦)

ويتضح من هذا أن الخالديين خلطا بين قولى ذى الرمة وإبراهيم .

(٥) فى الأصول « بالمحبوب » »

قيل : قوله يشبه قولَ المجنون[1] :

ألا يا صبا نجدٍ متى هجتِ من نَجد لقد زادنى مسراكِ وجْدا على وجْدِ[2]

وهذان المعنيان فى أشعارهم كثير جدًّا .

وقال ذو الرمّة[3] :

١ أما والّذى حجَّ الملبُّون بيتَـــه سِراعا[4] ومولَى كلّ باقٍ وهالكِ
٢ وربِّ القِلاصِ الأُدْم تَدمَى أنوفها بنَخلةَ والساعِين حول المناسكِ
٣ لئن قطعَ اليأسُ الحنينَ فإنّه رَقُوءٌ لتَذْراف الدُّموع السوافِكِ
٤ لقد كنتُ أهوَى الأرضَ مايَستفِزُّنى لها الوجْـــدُ إلّا أنّها من دِيارِكِ
٥ أُحبُّكِ حُبًّا خالطَتْه نصيحةٌ وإنْ كنتِ إحدى اللاوِياتِ المواعِكِ[5]
٦ ألاَ من لقلب لا يزال كأنّه من الوجْد شكّته صُدورُ النّيازِكِ
٧ ولاَعَين ما تَنفكُّ تَجرى شؤونُها[6] على إثرِ حادٍ حين حادرتُ[7] سالكِ

الصلتان العبدىّ[8] :

١ قالَتْ أُمامةُ ما تَبـــقَى دراهِمُنا وما بِنا سَرَفٌ فيهـا ولا خُرُقُ

(١) د ٣٩ وقد ورد البيت كما هو هنا لابن الدمينة فى الحماسة ٥٧١ و غ ١٥/١٤٩ والديوان والبصرية ١٤٩ وروى باختلاف ليزيد بن الطثرية فى ذيل الأمالى ١٠٤ و غ ٥/٢٣٤ .

(٢) ب و م « جهدا على جهد » .

(٣) د ٤١٦ — ٤٢٠ .

(٤) الرواية « شلالا » أى متفرقين .

(٥) اللاويات : الماطلات ، وكذلك المواعك .

(٦) م « دموعها » بدل « شؤونها » .

(٧) كذا فى الأصول والرواية « حاذرت » بالذال وكذلك اختلف فى قوله تعالى « وإنا لجميع حاذرون » انظر اللسان (حذر) .

(٨) الأولان مع بيتين آخرين لجوية بن النضر فى الحماسة ٧٥٦ والبصرية ١٢٠ [فى المعاهد ٤٦ « النضر بن جوية ابن النضر » وزاد فيه إن صاحب المغرب نسبه لملك إفريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدى] والرواية هناك « طريفة » بدل « أمامة » .

٢ إنّا إذا اجتمعَتْ يوماً دراهمُنا ظلّتْ إلى طُرُقِ الخَيراتِ تَسْتَبِقُ
٣ فلا تخافِي علَينا الفَقرَ وانتظِرِي سَيبَ الّذي بالغنى من عنده نَثِقُ
٤ إنْ يفْنَ ما عندنا فالله يرزُقُنا ومَن سِوانا ، ولَسْنا نحن نرزُقُ

حُطَايط اليَرْبوعي[1] :

١ أرِيني جواداً ماتَ هَزْلاً لعلّني أرى ما تَرَيْنَ ، أو بخيلاً مُخَلَّدا
٢ ذرِيني يكن مالي لِعِرضيَ جُنَّةً بقي المالُ عِرْضي قبلَ أن يتبدَّدا[2]
٣ ذريني أكُنْ للمال رَبًّا ولا يكنْ ليَ المالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبَّهُ غدا

بعض الأعراب[3] :

١ ألَا أبلِغْ لئيم بني نُمَيْرٍ بأنَّ الريحَ أكرَمُ منك جارا
٢ تُقَذِّينا إذا هبَّتْ شمالا وتَملأ عينَ حافظِكُمْ غُبارا

(١) الأبيات الثلاثة له في خ ١/٦ – ١٩٥ وهي من كلمة له في غ ١١/١٣٣ ، منها الأول والثالث مع آخر في العيون ٣/١٨١ واللآلي ٧١٦ والثالث من : أبيات في الحماسة ٧٥٥ ، والأول والثاني من كلمة منسوبة إلى حاتم الطائي ، انظر د ٢٣ والبصرية ١١٨ ، وقد جاء في الشعراء ١٢٩ أن حطائطا أخذ البيت الثالث (وذكر معه الأول أيضا) من قول حاتم :

إذا كان بعض المال ربا لأهله فإني بحمد الله مالي معبدُ

وانظر في اللسان ١٦/١٧٦ الكلام على الاختلاف في نسبة البيت الأول إلى حطائط تارة وإلى دريد وحاتم ومعن بن أوس تارة أخرى وهو ثابت في ديوان معن ٣٩ .

(٢) قارن قول حاتم ، غ ١٦/٩٥ :

واجعل مالي دون عرضي جنة لنفسي واستغني بما كان من فضل

وقول المثقب العبدي ، المفضلية ٧٧/١٨ :

أجعل المال لعرضي جنة إن خير المال ما أدى الذم

(٣) البصرية ٢١٧ ، وفي الراغب ٢/٢ – ٨١ لبعض لصوص التمر :

ألا يا جارنا بأباض إنا وجدنا الريح خيرا منك جارا
تغبرنا [تدمرنا] إذا هبت علينا وتملأ وجه ناظركم غبارا

كذا في البلدان (أباض) من إنشاد محمد بن زياد الأعرابي .

هذا الشاعر يذكر أنّ رجلا من بنى نمير كانت له نخل قد أقام لها حافظا يمنع أن يتناول أحدٌ منها شيئاً ، وكانت الشمال إذا هبّت نَفَضَت الرطب ، فالتقطه هذا الشاعر ، لأنّ الريح تشغل الحافظ عن الحفظ وتغضّ من بصره .

أبو الجويرية العبدى(١) ، يرثى من قُتل بالعقر من آل المهلّب :

١ نساء بكَت آل المهلّب حُسَّرا — توالَت عليهنّ المصائب والثكلُ
٢ يطاوعن من أوصى وأوجف فى البكا — وإن قيل : مَهْلا ، قيل : ما بعدهم مَهلُ
٣ وآلَينَ لا يُبقِينَ وجهاً لحُرّة — عن اللطم حتى تمّحِى الحدَق النُّجْلُ
٤ يُشَقِّقْنَ عنهنّ الجيوبَ كآبةً — ولَهفا على أُسْدٍ أُبيح لها القَتْلُ
٥ إذا شبَّ شَغْبٌ(٢) أو تشاجَر منطقٌ — نعندهم فيه الحكومةُ والفَصْلُ
٦ مَعاطِىّ يستَغْنِى الفقيرُ بسَيْبِهم — كأنّ أديمَ الأرض بعدهم(٣) مَحْلُ

جذل الطعان(٤) :

١ فمَن بَرِئَتْ(٥) جريرتُكم(٦) إليه — فإنّى من جريرتكم سقيمُ
٢ ظلَمْتم فاصْبِروا للشرّ إنّا — سنصْبِر إنّه الحسَبُ الكريمُ
٣ وشرُّ الجازعين إذا أُصِيبَتْ(٧) — قوادِمُ ريشه الفزِعُ الظَّلومُ
٤ وكنّا قاعِدِين ، أقمتُمونا — على حَسَد ، فقد قُمنا ، فقوموا
٥ ومن لا رُغمكم فيه(٨) فإنّى — برُغمكمُ وحَربكمُ زعيمُ

(١) اسمه عيسى بن أوس . (٢) فى الأصول « سب شعب » .
(٣) فى الأصول « بينهم » .
(٤) الوحشيات ١٠٣ – ١٠٤ ما عدا البيت الرابع . (٥) ا « بدئت » .
(٦) الوحشيات « جريرته » .
(٧) الوحشيات « أصيبت » .
(٨) ا و ب « لا زعمكم » م « لا زغمكم » الوحشيات « لا زعمكم منه » ورغم ورغم سواء .

أعرابيّ من بني أسد[١] :

١ يا قبر بين[٢] بيوت آل محرّق   جادت عليك رواعدٌ وبروقُ

٢ هل تفقدنّك دمنةٌ مرعيّةٌ   فيها أداء أمانةٍ وحقوقِ

٣ ذهبتْ بك الأيامُ عنّا بعدما   كادتْ بك الأرضُ الفضاءُ تضيقُ

٤ حتّى السماء فكنتَ قربَ نجومها   والآن بلغتَ نجومَها لحقيقُ

الجراح بن عبد الله بن جوشن الغطفاني ، وقتلت بنو سليم أباه وعرضوا عليه الدّية ، فأباها ثم قتل قاتلَ أبيه وقال[٣] :

١ شفيتُ أواراً من غليل وجدتُه[٤]   على القلب ، منه مستَسِرّ وظاهرُ

٢ ألا ليت قبراً بين دارات مُطْرِقٍ[٥]   يُحدِّثه عنّي الأحاديثَ جابرُ[٦]

٣ وقالوا: بَدِيل[٧] من أبيك وتقتدي[٨]   فقلتُ : كريمٌ لم تلدني الأباعِرُ

٤ ألم ترَ أنّ المالَ يُذهبُ دثرَه   تغيّر أحوالٍ وتبقى معايرُ

---

(١) البيت الأول مع آخر لرجل من بنى أسد يرثى خالد بن نضلة (أو خالد بن المضلل) ورجلا آخر من بنى أسد (هو عمرو بن مسعود) كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء فقتلهما فى سخطه عليهما ، كذا فى غ ٥/٢١٣ و ١٩/٨٦ .

(٢) فى الأصول « عند » بدل « بين » .

(٣) الوحشيات ٦٧ .

(٤) الرواية فى الوحشيات : شفيت برواد غليلا وجدته ؛

(٥) الوحشيات « محرق » .

(٦) ا و ب « جابر » بالجيم ، كذا فى الوحشيات وفى م بالجيم والحاء معا .

(٧) كذا فى ا و ب وبدله فى م « نديك » – كذا فى الوحشيات أيضا – والوارد فى المعاجم ودى القاتل القتيل لا غير .

(٨) الوحشيات « تنتدى » .

وقال يحرِّض ابنَى أخيه وقد قُتِل أبوهما[1] أخوه[2] :

١ رأيتُــكما يا بنَى أخى قد سَمِنتُما ولا يدركُ الآثارَ إلّا الملوّحُ

٢ وأمُّــكما قد أصبَحتْ وهْىَ أيِّمٌ تخــيَّرُ فى خطّابها أين تَنكِحُ

جَحش بن نُصَيب ، أحد بنى عبد الله بن غطفان[3] :

١ ويوم بوادى اليعمرِيَّة لم نَزَلْ على المـاء حتى أسْلَمَ المـاءَ غامرُه

٢ وقِرن تركتُ الطّيرَ تَحجُلُ حوله تحرِّكُ رِجْــلاه وقد مات سائرُه

٣ تركتُ بزيدَ[4] يحفِزُ الموتُ رُوحَه انُثْ[5] عليه الغَدرَ والرمحُ شاجِرُه

قوله « حتى أسلم المـاء غامره » يقول هزمناهم فملـكنا ماءهم لهزيمتنا إياهم .

وقوله « انث عليه الغدر والرمح شاجره » زعم أنّه طعن رجلا غادراً فلمّا طعنَه ذكّره غدرَه .

أعرابىّ وأقاد الـسلطان أخا له يقال له زيد بقتيل قَتَلَه اسمه أيضاً زيد[6] :

١ علا زيدُنا يوم الوغى[7] رأسَ زيدِكم بأبيَضَ من ماء الحـــــديد يمانِ

٢ فإن تقتـــــلوا زيدا بزيد فإنما أقادَكم الـسلطان بمـــــا ... زمانِ

---

(١) م « أباهما » مصحفا .

(٢) هما من ثلاثة لبلال بن جرير فى الوحشيات ٦٧ وستأتى خمسة للأمر ... ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

(٣) الوحشيات ٦١ .

(٤) م « فريدا » .

(٥) م « ابث » ا « انت » .

(٦) البيتان فى الكامل ٢٤ د والحصرى ٤/١٦٧ لرجل من طيىء ... يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بنى أسد واسمه زيد فأقيد منه ... فقال الطائى يفتخر على الأسديين ، انظر أيضا خ ١/٣٢٧ .

(٧) روى « يوم الحمى » و « يوم النقى » وفى الوحشيات ٦٩ « يوم ... » .

آخر قريب من معناه(١) :

١ فإنْ تضربونا بالسِّياط فإنّنا ضربناكم بالبيض يوم الصرائمِ
٢ وإنْ تحلِقوا منّا الرؤوس فإنّنا حلَقْنا رؤوساً باللِّحى والغلاصمِ

عبّاد بن أنف(٢) الـكلب الصيداوي من بني أسد :

١ دفَعْنا طريفاً بأطرافِنـــا وبالرّاح عنّا ، ولم تدفعـــونا
٢ فلَمْ يَبـــقَ إلّا الّتي حاوَلوا وخِفنا ، وأحْرِ بها ، أن تكونا
٣ فإنْ كان فيكم لـكم(٣) ثروة فإنّا عـــديدٌ وإن كان دُونا
٤ وإنا إذا قابلَتْنـــا السيوف وقد هاجت الحرب ضرباً ثبينا
٥ وطاح الرئيس وهادي اللّواء ولا تأكل الحربُ إلّا سمينـــا
٦ وأعصَمَ بالصّـــبر أهلُ البَلاء فإنّا هناك كما تعلمـــونا

قوله « دفعنا طريفا ... » يقول دفعنا حربهم بكلّ ما نقدر عليه ، وهو مثل قولهم : دفعتهُ(٤) عنّي بالراحة فلم يندَفع .

وقوله « فلم يبق إلّا الّتي حاولوا » البيت يريد أنّهم لا يندفعون عنّا وإن احتملناهم حتى يقع بيننا الحرب . ثم خاطَبَهم فقال : إنكم وإن كانت لـكم ثروة

(١) هي خمسة أبيات في الكامل ٣٢٣ روى الخالديان منها اثنين هنا واثنين فيما بعد ص ٧٢ من غير عزو ثم روياها الحمسة لجرير ص ٣٢١ وأنشد القالي (الذيل ١١٦) عن المبرد الأبيات الخمسة لنافع بن خليفة الغنوي راجع أيضا السمط ٣/٥٥ .

(٢) في الأصول « أبي » بدل « أنف » .

(٣) في الأصول « لهم » بدل « لكم » .

(٤) ا و م « دفعت » .

عدد[1] فإنا نحن أيضاً عديد وإن كان دونا ، وهذا مثل قول الآخر[2] :

أبَا خُراشـــةَ ، إمّا كنتَ ذا نَفَرٍ … فإنَّ قومىَ لم تَأكلْهمُ الضَّبُعُ[3]

مثله[4] :

* فقلتُ لها : إنَّ الكرام قليلُ *

م ذكر الحرب وإنَّ الرئيس وحامل اللّواء يُقتَلانِ لأنّهما مشهوران ، والحربُ تأكل إلّا السمينَ ، وهذه استعارة حسنة ، يريد أنَّ الفارس المشهور يقصده عداؤه حتى يُقتَلَ بشهرته ووضوح موضعه فى الحرب . ورُوِى عن الحسن أنَّه ل : لو نادى منادٍ أنَّ رجلا من أهل الأرض فى النار ، لخفتُ أن أكون لك الرجلَ .

قال عمرو بن كلثوم[5] :

معاذَ الإله أنْ تَنوحَ نساؤُنا … على هالك أو أن تَضِجَّ[6] من القَتلِ

قِراعُ السيوف بالسيوفِ أحلَّنا … بأرض براحٍ ذى أراكٍ وذى أثلِ

فما أبقَتِ الأيامُ بالمالِ عنـــدنا … سِوى جِذْمِ أذْوادٍ مُحَذّفةِ النَّسلِ[7]

ثلاثةُ أثلاثٍ فأثمانُ خَيلِنا … وأقواتُنا وما نَسوق إلى القَتلِ

أما قوله « معاذ الإله أن تنوح نساؤنا » البيت فقد تناوله بعض الشعراء معنى الصبر على القتل

مره فقال :

---

(1) أ « البيت » بدل « وعدد » .

(2) هو عباس بن مرداس السلمى يخاطب خفاف بن ندبة ، انظر الشعراء ١٩٦ خ ٢/٨٠ – ٨٢ ونسب البيت خطأ إلى خفاف بن ندبة فى الحيوان ٥/٢٤ .

(3) الضبع : السنة المجدبة .

(4) لسموأل بن عادياء والمصراع الأول « تعيرنا أنا قليل عديدنا » – الحماسة ٤٠ .

(5) الحماسة ٧ – ٢٣٦ . (6) ب « تضج » كما فى الحماسة .

(7) الرواية فى الحماسة : « أذواد محذفة النسل » والأزل : الشدة والضيق .

معاذ الإله أن تنـــوح نساؤنا … على هالكٍ منّا وإنْ قُصِم الظَّهْر[1]

وأخذه آخر فقال :

١ فُجِعوا بذى الحسب الصميم فأصبحوا … لا مُبْلِسِين ولا كِظاما وُجَّما

٢ حتى كأنّ عدوّهم مما يَرَى … من صبرهم حسبَ المصيبة أنْعُما

وأخذه آخر فقال :

هم القوم لا يخشون حَربا مضرَّة … وإن قتلوا لم يَقشعِرّوا من القَتْلِ

وأخذه أبو تمّام فقال[2] :

مترسلين إلى الحتوف كأنّما … بين الحتوفِ وبينهم أرحامُ

معنى الاستغناء بالسلاح من الحصون

وقوله : « قراع السيوف بالسيوف … » البيت ، قد ذكرنا شيئا من نظائر هذا البيت فيما تقدم من هذا الكتاب ، فمّما لم نذكر قول ابن الحرشب[3] :

[مفت النظائر ص ٢٦]

نزلنا على رغم العِدى فى مفازة … معاقلُنا فيها السيوف الصوارمُ

وقال التغلبى[4] فى هذا المعنى أيضاً :

١ لنا حصونٌ من الخطّىّ عاليةٌ … فيها جداولُ من أسيافنا البُتُرِ

٢ فمن بنى مَدَرا من خوف حادثة … فإنّ أسيافَنا تُغنى عن المَدَرِ

---

(١) مثله لإبراهيم بن عبد الله يرثى أخاه .

وإنا أناس لا تفيض دموعنا … على هالك منا ولو قصم الظهرا

مقاتل الطالبيين ٣٠٩ .

(٢) و ٢٤٩ ومجموعة المعانى ٣٧ وسيأتى ص ١٠٧ .

(٣) هو سلمة بن الخرشب .

(٤) أى عمرو بن كلثوم التغلبى وقد نسب البيتان فى البصرية « إلى عمرو بن كلثوم أخى بنى عبس الكنانى (فارس معروف جاهلى ، كذا فى المرزبانى ٢١٥ ، الآمدى ١٥٦) بما يدل على أن الخالديين شبه لهما فى رأى صاحب البصرية على الأقل .

[وقد جوّد هذا الشاعر وما قصّر ، وأصابَ تشنيه السيوف إذ جعلها مثلَ الجداول لكثرة مائها وائتلاقها ، ثم ذكر أنَّها تغنى عن الحصون المبنيّة[1] من المدر][2] .

[معان نظائر أخرى ص ٣٢٦ - ٣٢٧]

وقوله « فما أبقت الأيام ... » البيت والذى يليه ، فقد جوّد فيما ذكر وأحسن القسمة فى البيت الأخير إذ جعل جِالهم ثلاثة أقسام ، فقسم يُصرَف فى[3] أثمان الخيل إذ كانت حصونهم التى يلجأون إليها و يبلغون بها الغايات و يدركون بها التِرات ، وقسم فى أزوادهم وأقواتهم وما يَقرون ضيوفَهم ، وقِسمٌ يسوقونه فى دياتِ مَن يَقتُلون ، ولا نَعلم أحداً اتَّفق له فى بيت واحد ولا أبيات كثيرة كما اتفق لهذا فى صحة القسمة وشرح الأبواب الّتى تصرف فيها .

الجنون[4] :

١ وما بِنتُ إلّا خاصم البينَ حبُّها بحالين من قلبى مطيع وسامع

٢ تبارك ربِّى كم لليلى إذا انتحَتْ بها النفس عندى من حميمٍ[5] وشافِـع

[معنى اقتحام الحرب والعفة عند المغنم]

قيس بن زهير العبسى[6] :

١ تركتُ النهـــابَ لأربابه وأكرهتُ نفسى على ابن الصَّعِقْ

٢ جعلتُ يدَىَّ وشـــاحاً له وبعضُ الفــوارسِ لا يعتَنِقْ

---

(١) م « المتينة » . (٢) سقط من ب .

(٣) فى الأصول « إلى » وصححت فى م . (٤) لم يثبتا فى د .

(٥) ب « خصيم » .

(٦) البيتان من غير عزو فى البيان ٣/٢٤٦ والحيوان ٦/٤٥ والصناعتين ٢٧٩ ونقد الشعر ٩٥ والثانى كذلك فى العمدة ٢٠٦/١ والراغب ٥٧/٢ وانظر شرح د زهير ٥٤ - ٥٥ .

قد ذكرنا كما تقدّم(١) أنّ أصل هذا المعنى بيت عنترة :

يُنبئك من شهد الوقيعة أنّنى أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ

وذكرنا معه شيئاً من نظائره ، فلما وقفنا على هذا البيت علمنا أنه الأصل فإن قال قائل : قيس بن زهير وعنترة بن شدّاد العبسيّيْن فى عصر واحد ، قلنا : صدقتَ ، إلّا أنّ قيس بن زهير كان أكبر من عنترة بدهر طويل . وأخرى أنّ هذا الشعر قاله قيس فى آخر حرب داحِس ، وهو الوقت الذى قتَل فيه خالدُ بن جعفر العامرىُّ زهيرَ بن جذيمة العبسىَّ ، فى أمره عمرو بن الصمق العامرىّ ، وما نحسب أنّ عنترة كان وُلِد فى ذلك الوقت ، وإنما لحق عنترة آخر أيام عبس وذبيان بعد يوم جَبَلة ، وإنما ثبتت شجاعته فى يوم عُراعِر(٢) ويوم الفَرُوق(٣) وهذان اليومان بعد يوم جَبَلة ، ويوم جَبَلة كان وقد مضى من حَرب داحس شبيه بخمسين سنة . وجوّد أيضاً قيس فى قوله « جعلتُ يدَىَّ وشاحاً له » البيت يقول إنّ أكثر الفرسان يطعن برمحه وبسيفه ولا يعتنق إلا الواحد من العدد الكثير . ومن جيد ما قيل فى هذا المعنى الّذى تقدّمنا ذكره وأقدَمِه قولُ عمرو بن كلثوم التغلبى(٤) :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأُبْنا بالملوك مصفّدينا

[ستأتى نظائر أخرى ص ٩١ و ٣٢٠]

---

(١) لا ، بل كما سيجىء فيما بعد ص ٩١ و ٣٢٠ .

(٢) خبر يوم عراعر فى ابن الأثير ١/٤٣٠ .

(٣) فى الأصول « الفرق » والتصحيح عن البلدان حيث ثبت قول عنترة .

ونحن منعنا بالفروق نساءنا نطرف عنها مشعلات غواشيا

وراجع خبر يوم الفروق فى ابن الأثير ١/٤٣٢ والعقد ٣/٣١٧ .

(٤) من المعلقة .

قالت هند بنت عتبه [لعنه الله][1] تعيّر بنت عمّها ، رملة بنت شيبة[2] ، لما أسلمت :

١ لَحَاها الله صابئــــةً بوَجٍّ ومكّة أو بأطراف الحجـــــونِ
٢ تدين لمعشر[3] قتـــــلوا أباها أقتلُ أبيكِ جاءكِ باليقـــــين

المطوّح بن عثمان الثعلبي :

١ إذا فخرتْ يوماً نُمير فقل لها : ذروا الفخر، إنّ الفخر مسلكه صَعْبُ
٢ نفاكم عن الدار التي كنتمُ بها رجال كرام من بنى تغلب غُلْبُ
٣ هم أنكحوا بالقَضْبِ من فتياتكم جهاراً ومن شرّ المجاءرة القَضْبُ
٤ وما كان منا عند قوم سبيّـــة وما كان من أموالنا عندهم نهبُ
٥ وما نالنا من معشر فى ديارنا ولا طَرَدَتْنا عن منازلنا الحرْبُ

أخذ الحارث بن غزوان الزبيدي[4] الثعلبيّ قوله « وما كان منا عند قوم سبيّة » البيت فقال :

١ أرانى كلّما ناسَبْتُ حيّـــــــا أرى لى من كرام النـــاس خالاَ
٢ وما تحتَ السماء لنا ابن أخت بمُردفةٍ عليها القـــــدحُ جالاَ

فى قوله هذا زيادة بيّنة على قول من تقدّمه لأنه ذكر أنه ما ناسب أحياء العرب إلّا وجدهم أخواله لكثرة ماسَبَى قومُه من نسائهم ، ثم قال : « وما تحت السماء لنا ابن أخت » لعزّنا وسطوتنا وإنه لا يرام ذلك منّا ولا تُسْبَى لنا امرأة

(١) سقط من ا وفى ب « لعنها الله » .
(٢) هند أم معاوية بنت عتبة وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، انظر المعارف لابن قتيبة (جوتنجن ١٨٥٠) ص ٣٥ .
(٣) ب « لعشرة » .
(٤) ا و م « الزبيدى » .

فيضرب من سباها عليها بالقدح [لأنهم تكون][1] ، وفي البيت الأول أيضاً شيء من ذكر العزّ ، يقول : إنّ أموالنا ليست تُرام فما انتهب أحد قطُّ شيئاً من مالنا

في هجو النساء

أعرابيّ يهجو امرأته[2] :

١ خرقاءُ بالخير ما تُهـدَى لوِجْهَتِهِ وهْيَ صَنَاعُ الأذى في الأهلِ والجارِ

٢ ليسَتْ بشَبْعَى ولو أوردتَها هَجَراً ولا بِرَيَّا ولو حلَّتْ بذي قارِ

إلى هذا نظر هذا القائل :

كالحوت لا يكفيه شيءٌ يلْهَمُـهُ يُصْبِـحُ ظـمآنَ وفي البحر فَمُهُ

ولآخر يخاطب امرأته[3] :

١ يا رُبَّ مثلِكِ في النساء عزيزةٍ[4] بَيضاءَ قد روَّعتُها بطـلاقِ

٢ لم تَدْرِ ما تحتَ الضُّلوع وغرَّها منّي تجمّل[5] عِشرتي وخَـلاقي

سياق المعنى ص ٦١ و ٢٦٦ و ٣٣٨

أعرابيّ من بني شَيبان :

١ ومالِيَ من ذنبٍ إليك علمْتُه[6] سِوى أنّني من رهط بكر بن وائلِ

٢ من الربعيين الذين سيوفُهم مجرّدةٌ في كلّ حـقٍّ وباطلِ

معنى ذمّ من تعبر عن آبائه

أعرابيّ يمدح معنَ بن زائدة ، ويهجو روح المهلّب[7] :

(١) زيادة في م .

(٢) من أربعة أبيات في الحيوان ٣/٢٢٩ المحيف في أمه : منها ثلاثة ، بإسقاط الأول [illegible] في الحماسة [illegible] سيار الملقب بالمحيت الخدري)

(٣) في غ ١٢/٦ : لغيلان بن سلمة قال البيتين لما أسنّ وكثرت أسفاره فملته زوجته وتجنت عليه وأنكر أخلاقها

(٤) كذا في الأصول وفي غ « غريرة » .

(٥) ا و ب « تحمل » .

(٦) ا « علمته » .

(٧) البصرية ٢٠٩ وهما في الراغب ١/١٦٣ « لعمارة » .

١ لئن كان ممن زان شيبان كلّها ... لقد شانَ روحٌ كلَّ آلِ المهلَّبِ
٢ رفيـــع بجدّه ، وضـــيع بنفـــه ... لئيمٌ مُحَيَّاه ، كريم المركّبِ

أخذ أبو تمّام قوله : « رفيع بجدّه ، وضيع بنفسه » البيت ، فقال[1] :

١ يا أكرمَ الناس آباءً ومفتخَرًا ... وألأمَ النَّاس مَبـلُوًّا ومُختبَرَا
٢ يُغضِى الرجالُ إذا آباؤه ذُكِروا ... له ويُغضِى إذا ما لُؤمُه ذُكِرَا

والشعر الأوّل الذى أخذ أبو تمـام هذا المعنى منه أجودُ من قول أبى تمـام وأحسن تركيباً وتقسيماً وأبلغ فى المعنَى ، وقد ألمّ بهذا المعنى جماعة من الشعراء ، فقال بعضهم :

إن قلتَ : كان أبِى فى بيت مكرمةٍ ، ... قلنا : صدقتَ ولـكن بئس ما ولَدا[2]

وأتى به آخر فقال[3] :

١ أبوكَ أبٌ حُرٌّ ، وأمك حُرَّةٌ ... وقد يَلِدُ الحُرَّانِ غيرَ نجيبِ
٢ فلا يَعجبَنَّ الناسُ منك ومنهما ... فـما خَبَثٌ من فضّةٍ بعجيبِ

ولابن المعتز يخاطب به رجلا فيقول : إنك كريم الآباء لئيم النفس ، وهو[4] :

حتى كأنك نِقمة فى نِعمـــةٍ ... أو نُومةٌ فى روضة من نرجسِ

---

(١) كذا فى الراغب ولا يوجد البيتان فى د .

(٢) قريب منه بيت ورد فى الراغب :

لئن فخرت بآباء لهم شرف ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

(٣) نسب البيتان فى العسكرى ١/٢٩٢ والنويرى ٣/٢٨٤ إلى حسان بن ثابت قالها فى أبى سفيان بن الحارث ولم يثبتا فى د ، وجاء فى الراغب ١/١٦٣ أن خالد بن صفوان نظر إلى لئيم النفس كريم الأبوين فقال : فلا يعجبن الناس البيت .

(٤) لا يوجد البيت فى د .

وقال الله تعالى : (يخرج الخبيثَ من الطيِّب) والشعر في مثل هذا المعنى كثير ، وهو يجيء في مواضع أُخَر إن شاء الله .

في صفة السيف [انظر أيضاً ص ١٩ الماضية و١٧٦]

أعرابيّ ذكر سيفاً :

١ وصافي الفِرِنْدِ كأنَّ الدَّبَى ... عَلَاه فغَادرَ[1] فيه أثَرْ

٢ يُرَقْرِقُ للشمسِ في مَتْنِه ... شعاعٌ يحسّر[2] عنه النَّظَرْ

٣ سريع إذا استكرهته اليمين ... كأنّ معاً وِردَه والصَّدَرْ

٤ تبيتُ المنيـــةُ في حدِّه ... وتُلْجِئُه بصروف القَدَرْ

آخَرُ[3] :

١ وقلنا لهم[4] : ثِنتانِ لا بُدَّ منهما ، ... صدورُ رماحٍ أُشرِعَتْ أو سلاسِلُ

٢ لهم صدرُ سَيفي يومَ صحراء سَحْبَلٍ ... ولي مِنه ما ضُمَّتْ عليه الأناملُ

٣ إذا ما ابْتَدَرْنا مأزِقاً فرجَتْ لنا ... مَضَائقَهُ بِيضٌ جلَتْها الصَّياقِلُ

الرواية [« بأيماننا بيض »[5] . أما قوله « وقلنا لهم : ثِنتان » البيت ، فإ[نه] ذكر أنهم قالوا لأعدائهم من عزّهم وسطوتهم واقتدارهم عليهم : إما أن تختار[وا] القتل بصدور الرماح أو الشدّ بالسلاسل في الأسرة[6] .

---

(١) ا « نصادف » .

(٢) ا « تحسر » ولم يرد في اللسان إلا حسرت العين بحسرَ وحسرها بعد ما حد[ق] إليه يحسرها .

(٣) من ٦ أبيات في الحماسة ١٩ – ٢١ و ١٣ في غ ١١ / ١٤٨ لجعفر بن علبة الحارث[ي] .

(٤) الرواية « وقالوا لنا » ويتلو البيت الرد على الأعداء في قوله :

فقلنا لهم : تلكم إذا بعد كرّة ... تغادر صرعى نهضها متخاذل

(٥) بياض في .

(٦) ب و م « بالأسر » .

وقوله «لم صدر سيفى» البيت، فمثل قول الآخر[1]، ولا ندرى أيهما أخذ من صاحبه:

نقاسمهم أسيافنـــا شرّ قِسمةٍ ففينا غواشيها وفيهم صـدورُها

أعرابى من بنى تغلب:

١ ينــــادينى لأنظُرَهُ بريمٌ فدَعْنى، إنّما أربَأُ[2] أمامِى
٢ دَلَفْتُ له بأبيضَ مَشرَفىٍّ كما يدنو الْمُصافِحُ للسَّـــلامِ[3]

يقول: دعانى بريم لا نظر إلى موافقه فى الحرب، فقلت له: دعنى فإنى أريد التقدم[4] أمامى فى القتال. ثم قال «دلفت له بأبيض مشرفى كما يدنو المصافح للسلام» يقول: إنى أدنو إلى قرنى غير متناع منه كما يدنو من يريد مصافحة صديقه والسلام عليه، ومن هنا أخذ البحترى قوله[5]:

١ تَسرّع حتى قال من شهد الوغَى لِقـــاء أعادٍ أو لقاء حبائبِ
٢ لقد كان ذاك الجأشُ جأشَ مُسالمٍ على أنّ ذاك الزِىَّ زِىُّ مُحارِبِ

[أنظر أيضاً ص ٣٠٩]

ومثله قول أعرابى قديم:

حنّتْ لهم بكرٌ فلم تستطعْهمُ كأنّهم بالمشرفيّـــة سامِرُ[6]

---

(١) البيت الثانى أحد بيتين لجعفر بن علبة الحارثى نفسه انظر الحماسة ٢١ – ٢٢ واللآلى ٩٠٥ والبصرية ١٩.
(٢) فى الأصول «أربى».
(٣) غير منسوب فى ابن أبى عون ١٥٠ وفى الصناعتين ١٧٥ لفرواش بن خوط:
دنوت له بأبيض مشرفى كما يدنو المصافح للعناق
(٤) فى الأصول «أتقدم».
(٥) د ١/٧٣ والعسكرى ١/١١٧ ومجموعة المعانى ٤٢ وابن أبى عون ١٥١ وجاء فى ذيل القالى ٩٤ أن البحترى سرق معنى البيت الأول من أبى تمام حيث يقول:
حن إلى الموت حتى قال جاهله بأنه حن مشتاقا إلى الوطن
وفى الصناعتين أن أبا تمام أخذ المعنى من فرواش بن خوط فقصر عنه وأحسن البحترى تقسيمه.
(٦) اسم جمع بمعنى المتسامرين.

يقول : كأنهم قوم يتحدثون فى سامرٍ ، ليس عليهم روع الحرب ولا جزع القتال .

الضحاك بن عمرو العدوانى[١] :

١ فإن لا أمُتْ أشهَدْ سوابقَ غارة ... تُساق المنايا بالوشيج المقوَّمِ
٢ بكلِّ رُدَينىٍّ كأنَّ سِنانه ... سَنا لَهَبٍ[٢] فى عارضٍ متضرِّمِ
٣ بكلِّ صعدةٍ دنَستُ بالطعن لونَها ... بمُعتَبَط من قانئ الجوف أسْحَمِ
٤ سقاها فرَاها من الدَّم فانطَوت ... على عَاَقٍ فى ثعلَبٍ متهضمِ

قوله « فى ثعلب متهضم » قريب من قول البحترى[٣] : « أو نَثْر القناة كعوبا » وفى مثله : « وفى صُلبه[٤] ثَعلب بنكسير » .

عبد الله بن الحارث :

١ إذا طلعَتْ شمس النهار مريضةً ... وجُرّد بالأيدى السيوفُ القواطعُ
٢ وأشرِع أطرافُ الرِّماح كأنَّها ... حِبالُ جَرورٍ مدَّهن النوازِعُ

قوله « إذا طلعت شمس النهار مريضةً » يقول : إنّ يوم الحرب يكسر نور الشمس بما يرتفع من الغبار كأنّها مريضة .

---

(١) ا و م « العاراف » [« العلياف » ؟ نسبة إلى عليان بطن من همدان] .
(٢) ب « هبة » والهبة : مضاء السيف والساعة تبقى من السحر ، وقارن قول امرئ القيس :

حملت ردينيا كأن سنانه ... سنا لهب لم يتصل بدخان

(٣) مضى ص ١٠ .
(٤) كذا فى ب وفى م « صنت (صنه) » والصفن : وعاء الخصية ، وفى ا « صوته » وهو تصحيف . هذا ولا أستبعد أن تكون « حرصه » من قولهم « طعنت فى حرصه » انظر اللسان (حرص) .

وقوله فى صفة الرماح « وأشرع أطراف الرماح ... » البيت ، مثل قول عنترة بن شداد :

* أشطانُ بئرٍ فى لبان الأدهم *[١]

والجرورُ : البئر البعيدة القعر ، وقد أخذه ابن المعتز فقال[٢] :

وصَعدةٌ كرشاء البئر ناهضةٍ   بأزرقٍ كانقّاد النجم يقظانِ

ورُوى عن بعض الأعراب أنّه سُئِل عن وقعة كانت لهم فقال . لمّا لقيناهم جعلنا الرماح أرشيةً لمناياهم ، فنزحنا بها ركايا نفوسهم . والبيت الأول أجود مما ذكرنا بعده لأنّه جعل الرماحَ الطوال وزعم أنّها لا تكون إلّا مع الشجعان لحذقهم بالطّعن ، قال زياد الأعجم[٣] :

لعمرك ما رماحُ بنى نُمَــير   بطائشةِ الصــدور ولا القِصارِ

ويروى أنّ امرأة[٤] من بني نُميرٍ أحضِرَتْ ، فاجتمع حولها قومُها ليُلقّنُوها الشهادةَ ، فقالت لهم : مَن القائل : « لعمرك ما رماح بنى نمير » البيت ؟ فقالوا : زياد الأعجم ، قالت : فبِكَم يجوز أن أتصدّق من مالى ؟ قالوا : بثُلثِه ، قالت : فأشهدُكم أنّه له[٥] . فأما قول عنترة : « أشطان بئر فى لبان الأدهم » ، فيجوز أن يكون أراد طوالا ، ويجوز أن يعترض عليه معترضٌ فيُمِلْ بيته ، إذ لم يذكر طولا ولا قصراً . وأما بيت ابن المعتز فهو ناقص لأنّه ذكر « صَعدة » وهو الرمح القصير عندهم بغير شك .

---

(١) من المعلقة والمصراع الأول « يدعون عنتر والرماح كأنها » . مثله أيضا قول مهلهل فى رثاء كليب :

كأن رماحهم أشطان بئر   بعيد بين جاليها جرور

مجالس ثعلب ١٤٠ .   (٢) د ١/٥٥ .

(٣) العسكرى ١/١٧٠ .   (٤) فى الأصول « رجلا » ثم غيرت « امرأة » .

(٥) انظر القصة فى بلاغات النساء ١٦٢ .

وقال في رمح وسنان[1] :

١ له فارطٌ ماضي الغِـــرار كأنّهُ هلالٌ بدا في آخر الليـــل ناحِلُ

٢ أصَمّ إذا ما هُزّ مارتْ[2] سَرَاتُهُ كما مار ثُعبـــانُ الرمالِ الموائلُ

أعرابي[3] :

١ لقد علمتْ عرسي أمامةُ أنني طويلٌ سنا ناري بطيء خمودُها

٢ إذا حلّ أضياف[4] الفلاة فلم أجد سوى خشب الأطناب شب وقودُها

٣ إذا لم تجد إلّا الكريمةَ للقِرى فَرَدْ نفسَها إنّ المنـــايا تُرِيدُها

آخر :

١ إذْهبْ فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ من رجلٍ دفّاع ضَـــيم وطَلّابٍ بأوتارِ

٢ قَدْ كنتَ تحملُ قلبًا غير مهتضمٍ مركّبًا في نصابٍ غـــيرِ خوّارِ

جميل :

١ وقد زعمَتْ أنّي سأرضى بها العدى سرقت إذًا ، يا بثن ، زادَ رفيقي

٢ عميتُ إذًا ، يا بثن ، حتى يقودني إليكِ العِدى لا أهتدِي لطريقِ

الشَّمرْدل اليربوعيّ :

١ الا لا أبالي من أتاه حمامُه إذا ما المنايا عن بجير تجلّتِ

---

(١) المفضلية ١٧/٥٢ و ٥١ للمزرد وهما في العسكري ٢/٥٨ وابن أبي عون ١٤٦ (مع ثالث) وفي النويري ٦/٢٢١ من غير عزو .

(٢) ا « ربت » بدل « مارت » .

(٣) الأولان في المرزباني ٣١١ لأبي النجم العجلي .

(٤) كذا ولعلها « أضياف » .

٢ يكون أمام الخيل أوّلَ فارس   ويضرِبُ فى أعجازها إن تولَّتِ

ومن هذا أخذ البحترى قوله[1] :

طليعتهم إن وجَّه الجيشُ غازياً   وساقتهم إن وجَّه الجيشُ قافِلا

وقد ذكرنا نظائر هذا المعنى ، وأكثرها فيما كتبنا فى هذا الكتاب ، وبقيت تأتى فى مواضع أخر .

أعرابى وذكر قوماً أبادهم الدهر :

١ ولقد ترى ناديهم وكأنّه   طوق الجرِّة غُرَّةً وتماما

٢ أمراء غير مؤمَّرين ترى لهم   أمراً وهم من قدرهم إعظاما

هذا مثل قول الآخر :

١ إنَّ الأميرَ هو الّذى   يضحى أميراً عند عزلِهْ

٢ إنْ زال سلطان الإما   رةِ كان فى سلطان فضلِهْ

أعرابىّ :

١ لا تَبحثَنْ مولاكِ عمّا بقلبه   ولا ترتقى مرقاتَه حين يغضبُ

٢ فبعضُ اجتماع الحىِّ أطوع فرقة   وبعضُ التَّنَحِّى من صديقك أقربُ

هذا المعنى كثير جداً ، ولو ذهبنا إلى استقصائه كان كتاباً مفرداً ، وإنّما نأتى من النظائر بما عزّ وقلّ فى أيدى الناس ، ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى[2] قول سعيد بن حميد :

---

(١) د ٢/٢١٣ وانظر ابن أبى عون ١٥٤ .

(٢) ومنه أيضاً قول الشاعر :

هجرتك لا قلى منى ولكن   رأيت بقاء ودك فى الصدود

كهجر الحائمات الورد لما   رأت أن المنية فى الورود

تفيض نفوسها ظمأ وتخشى   حماما فهى تنظر من بعيد

الأدباء لياقوت ، ترجمة محمد بن الحسن بن دريد .

رُبَّ هجر يكون خيفة هجر وفراقٍ يكون خوف فراقِ

معنى مشي المرأة — ومن أحسن ما قيل في مشي النساء ما قال بعض الأعراب[1] :

[مضت النظائر ص ٣٠-٣١]

١ فقمن بطيئاً مشيهن تأوّدا على قَصَبٍ قد ضاق عنه[2] خلاخِلُه

[ستأتي نظائر أخرى ص ١٢٢ و١٥٢]

٢ كما هزّت المرّانَ ريحٌ فحرّكت أعاليَ منه .وارْجحنّتْ أسافلُه

أعرابيّ :

معنى الهجاء : الاستهانة بغضب المهجو

[مضى المعنى ص ٢١]

١ فيا لله يشتمني قعين تعالى الله ربّي ذو الجلالِ

٢ فتى إن يرضَ لا ينفعْك شيئاً وإنْ يغضبْ فإنّك لا تُبالي

وقد أخذه ابن الرومي فقال[3] :

١ غَضِبتَ وطِلْتَ[4] من سفه وطَيش تَهَزْهزُ لحيةً في قدِّ رُقْشِ

٢ فما افترقتْ لغضبتك الثريّا ولا اجتمعتْ لذاك بناتُ نَعشُ

وقول ابن الرومي هذا أجود من الأول لفظاً وزيادةً في المعنى ، ومثل الأوّل قول الآخر[5] :

١ أبو عامر كالناس يرضَى ويغضَبُ ويبعد في بعض الأمور ويقربُ

٢ ولكن رضاه ليس يُجدِي قُلامةً فما فوقَها ، وسخطه لَيس يُرْهِبُ

أخْيَرُ من هذا كلّه قوله[6] :

أرعِدْ وأبرِق يا يزيـدُ فما وعيدُك لي بضائرِ

(١) البصرية ٥ ١٩ . (٢) البصرية « على قصب قد ضاق عنها » .

(٣) الراغب ١/٢٥ والمعاهد ٥٣ . (٤) ب « ظلت » كما في الراغب والمعاهد .

(٥) هما في الراغب ١/٢٥٢ لأبي علي البصير ، وهناك « أبو جعفر » بدل « أبو عامر » .

(٦) البيت تمكيت في القالي ١/٩٦ والكامل ٦٢٥ وانظر الموشح ٧ - ١٩٦ .

ولشتّانَ بين قول هذا فى الغضب وقول جرير[١] :

إذا غضبَتْ عليك بنو تميم[٢] حسبْتَ الناس كلّهم غِضابَا

وبين قول بشار بن بُرد[٣] :

إذا ما غضِبْنا غضبَـةً مضَرِيّةً هتَكنا حجابَ الشمس أو قطرتْ دما

ومثل المعنى الأول فى الاستهانة بالغضب قول أبى علىّ البصير .

يا أبا العَيناء لا تَغـضَبْ ، وإنْ تَغضَبْ فأهوِنْ

الأعشى[٤] :

١ أبا لَبِتٍ خَشَّنَنى عباد وإنّما رأيتُ منايا القوم يسمَى دليلُها

٢ فما مِيتةٌ إنْ مُتُّها غير عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالَتِ النفسَ غُولُها[٥]

وله[٦] :

معنى الهجاء بقصر النفس على المآكل والملبس

١ أبا ثابتٍ لا تَعلَقَنْكَ رماحُنا أبا ثابت واقعُدْ فإنك طاعِمُ

٢ طعامَ العراق المستجادَ الذى ترى وفى كلّ عام كِسوة ودراهِمُ

---

(١) د ١/٣١ والعسكرى ١/٨٦ . رد العباس بن يزيد الكندى على هذا البيت بقوله :

لقد غضبت عليك بنو تميم فما نكأت لغضبتها ذبابا

ع ٨/٢١ .

(٢) بهامش ب « نمير صح » بدل « تميم » وذلك غلط لأن البيت فى هجو الراعى النميرى .

(٣) البيت لبشار فى المختار من شعره ١٦٣ وغ ٣/١٦٢ ونسبة الآمدى ٩٣ إلى التحيف ابن خير مع النص على أن بشارا أخذه فأدخله فى قصيدته . (٤) د ص ١٢٥ .

(٥) هكذا فى ب وهى الرواية ، بدله فى ا و م « عالت الشمس مرلها » .

(٦) يظهر أن الخالديين أخذا مصراعا من بيت ومصراعا من بيت آخر فكونا منهما البيت الأول لأن الرواية فى د ص ٨٥ (انظر أيضا العمدة ٢/٦١ وخ ٣/٥٥) هكذا :

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا أبا ثابت اقعد وعرضك سالم

يتلوه بيت ثم :

وذرنا وقوما إن هم (إنهم) عمدوا لنا أبا ثابت واجلس فإنك ناعم

روى أبو عبيدة « طاعم » بدل « ناعم » وروى أيضا « اقعد » بدل « اجلس » .

فأخذ هذا المعنى الحطيئة فزاد على الأعشى زيادة بيّنةً بقوله[١] :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتِها وَاقْعُدْ فإنّكَ أنتَ الطاعِمُ الكاسي

وما أقرب هذا المعنى من قول الآخر :

إذا ما كنت ذا أكل وشُرب فلا تطمحْ إلى نيلِ المعالي

هذا ضدّ قول امرئ القيس[٢] :

١ فلو أنّ ما أسعَى لأدنَى معيشةٍ كفاني ، ولم أطلُبْ ، قليلٌ من المالِ

٢ ولكنّما أسعَى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالي

أعرابي من بني عامر وخطب امرأة منهم كانت قد تزوّجت قبله وكان لها مال فلم تتزوجه وردّته فقال[٣] :

١ أترجو العامريّةُ زوجَ صدقٍ وقد زادتْ على مائةٍ سنُوها

٢ يُطَنْطِنُ ما يريد الزوجُ منها وأنتَنَ من طويل العمر فُوها

٣ ونُقِّلَ رحلُها في كلّ حيٍّ وجَرَّبتِ الرجالَ وجرَّبوها

٤ فما وجدوا مناسِبَها كراماً ولا هُم عند خلوتها رضُوها

٥ ولا هي بالولود[٤] لمن أتاها ولو ولَدَتْ لَشِينَ بها بنُوها

٦ وفيها لابنها خِزْيٌ طويلٌ كما قد كان أخزاها أبُوها

عمرو بن معديكرب[٥] :

(١) د ق ٢٠/١٣ والشعراء ١٨٦ والعسكرى ١/١٧٤ .

(٢) راجع خ ١/١٤٨ .

(٣) الأبيات الثلاثة الأولى في البصرية ٢٢٦ من غير عزو .

(٤) ب و م « بالودود » .

(٥) البيتان في الشعراء ٢٢٢ والعيون ١/١٩٣ وهما مع ثالث في المرزباني ٢٠٩ ومن [illegible] في غ ١٤/٣٢ والعقد ١/٦٢ .

[مضى المعنى ص ٥٥]

١ أعاذلَ إنما أفنَى شـبابى ... ركوبى فى الصَّريخ إلى المنادِى
٢ أعاذلَ شِكّتى بَدَنِى[1] ورُمحى ... وكلّ مقلِّص سلِس القِيَادِ

ومثله قول الآخر :

وأفنَى شبابى قِراع الكُماة ... وإلجام خيـل وإسراجُها

وقال آخر :

إنّما أفنَى شـبابى أنـنِى ... أركبُ الليلَ إذا نام الدثورُ

قد تقدّم شىء من نظائر هذا المعنى فى صدر هذا الكتاب .

سلمة بن رِشْك[2] اليشكرى :

١ طاردَ القلب خبالٌ رَدَعَـهُ[3] ... كلّما قلتُ تناهى صَـدَعَهْ
٢ وجوى من حبّ سلمى مضمرٌ ... أتعبَ للقلبَ وأبْدى جَزَعَهْ
٣ وصديق السوء لا تأخـذه ... بل جميلُ الرأى فى أن تدَعَهْ
٤ فاجْتَنِبْهُ واجتَنِبْ أشياعَـه ... إنّ من آخَى لئيما وضَعَـهْ

معنى قياس المرء بقرينه

أما قوله « إنّ من آخى لئيما وضعه » مثل قول الأنصارىّ :

سَلِى عن جليسى فى النَدِىّ ومألَفِى ... ومن هُوَ لى عند الأمور ظَهِيرُ

وقريب منه قول علىّ بن الجهم :

نبيلُ الصديق وللعـدوّ وإنّما ... يعادى الفتى أكفاءه ويُصالِحُ

إلّا أنّ بيت علىّ بن الجهم أشد استيفاء المعنى وأحسن فى اللفظ ممّن تقدمه ، وما يعرف فى هذا المعنى مثل بيت علىّ هذا جودةً وفصاحة وحسنا .

(١) الشكة : السلاح ؛ والبدن : الدرع .

(٢) ب « سلم بن رشيك » والرشك اسم جن اشتهر بالحساب وهو يزيد بن أبى يزيد سلمة الضبعى كذا فى التاج .

(٣) م « ودعه » .

ومثله[1] :

يُقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه

والأصل فى هذا قول عدىّ بن زيد[2] :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فإنّ القرين بالمقارِنِ مقتـــدى[3]

أعرابى من كندة :

١ إن تَهجُ كِندةَ ظالمًا لم تَنجُ من أظفــارها

٢ وهُم إذا ما الحربُ شُبَّـــتْ يَصطلون[4] بنـارِها

٣ واعْـــلَمْ بأنّك والمليـــكَ لشارِبٌ بعُقــارها

٤ إنْ لم تُصِبْك بنـــارها يتلِفْك حـــرُّ شرارها

الأخطل[5] :

١ لعمرى لئن أبصرتُ قصدى لربّما دعانى إلى البِيض الحِسان دليلُها

٢ ووحشٍ أرانيـــه الصِّبا فاقتَنصتُه وكأسِ سُلافٍ باكرتْنى شَمولُها

٣ فما لبّثَتْـــنِى أنْ حنَتْنى كما ترَى قصيرةُ أيام الفتى[6] وطويلُها

٤ وما بَزدهِينى فى الأمـــور أخفُّها ولا أضلعَتْنى حين ناب[7] ثقيلُها

---

(١) من عدة أبيات لأبى العتاهية فى العيون ٨/٤ ومن غير عزو فى المصدر نفسه ٧٩/٣ والراغب ٣/٢ والبتى ٨٩ وفيه ١٠٢ أن على بن أبى طالب تمثل بالشعر الذى منه هذا البيت .

(٢) من مجمهرته - الجمهرة ١٠٣ وهو له فى العيون ٧٩/٣ وحم البحترى ٣٠٧ ومجموعة المعانى ١٤ والنويرى ٦٢/٣ وشذ ورود البيت ضمن كلمة لطرفة ، د ١٥٣ .

(٣) ب « يقتدى » .

(٤) م « مصطلون » .

(٥) د ٤٠ - ٢٢٩ .

(٦) د « قصيرات أيام الصبى » .

(٧) ا و م « بات » .

معنى قتال الأقارب بكره القلوب

آخر[1] :

١ قومي هم قتلوا أميم أخي   فإذا رميتُ يُصيبُني سهمي

٢ فلئن عفوتُ لأعفُونْ جَلَلاً   ولئن قتلتُ لأوهِنَنْ عَظمي

قد تقدّم لهذا المعنى فيما كتبناه نظائر كثيرة ، ومما لم نكتب منها

[معنى النظائر ص ٤]

قولُ العبديّ :

١ نُطاعِنُ قومَنا بمثقّفاتٍ   تردّ القِرنَ منجدلاً نزيفا

٢ ولم أرَ مثلَنا يومَ التقينا   تَفُلّ سيوفُنا منّا سيُوفا

وهذان البيتان من أحسن ما قيل في هذا المعنى وصفاً ولفظاً ، ولقد جوّد

أبان العنبريّ أيضاً في قوله وذكر هذا المعنى :

١ نُنادي آل مُرّة كل يومٍ   لا بأسيافٍ وأرماحٍ لِدانِ

[أنظر أيضاً ص ٦٨]

٢ ونَعلَمُ مثلَ علمِهمُ بأنّا   نُقطّعُ بالبنان قوى البنانِ[2]

أعرابيّ من بني الحارث بن كعب[3] :

١ بني عمّنا لا تنطقوا الشعرَ بعدما   دفنتم بصحراء الغَميم[4] القوافِيا

٢ فلسنا كمن كنتم تُصيبُونَ مرّةً   فنقبل ضيماً أو نُحكّمُ قاضِيا

---

(١) معنى البيتان ص ٤ .

(٢) مثله قول قيس بن زهير : —

فإن أك قد بردت بهم غليلي   فلم أقطع بهم إلا بناني

الحماسة ٩٦ واللآلئ ٥٨٣ .

(٣) الأبيات بزيادة خامس لشميذر الحارثي في الحماسة ٥٤ — ٥٥ والآمدي ١٤٠ ونسبت إلى « سويد المراثد الحارثي أو غيره » في البيان ٢/١٨٦ [« سويد بن صبيح المرثدي من بني الحارث » عند التبريزي] وهي من غير عزو في العقد ٣/٣٩٦ والعيون ١/٧٧

(٤) الآمدي « النمير أيضا » كما في الحماسة وفي العقد « العذيب » .

٣ ولكنَّ حكمَ السَّيفِ فينا مُحكَّمٌ[1] فنرضَى إذا ما أصبحَ السيفُ راضيَا

٤ فإنْ تُنكِرُوا أنَّا ظَلَمنَا فلم تَكُنْ ظَلَمنَا ولكنَّا أسأنا التَّقاضِيَا

آخر[2] :

١ إذا ما أرادَ اللهُ ذُلَّ عشيرةٍ رماها بتشتيتِ[3] الهوى والتخاذلِ[4]

٢ وأولُ عجزِ القومِ عمّا ينوبُهم تدافُعُهم عنه وطولُ التواكُلِ

الأحيمر السعدي وطرده قومه لكثرة جناياته[5] :

١ وإنّى لأستحيِي من اللهِ أنْ أُرَى أُجرِّرُ حَبْلاً ليس فيه بَعيرُ

٢ وأنْ أسألَ الوغْدَ البخيلَ بعيرَه وبُعرانُ ربِّى فى البلادِ كثيرُ

٣ عوَى الذئبُ فاستأنستُ للذئبِ إذ عوى وصوَّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

بعض الأعراب :

١ رُجُحٌ فأَسَنّ من الرّواقى بالضحى لذيولهنّ على الطريق غُبارُ[6]

---

(١) م « مسلط » وقد ثبتت هذه الرواية المشهورة بهامش ا . وفى جميع المصادر « فيكم » بدل « فينا » إلا فى رواية أبى الندى « فينا مسمط » .

(٢) هو عبيد بن أيوب بن ضرار العنبرى ، انظر مجموعة المعانى ٢٦ ونهج البلاغة ٤/٤٤٦ والبصرية ٤٧ والراغب ١/١٧٣ (« عبد العنبرى ») .

(٣) ا « بتشبيب » مجموعة المعانى « بتشييب » .

(٤) الرواية المشهورة « والتخاذل » ب « التخاذل » .

(٥) راجع الأبيات وتخريجها فى اللآلى ١٩٦ وانظر أيضا الآمدى ٣٦ والوحشيات ٢٥ وجاء فى البصرية ٢٤٦ : الأحيمر السعدى، وتروى للسهرى .

(٦) تأمل قول صاحب المثل السائر ٢٩٤ فى معرض الكلام عن عكس الظاهر (أى نفى الشىء بإثباته وهو من مستظرفات علم البيان) : — « ولقد مكثت زمانا أطوف على أقوال الشعراء قصداً لاظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد إلا بيتا لامرئ القيس ... ولى أنا فى هذا بيت من الشعر وهو :

أدنين جلباب الحياء فلن يرى لذيولهن على الطريق غبار —

٢ وإذا خرجن يعدنَ أهل مُصيبةٍ ... كان الخطا [إسراعُها][1] الأشبارُ
٣ يأنسن عند بعولهنّ إذا خلَوا ... وإذا هُم خرجوا فهنّ خِفارُ
٤ وكلامُهنّ كأنّما مرفوعُهُ ... بحديثهنّ إذا التقينَ سِرارُ

من ههنا أخذ أبو تمام قوله[2] :

فالمشيُ همس والنداء إشارة ... خوفَ انتقامِك والحديثُ سرارُ

جرير[3] :

١ طرقتْ نواحِلَ قد أضرّ بها السرى ... برحت[4] بأذرعها تناثفَ زُورا
٢ مثل المواجرُ لحمهنّ مع السُرى ... حتى ذهبنَ كلاكِلاً وصُدورا
٣ حور يربّبُها[5] النعيمُ وصادفتْ ... عَيشاً كحاشيةِ الفرند غريرا
٤ ما قاد من عرب إلىّ جوادهم ... إلّا تركتُ جوادهم محسورا[6]

= وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين دونا خيامهم فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلا أى إنهن مخبآت لا يخرجن من بيوتهن » وحسبنا أن نقول إن الخالديين لم يقرا ما يسمونه التوارد فى مثل هذه الأحوال ، انظر ص ١٢ وقد قال صاحب المثل السائر نفسه : « والذى عندى فى السرقات أنه متى أورد الآخر شيئا من ألفاظ الأول فى معنى من المعانى ولو لفظة واحدة فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته » – ص ٤٦٨ .

(١) بياض فى م وفى ا « لسراعها » .

(٢) د ١٣٠ والعسكرى ١/٢١ والرواية « فالقول همس » إلا فى المنتحل ٢٥٧ حيث « فالمشى » كما هنا . وقريب منه قول أعشى نهشل د ق ٢٧/١٧ : –

يتطنّ مخفرض الحديث تهامسا ... فبلغن ما حاولن غير تنادى

(٣) د ١/٣٤ – ١٣٣ فى هجو الأخطل .

(٤) د « نزحت » .

(٥) فى الأصول « يزينها » والتصحيح عن د حيث الرواية « يغض تربها » ومكان هذا البيت من القصيدة قبل البيتين السابقين وقبله

فى الغوانى قد رمين فؤاده ... حتى تركن بسمعه توقيرا

(٦) قبله :

وترى الفرزدق للأخيطل محلبا ... فتنازعا مرس القوى مشزورا

٥ وإذا هززتُ قطعتُ كلَّ ضريبة ومضيتُ لا طَبِعا ولا مبهورا

جميل[١] :

١ ألا يا خليل النفس هل أنت قائلٌ لبثنة سرًّا : هل إليكِ سبيلُ ؟

٢ فإن هى قالت : لا سبيلَ ، فقل لها : عناء على العذرىِّ[١] منكِ طويلُ

أعرابىّ[٢] :

١ وربّ مصاليط[٣] نشاط إلى الوغى سِراع إلى الدّاعى كرامِ المقادِمِ

٢ أخضتُهم بحر الحِمام وخُضتُه رجاء ثوابٍ لا رجاء المغانمِ

٣ فأُبنا وقد حزنا النهابَ ولم نُرِد سوى الموتِ غنما وابتناء المكارمِ

أعرابىّ يمدح ابنه[٤] :

١ تنجَّبْتُها[٥] للنسل وهى غريبة فجاءتْ به كالبَدْر خِرقًا مُعمَّما

٢ فلو شتم[٦] الفتيان فى الحىّ ظالما لما وجدوا غير التكذُّب مَشْتَمَا

المعمّ عندهم السّيد يلجأون إليه فى النوازل ، وكذلك المعصّب ، ومثله[٧] :

(١) البصرية ١٥٩ : عناء الفتى العذرى .

(٢) ستأتى لقطرى بن الفجاءة ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

(٣) كذا فى م و ب وفى ا « مساليط » وجاء فى المعاجم « مصاليت » .

(٤) البيتان من غير عزو فى ت القالى ١٢٥ واللآلى ٨٧٢ والعيون ٢/٦٧ ونسبا إلى « الكنانى » فى البيان ٣/٩٩ .

(٥) هذه هى الرواية المشهورة وفى ا « تجنبتها » وفى الراغب ١/١٥٩ « تخيرتها » وفى اللسان (ضرا) « تنجيتها » وفى البيان « تخيتها » .

(٦) الرواية المشهورة « شاتم » وفى م « شيتم » تصحيف « شاتم » ؟

(٧) هما مع ثالث فى الحماسة ١٣١ – ١٣٢ ونسبا لزيد بن كثوة العنبرى فى البيان ٣/١٠٥ والبيت الثانى فى المرتضى ٣/٣١ لبعض بنى العنبر ومن غير عزو فى الصناعتين ١٥٢ وانظر الفصل كله فى المصدر الأخير .

١ منعتْ من النَّهار أطهارَ أمّه ... وبعض الرِّجال المدَّعين غثاء(١)

٢ فجاءتْ به عبلَ الذِّراع كأنَّما ... عِمامتُه فوق الرِّجال لواء

معنى وصف السيد بالطول

« عمامته فوق الرجال لواء » معنى جيِّد ، وهم يصفون السيد بالطّول ، والأصل فى ذلك قول عنترة(٢) :

بطلٌ كأنَّ ثيابَه فى سرحةٍ ... يُحذَى نعالَ السِّبْتِ ليس بتوأمِ

أخذه أبو نواس فقال(٣) :

أشمُّ طوالُ(٤) الساعدَين كأنَّما ... يُناط نِجادا سيفِه بلواء

وردَّه فى موضع آخر فقال(٥) :

* غَمرَ الجاجمَ والرجالُ قيامُ *

وهذا كثير ونحن نأتى به فى موضعه .

أعرابى(٦) :

١ ألاَ قالت الخنساء يوم لقِيتُها ... كبِرتَ وما(٧) تجزع من الشيب مجزَعا

---

(١) فى الراغب ١/١٥٩ « جفاء » وفى البيان « زناء » بفتح الزاى القصير .

(٢) فى المرتضى ٣/٣٠ أن الأصل فى هذا المعنى قول عنترة (من معلقته) أو قول الأعشى :

إلى ماجد كهلال السما ... ء أزكى وفاء ومجدا وخيرا

طويل النجاد رفيع العما ... د يحمى المضاف ويغنى الفقيرا

(٣) د ٦٣ وابن أبى عون ٢٣١ والراغب ٢/١٢٩ .

(٤) ب « طويل » . (٥) د ٦٤ :

سبط البنان إذا احتبى بنجاده ... فرع الجماجم والسماط قيام

وفى الصناعتين ١٥١ « غمر الجماجم ... » وهو من باب الإفراط فى الصنعة عند ابن المعتز ، البديع ص ١١٧ .

(٦) الأبيات الأربعة فى البيان ٣/١٢٢ والعيون ١/٢٣٠ ومجموعة المعانى ١٢٤ والأول (باختلاف فى الرواية) والأخيران فى الحماسة ٨ – ١٥٧ وخ ١/٤٨٢ .

(٧) كذا فى الأصول والرواية « لم » .

٢ رأتْ ذا عَصًى يمشى عليها وشَيبةً تقنَّعَ منها رأسُه ما تقنَّعَا

٣ فقلتُ لها : لا تَهزئى[١] بى فقلَّما يسودُ الفتى حتى يَشيبَ ويصلَعَا

معنى فضل الشيب على الشبان فى الحرب

٤ وللقارحُ اليَعبُوبُ خَيرٌ عُلالةً من الجَذَعِ المُرخَى[٢] وأبعَدُ مَنزَعا

قوله « وللقارح اليعبوب ... » البيت معنى جيد ، يريد أنّ الكهول الذين لاقَوا الحروب دفعة بعد أخرى أصبَرُ عليها وأقدم فيها من الشباب ، مثلُه[٣] :

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ لم يَستطع صَولةَ البُزْلِ القَناعِيسِ[٤]

معنى جيد يريد أنّ الكهول الذين قد لاقَوا الحُروبَ دفعة بعد أخرى أصبَر عليها وأقدم فيها من الشباب الذين لم يتمهّروا فيها وهم أيضاً أشحّ على الحياة من الكهول ، والكهول أيضاً يعلمون ما فى الفِرارِ من العار والقالة[٥] القبيحة فهم يُقدِمون خشية ذلك . ومثل هذا المعنى قول الشاعر :

لعمرك للشبانُ أسرع غارةً وللشيبُ إن دارتْ رحى الحرب أصبرُ

يقول إنّ الشبان ، لما فيهم من الجهالة ، أسرعُ إلى الحرب ، والمشايخ أصبر فيها وأبعدُ من الفرار عنها ، وقال آخر :

١ يُرى الغِرُّ عن ورد الكريهة مُحجِمًا إذا الكهل فى ورد الكريهة أقدَما

٢ وما يستوى الاثنان : هذا مُوَقَّحٌ وهذا تراه فى الحروبِ مُحَرَّمَا[٦]

---

(١) ا « لا تهزأن » .

(٢) روى أيضا « المرخى » بكسر الخاء وفتحها وفى البيان « المجرى » .

(٣) لجرير قاله فى عدى بن الرقاع العاملى : انظر د ١/١٤٩ و ١٥١ و غ ٥/٣٥١ و ٩/٣٠٨ .

(٤) القناعيس : الجمال الضخم .

(٥) ب « القالة » ا « العادة » .

(٦) الموقح من ارجاف الموقع وهو الذى أصابته البلايا فصار مجربا ، والمحرم : الصعب الذى لم يرض ، وفى ا « مجرما » وهو تصحيف .

وقد أخذ البحترى هذا المعنى فأجاده وهذبه بطبعه فقال[١] :

يَهابُ النِّــلام الغِرُّ[١] حتى يَرُدَّه إلى الهَول[٢] من مكروهها الأشيبُ الكاهِلُ

ومثله قول جرير وجاء به مَثَلاً[٣] :

وابن اللَّبون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ لم يستطع صَولة البُزْل القناعِيسِ

وقال العنبرىّ ووصف حربا :

تهولُ الإفلَ إذا أُضرِمَتْ[٤] وليس تهولُ الفحولَ القُرومَا

ولهذا المعنى نظائرُ تأتى فى مواضعها . [سيأتى المعنى ص ٢٠٣]

أعرابىّ يمدح بعض الخلفاء :

١ على خَشَبات الملك منه مَهابَةٌ وفى الروع عبل الساعدين فروعُ

٢ يشق الوغى عن وجهه صدق نجدة وأبيضُ من ماء الحديد صنيعُ

السموأل بن عاديا[٥] :

١ إنى إذا ما الأمرُ بُيِّنَ شكُّه وبدتْ عواقبُه لمن يتأمّلُ

٢ و[تَبَرَّأ][٦] الضُّعفاء من إخوانهم وألَحَّ من حَرِّ الصميم الكلْكلُ

٣ أدَعُ الّتى هى أرفَقُ الحالاتِ بى عند الحفيظة لّلتى هى أجْمَلُ

---

(١) د ٢/١٦٤ ، « النمر » .

(٢) ب و م « إلى القول » د « على الهول » .

(٣) انظر النويرى ٣/٧٦ . (٤) م « ضرمت » .

(٥) سيأتى الشعر منسوبا إلى سويد بن كعب ص ٢٩٠ - ٢٩١ وهو فى البيان ٣/٢٤١ و ٣٣٦ لسويد المراثد من بنى الحارث بن كعب [قد أورد التبريزى « سويد بن صميع المرثدى من بنى الحارث » انظر الحماسة ٥٤] ونسب الأول والثالث فى العيون ١/٢٨٩ إلى سويد ابن الصامت الأنصارى وفى اللباب ٣٥٦ إلى سويد بن أبى كاهل .

(٦) بياض فى م .

لبعض الخوارج يقول لامرأته وكانت ترى رأيه وأراد الخروج فقالت: أخرجني معك، فقال[1]:

١ إنّ الحروريّةَ الحرّى إذا ركِبُوا ... لا تستطيع لهم آمالُك[2] الطّابَا

٢ إنْ يركبوا فرسًا لا تركبي فرسًا ... ولا تُطيقي مع الرجّالة الخَبَبَا

أعرابي[3]:

١ أراني في بني حَكَمٍ قَصِيًّا ... غريبًا لا أزورُ ولا أُزارُ

٢ أُناس يأكلون اللّحمَ دوني ... وتأتيني المعاذِرُ والقُتَارُ

ومثله قول الآخر[4]:

١ إذا مَدَّ أربابُ البيوت بيوتَهم ... على رُجُحٍ الا كمال ألوانُها زُهْرُ

٢ فإن لنا منها خباءً نحُثُّه، ... إذا نحن أمْسَينا، الجماعة والفقرُ

أعرابي[5]:

(١) البيان ٣/٣١٦. (٢) البيان « أمثالك ».

(٣) جاء في البيان ٣ / ٣٢٠ ضاف أبو شليل العنزى بنى حكم – فخذا من عنزة – فقال البيتين وهما في الحماسة ٦٧٧ ص ٢٩٠.

(٤) البيان ٣ / ٣٢١، وقد أوردهما الخالديان فيما بعد ص ٢٩٠ لـ « عمار بن منجور القيني ».

(٥) جاء في مجالس ثعلب ٨ – ٩ حيث الأبيات الثلاثة الأول مع آخر: مر قوم من بني سليم برجل من مزينة يقال له « نضلة » في إبل له، فاستسقوه لبناً فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيره ازدروه، فأرادوا أن يستاقوها فجلدهم حتى قتل منهم رجلا وأجلى الباقين عن الإبل، فقال في ذلك رجل من بني سليم الأبيات، وفي العقد ٣ / ٣٦٣ حيث الأبيات الأربعة بزيادة خامس: قال نضلة السلمي في يوم عزل وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة: ألم تسأل فوارس يوم عزل ... الخ أنظر نفس الرواية في الميداني ١/٨٦ والبصرية ٣١، كذلك نسب البيتان الثاني والثالث إلى نضلة السلمي في اللسان (نصح) وإلى « نضلة السهمي » في مجموعة المعاني ١٥٥ حيث يوجد الأول أيضا وروايته هناك توافق ما عندنا في الأصل، والبيت الثاني في نقد الشعر ٧٣ « لبعضهم في ابن له ازدراه رجال فنهم من نعمه فأغاروا عليها » وقد شذ الجاحظ إذ نسب الشعر إلى أبي محجن الثقفي في البيان ٣/٣٣٨

١ ألم تسألْ فوارسَ من سُلَيم   بنَضْلَةَ وهو موتورٌ مُشِيحُ
٢ رأوهُ فازدرَوه وهو خِرقٌ   وينفعُ أهلَه الرجلُ القبيحُ
٣ ألم يخشَوا مَصَابَتَه عليهم   وتحت الرُّغوةِ اللبنُ الصَّريحُ
٤ فأطلقَ غُلَّ صاحبِه وأردَى   جريحاً[1] منهم ونجَى جريحُ

فأما قوله « رأوه فازدرَوه » البيت مأخوذ ، من قول الأول[2] :

ترى الرجل النحيفَ فتزدريه   وفي أثوابه أسَدٌ يَزِيرُ[3]

ونظر أبو تمام[4] إلى قوله « وتحت الرغوة اللبن الصَّريح » :

وليستْ رَغوتي من تحت[5] مَذْقٍ   ولا جَمرى كَمِينٌ في الرمادِ

ليلى ابنة[6] النضر بن الحارث بن كَلَدَةَ تخاطبُ النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل أباها النضر بن الحارث [صبراً][7] عند منصرفه عن غزوة بدر :

١ أبلغ بها ميتا فإنّ قصيدة   ما إنْ تزال بها الركائبُ تخفِقُ
٢ وَلْيَسْمَعَنِّي[8] النضرُ إن ناديتُه   إن كان يسمَعُ ميّتٌ أو ينطِقُ
٣ ظلّتْ سيوف بني أبيه تنوشُه   لله أرحامٌ هناك تُشَقَّقُ

---

(١) الرواية « قتيلا منهم » .
(٢) هو العباس بن مرداس انظر الحماسة ٥١٣ ومجالس ثعلب ١٦٢ والبصرية ١١٦ .
(٣) في ا « هصور » بدل « يزير » والرواية المشهورة « مزير » أحسن ، كذا في شرح الحماسة .
(٤) د ٧٤ (ط عزام ١/٣٨٠) ومجموعة المعاني ١٤٩ .
(٥) كذا في الأصول . وإنما الرواية « من فوق مذق » وهي تناسب المعنى (المذق : اللبن الممزوج بالماء) ، لعل التحريف نشأ من ورود كلمة « تحت » في القول السابق .
(٦) الأبيات الستة بزيادة بيتين لليلى في البيان ٤/٤٤ والمعروف أن الشعر لقتيلة بنت النضر وقيل لأخته قتيلة بنت الحارث ، انظر الحماسة ٤٣٦ وحم البحتري (قيله ؟) ٩٨ – ٢٩٧ وابن هشام ٥٣٩ والعقد ٣/٢٨٥ والعمدة ١/٣٠ وغ ١/١٩ والبلدان (الأثيل) والبصرية ٨٨ وقد أورد الخالديان الشعر لقتيلة بنت النضر فيما بعد ص ٣٧٥ .
(٧) زيادة في ا . (٨) ب « هل يسمعن » .

٤ قَسْرا يُقادُ إلى المنيَّة مُتعَبا   رسفَ المقيَّد وهو عانٍ مُوثَقُ
٥ أمحمدٌ ها أنتَ(١) صِنوُ(٢) نجيبة   من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
٦ ما كانَ ضرَّك لومَنَنْتَ وربَّما   منَّ الفتى وهْوَ المَغِيظُ المُحنَقُ

فيقال إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو سمعتُ شِعرها قبلَ إن أقتُلَه ما قتَلتُه . أما قولها « ظلّت سيوف بنى أبيه تنوشه » البيت ، فمن قول الآخر :

ألم ترنا ، والله يصلح بيننَا ،   نُقطِّع من أرحامنا ما توصَّلا

ومنه أخذ الآخر قوله :

١ إذا وصَلَ الناسُ أرحامَهم   فإنّا نُقطِّعُها ظالمينا
٢ ولولا اتِّقاء كلام العداةِ   لـكُنَّا لأرحامنا واصِلينا

هذا ذكر أنّ قطيعة أرحام أقربائه فى الحرب خوفا من المعاير التى تلحق الناسَ عند تخاذلهم عن طلب ثأرهم . وإلى مثل هذه المعانى نظر البحترى وغيره ممّنْ ذكرنا أقاويلهم فى مواضع من كتابنا .

[انظر معنى قتال الأقارب بكره القلوب ص ٤ و ٦٣]

أبو نزار العقيلى يقول لعقيل بن مرة الأشجعى :

١ يظنّ عقيلٌ أنّ من نال مجلسًا   وخلوةَ يوم منه نال غنى الدهرِ
٢ فقل لعقيل : ليس هذا كما ترى   نبيذك لم يُخلَق أمانا من الفقرِ

لبعض خوارج الأعراب وهو قطرىّ بن الفجاءة(٣) :

١ أقولُ لهـــا إذا جاشَتْ حَياءً   من الأبطالِ وَيحَكِ لَن(٤) تُراعِي

(١) ب « ولأنت »   (٢) ا « نجل » وروى « ضنء ».
(٣) الشعر فى الحماسة ٤٤ والمرتضى ٣/٨٩ بزيادة سابع واللباب ٢٢٤ والأولاد فى شعر البحترى ٢١ والعقد ١/٥٤ والعيون ١/١٢٦ واللآلئ ٥٧٥ وهما مع ٣ و ٥ فى النويرى ٣/٢٢٧   (٤) ب « لا تراعى » كما هى الرواية

٢ فإنكِ لو طلبتِ حياةَ يوم على الأجَلِ الذى لكِ لَن تُطاعِى
٣ فصبراً فى مجال الموتِ صبراً فما نَيْــلُ الخُلودِ بمُستَطاعِ
٤ وما ثوبُ الحياةِ بثوب عِزٍّ فيُطوى عن أخى الخَنَعِ اليَراعِ
٥ سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حىٍّ وداعِيه لأهل الأرض داعِى
٦ ومَن لا يُعتَبَطْ يَهرَمْ ويَسأمْ وتُفضِ به البقاءُ إلى انقِطاعِ

قوله « أقول لها » البيت ، شبيه بقول ابن الإطنابة[1] :

أقول لها إذا جشأتْ وجاشتْ مكانكِ تُحمَدى أو تستريحى

وقد ذكرنا ما فى هذا البيت من العيب فيما تقدم من هذا الكتاب[2] .

وأما قوله « فإنك لو سألت » البيت ، قد أخذه بعض العرب فقال :

فإنى لو طلبتُ حياةَ يوم على أجَلى لكانَ مدىً بعيدا

وقال الآخر :

فلا تكُ طامعًا فى عيشِ يوم إذا وافاك يومٌ لا يُرَدُّ

وهذا كثير جدًّا فى القديم والمحدث من أشعارهم .

وأما قوله « ومن لا يعتبط يهرم ويسأم » البيت ، فكما قال أمية بن أبى الصلت الثقفى[3] :

---

(١) بل منه أخذ قطرى قوله ، كذا فى اللآلى ٥٧٥ .

(٢) انظر ص ١١ .

(٣) د ص ٥٠ ونسبه الأصمعى إلى رجل من الخوارج ، انظر الموشح ٧٨ وهو من ثلاثة أبيات من غير عزو فى ذيل القالى ٣٦

من لم يمُتْ عَبطةً يمت هَرَما فالموتُ[1] كأسٌ والمرء ذائقُها

وهذا أيضاً كثير ولذلك أقصرنا عن الإسهاب فيه .

ولبعض الخوارج أيضاً[2] :

١ إلى كَمْ تُعادينى[3] السيوفُ ولا أرَى ... مُعاداتَها تُدنى إلىّ حِمامِيَا

٢ أقارعُ عن دار الخلود ولا أرى ... بقاء على حال لمـا لَيس باقِيَا

٣ ولو قرَّب الموتَ القِراعُ لقـد أنَى ... لموتِىَ أن يدنو بطـول قِراعِيَا

٤ أُغادِى جِلادَ العَالمين[4] كأنّنى ... عَلَى العَسَل الماذىّ أُصْبِحُ غادِيَا

٥ وأدعو الكُماةَ للنِّزال إذا الْتَقَى ... تحطِّمَ فيما بيننا من طِعانِيَا

٦ ولستُ أرى نفساً تموتُ وإن دنَتْ ... من الموتِ حتى يَبعثَ اللهُ داعِيَا

ولآخر منهم[5] :

١ لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحْجام ... يومَ الوغَى متخوِّفاً لحِمامِ

٢ فلقَد أرانى للرِّماح دريئةً ... من عن يمينى تارةً وأمامِى

٣ ثم انصرفتُ وقد أصَبْتُ ولم أصَبْ ... جَذَعَ البَصيرة قارحَ الأقدامِ

---

(١) ا « الموت » وروى « للموت » وجاء فى الأنيس والجليس ، المجلس الحادى والعشرون : قال أبو حاتم السجستانى ، لا يقال « للموت كأس » . (راجع الموشح ٧٨) قال القاضى وهذا خطأ منه قد يضاف الكأس إلى المنية وقد توصف المنية بأنها كأس كما توصف بأنها رحى ويضاف إليها الرحى فيقال المنية رحى دائرة على الخلق والمنية على الناس رحى دائرة والموت كأس مرة وللموت كأس كريهة ... » .

(٢) فى المرتضى ٣/٩٠ عن ابن دريد أن هذا الشعر أيضا لقطرى ، وهو بزيادة بيتين فى اللباب ه — ٢٢٤ . (٣) فى المرتضى « تنازينى » ولعلها « تناديني » .

(٤) كذا والرواية « المعلمين » .

(٤) زاد بهامش ا «هو قطرى بن الفجاءة المازنى» والشعر له فى الحماسة ٦٠ — ٦١ بزيادة بيت قبل الثالث والحصرى ٤/١٦٣ والبيت الثانى هو الشاهد ٨٢٩ فى خ ٤/٢٥٩ وراجع أيضا الكلام على البيتين الأخيرين فى القالى ٢/١٩٠ واللآلى ٨٠٦ .

قيس بن عاصم المنقري[(١)] :

١ إنّي امرؤ لا يطّبي حَسَبي دَنَسٌ[(٢)] يُكدِّره ولا أَفْنُ
٢ من مِنقَرٍ في بَيتِ مكرُمةٍ والغُصْنُ يَنبُتُ حوله الغُصْنُ
٣ حُلَماءُ[(٣)] حين يقول قائلُهم بِيضُ الوجوه مصاقعٌ لُسْنُ
٤ لا يفطَنون لعَيب جارِهم وهمُ لحفظ جِواره فُطُنُ

وله أيضا[(٤)] :

١ إنْ يسمعوا ريبةً[(٥)] طاروا بها فَرَحًا عنّي وما سمِعوا[(٦)] من صالحٍ دفَنوا
٢ صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكرتُ به وما ذُكرتُ به من سَيِّئٍ أَذِنوا

وقال بعض لصوص العرب[(٧)] :

١ وطال احتضاني السيفَ حتى كأنّما يلاط بكشحي جفنُه وحمائلُهْ
٢ أخو فلواتٍ صاحَبَ الجِنَّ وانتأى عن الإنسِ حتى قد تقضَّت وسائلُهْ

---

(١) ذكر في العسكري ١/١٣٥ : جيء قيس بابن له قتيلا وابن أخ له كتيفا وقيل له : هذا قتل ابنك ، فلم يقطع حديثه . فلما فرغ من حديثه قال لبعض بنيه : أطلق ابن عمك وادفن أخاك . ثم قال الأبيات ، كذلك أيضا في العيون ١/٧ - ٢٨٦ والعقد ١/٢٨٧ والشعر له في الحماسة ٦٩٥ والقالي ١/٢٣٩ والمرزباني ٣٢٤ والبيان ١/٢١٩ والحصري ٤/١٠٤ .

(٢) ا « سفه » . (٣) الرواية « خطباء » .

(٤) قائل البيتين هو قعنب بن ضمرة ابن أم صاحب وهما مع ثالث في الحماسة ٦٣٦ واللآلئ ٣٦٢ والعيون ٣/٨٤ من كلمة في مختارات ابن الشجري ٦ - ٩ وبعضها في اللباب ٤٠٣ . (٥) ب « سبة » .

(٦) ب « يسمعوا » .

(٧) من خمسة أبيات في مجموعة المعاني ٣٧ « لبعض لصوص بني سعد » ويروى لعبيد ابن أيوب العنبري « وسبعة له في الوحشيات ١٩ - ٢٠ والقصيدة في ٣٢ بيتا في منتهى الطلب ١/٢٥١ لكن لا يوجد فيها غير الأول ، وانظر الأخيرين في العسكري ١/١١٣ والثلاثة في البصرية ١٥ .

معنى طول احتضان الرمح

٣ له نسب الإنسيِّ يُعرف نَجْرُه ولِلجنِّ منه شكلُه وشمائلُه

أما قوله : « وطال احتضانى . » البيت ، مثل قول الآخر[1] :

وطال احتضانى الرمح حتى كأنما عَلَى منكبي غصنٌ من الأثل نابتُ

أعرابىّ قطعت يدُه ورجلُه[2] :

١ اللهُ يعلَمُ أنى من رجالهم وإن تقطّع عن مَثْنَىَّ[3] أطمارى

٢ وإن رُزِئتُ يدًا كانت تجمّلنى وإن مَشَيتُ عَلَى زُجٍّ ومسمارِ

أعرابى[4] :

لا تحقِرَنَّ سُبَيْبًا كم قاد خيرا سُبَابُ

وقد بقى لهذا المعنى نظائر تأتى فى مواضعها إن شاء الله .

معنى وصل السيوف بالخطى

وقال وذاك بن ثُمَيل المازنى[5] :

١ مقاديمُ وَصّالون فى الرّوع خطوَهم بكل رقيق الشفرتين يمانِ

٢ إذا استُنجِدوا[6] لم يسألوا من دعاهم إلى أىّ حىٍّ أم بأىّ مكانِ

أما قوله : « مقاديم ... » البيت ، فالأصل فيه قول قيس بن الخطيم :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنُضارِبُ

---

(١) فى مجموعة المعانى ٣٧ والعسكرى ٢/٥٩ بيت يشبهه :

وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسى غصن من البان نابت

وهو لعلى بن يحيى الأرمنى فى حم ابن الشجرى ٢٣ .

(٢) البيان ٣/٦٧ . (٣) ا « حتى ثنى » .

(٤) الأنيس والجليس ، المجلس الرابع ، لقائل من المحدثين ، والشطر الثانى هناك « كم جر أمرا سبيب » .

(٥) هما فى اللآلى ٤٢١ ومجموعة المعانى ٣٦ والنويرى ٣/٢٢٩ من كلمة فى الحماسة ٥٦ — ٥٧ ونسب البيت الثانى إلى أبى تمام فى العسكرى ١/٣٣

(٦) م « استخدموا » .

[مضت النظائر ص ٢٥]

وقد ذكرنا هذا وشيئاً من نظائره فيما تقدّم ، وبقيت أشياء لم نذكرها هناك ، منها قوله[1] :

إذا الكُماةُ تنحَّوا أن ينالَهمُ   حدّ الظباة وصلناها بأيدينا

وأخذه آخر فقال[2] :

وصلْنا الرِقاقَ المرهفاتِ بخَطْونا   على الهول حتى أمكنَتْنا[3] المضاربُ

وقال بعض الرجّاز فى مثل هذا[4] :

الطاعنون فى النُحور والكُلى   والواصلون للسيوف بالخُطى

وقال آخر[5] :

* سَلَّ السيوف وخُطًى تزدادُها *

وقال معن بن أوس المزنى[6] :

١ فلا وأبى ، حَبيبٌ ما نفاهُ   هوازنُ من بلاد بنى عمانِ[7]

---

(١) البيت لأبى مخزوم بشامة بن حزن النهشلى من كلمة فى الحماسة ٤٨ والكامل ٦٥ وعنهما فى خ ٣/٥١٠ [راجع أيضا المصدر نفسه ٣/٢٤ و ١٦٧] وهكذا نسب البيت فى اللسان (ظبا) ، ونسب أيضا إلى بعض بنى قيس بن ثعلبة كذا فى الحماسة والتوزى ٣/٢٢٩ .

(٢) لرجل من بنى نمير كذا فى البيان ٣/٢٦ و خ ٣/٢٤ .

(٣) ب و م « انكبتنا » .   (٤) خ ٣/٢٤ .

(٥) الشطر الأول « إن لقيس عادة تعتادها » البيان ٣/٢٧ و خ ٣/٣٤ .

(٦) د ٢٤ : قال أبو عمرو وكان معن بن أوس رجلا كثير الإبل وكان له ابن [يعارض هذا ما جاء فى غ ساسى ١٠/١٥٦ و خ ٣/٢٥٨ عن العتبى إن معن بن أوس كان مئناثا] يقال له حبيب فأتاه ابن عم له يقال له ابن عبد الله فقال له ياحبيب هل لك أن تخرج بنا إلى الشام وتأخذ إبلا من إبل أبيك ؟ فقال نعم . فخرجا إلى الشام فطعن حبيب فمات ورجع ابن عمه فضالة فقال معن فى ذلك الأبيات بزيادة بيت بعد الرابع كما فى البيان ٣/٢٢١ والأبيات ٣ - ٦ فى البصرية ١٥ - ١٦ .

(٧) م « خبيب » بالخاء بدل الحاء ورواية البيت فى د هكذا :

لعمر أبى ربيعة ما نفاه   من أرض بنى ربيعة من هوان

ولا يبعد أن يكون « هوازن » مجرد تصحيف لكلمة « هوان »

٢ وكان هَوَى الفتى(١) إلى غِناه وكان من العشـيرة فى مكانِ
٣ تكنَّفَهُ الوشـاةُ فأزعجوهُ ودسُّوا من قضاعة(٢) غيرَوانِ
٤ ولولا أنَّ أمَّ أبيـه أمِّى وأنِّى مَن هجـاهُ فقد هجانِى
٥ إذًا لأصابه منِّى هجـاء تنـاقَلَه الرواة عَلَى لِسَانِى
٦ (٣) أعلِّمـه الرماية كل يوم فلمَّا اشـتَدَّ ساعدُهُ رمانِى(٤)

يُروى بالسين غير معجمة من السداد فى الرمى(٥) وبالشين معجمة أكثرُ ،
أخَذَ دِعبل هذا المعنى فقال(٦) :

١ إنْ عابنى لم يعِبْ إلّا مؤدِّبَه ونفسَه عاب لمّا عاب أدّابَهْ
٢ وكان كالكلب ضرَّاهُ مكلِّبُهُ لصيده فعدا فاصْطادَ كلّابَهْ

---

(١) فى الأصول « هو الفتى » كذا فى البيان والتصحيح من د .
(٢) كذا فى أصولنا وفى أصل البيان أيضا . ولعل الصواب ما جاء فى د « فضالة » .
(٣) زاد قبل البيت بهامش ا :

« وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى »

ولعل هذا البيت ليس من قول معن مع أنه ذكر مع البيت الأخير فى خاص الخاص ١٨ وفى رسالة عبد الواسع ١٧٣ بيت ثالث مثله :

أعلمه المروءة كل يوم فلما طر شاربه جفانى

(٤) ذكر فى اللسان (سدد) عن هذا البيت « قال ابن برى : ينسب إلى معن بن أوس قاله فى ابن أخت له ، وقال ابن دريد (الاشتقاق ٢٩٢) : هو لمالك بن فهم الأزدى وكان اسم ابنه سليمة رماه بسهم فقتله فقال البيت ، قال ابن برى : ورأيته فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشلت منك حاملة البنـان

(٥) كذا فى غ ١٧٣/٥ وجاء فى اللسان (سدد) عن الأصمعى : اشتد يسن بشىء .
(٦) قالهما دعبل فى أبى تمام كذا فى الراغب ٢٠/١ وهما فى ابن أبى عون ٢٨٢ والبيت الثانى فى خاص الخاص ١٨ .

أعرابى :

١ وإنّى لأطوى البطن من دون ملئه لمتنبح فى آخر الليل صائح
٢ وإنّ امتلاء البطن فى حسب الفتى [قليل الغناء][(١)] وخوف الجسم صالح

من جيد ما قيل فى هذا المعنى ونادره قول الشاعر[(٢)] :

أقسّم جسمى[(٣)] فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء باردُ

وقد ذكرنا هذا وشيئاً من نظائره فى أوّل الكتاب[(٤)] .

أعرابىّ يلقّب بالمُفَرّق[(٥)] :

١ ونُبِّئتُ أخوالى أرادوا عمومتى بشنعاء فيها ثادل الشرّ[(٦)] منقما
٢ سأركبها فيكم وأدعى[(٧)] مفرّقاً فإن شئتمُ من بعدُ كنتُ مُجمِّعا

بهذا البيت سمّىَ مُفرِّقاً .

أعرابىّ[(٨)] :

١ سَقَى الرَّبابَ مُجَلجِلُ الـ أكنافِ لمّاحٌ بروقُهْ

---

(١) سقط من ا .

(٢) هو عروة بن الورد انظر د ١٤١ والحماسة ٧٢٣ والعيون ٣/٢٦٤ وابن أبى عون ٤٠٩ ومجموعة المعانى ٣٢ واللآلى ٨٦ . (٣) يعنى قوت جسمى .

(٤) بل سيأتى البيت ضمن أربعة لعروة فيما بعد ص ٢٧٥ .

(٥) من أربعة أبيات اقيس بن رفاعة فى الوحشيات ٤٩ وهما له فى المرزبانى ٣٢٢ أيضا ونسبا فى الحيوان ٣/٤٦٩ إلى رجل من جرم .

(٦) فى المراجع « ثامل السم » . (٧) ا « أدعوا » مصحفا .

(٨) الأبيات الأربعة الأول من جملة ٧ أبيات لعبيد بن الأبرص فى د ق ٦ والقالى ١/١٧٨ ومجموعة المعانى ١٨٥ – ١٨٦ وهى ٧ أبيات له فى منتهى الطلب ١/١٣٦ أيضا إلا أن هناك بيتا آخر بدل الرابع هنا .

٢ جَونٌ تَكَفْكَفُهُ الصَّبَا وَهْنًا وَتَمْرِيهِ خَرِيقُهْ
٣ حتى إذا ما ذرعُـــهُ بالماء ضاق فما يُطيقُهْ
٤ حلَّتْ عزاليَهُ الجنو بُ فثجَّ واهيةً خروقُهْ
٥ ألبا شُرَيحٍ هل ترى أرقًا يؤرِّقني بُرُوقُهْ
٦ أعلَى ذُؤابة حضرمو ت فبطن واديها طريقُهْ
٧ صابتْ عليه هواطلٌ حتى يُغَرْغِرَها عميقُهْ
٨ ولقـــد غدوتُ مُناهِبًا بأقبَّ لم توسَم فليقُهْ
٩ نهدِ التَّليلِ مُشايعٍ كالجذع شذَّبَهُ سحوقُهْ
١٠ طاوي الأياطل سابحٍ كالذئب طال به خفوقُهْ(١)

أعرابي(٢) :

١ فإنْ يمنعوا منّا السلاحَ فعندنا سلاحٌ لنا لا تُشترَى بالدّراهمِ
٢ جنادِلُ أملاءُ الأكفِّ كأنّها رُؤوسُ رجالٍ حُلِّقت بالمواسمِ

رُوِي(٣) أنّ غلاما من الأعراب أراد أن يمضي مع قوم من بني عمّه إلى حرب كانت لهم ، فقال لهم : تجنَّبوا النبل فإنّها رسل المنيَّة ، واحْذَروا الرماح

(٩) م « حفوقه » .

(١) البيتان من غير عزو في البيان ٣/١٥ وابن أبي عون ٤٠٨ وهما من خمسة أبيات مضى بيتان آخران منها ص ٥١ وانظر تخريجها هناك .

(٢) جاء في الديون ١/١٣١ : بلغ أبا الأغرّ [التميمي] أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فبعث ابنه الأغر وقال : يا بني ... إياك والسيف فإنه ظل الموت واتق الرمح فإنه رشاء المنية ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها ، قال : فبماذا أقاتل ؟ قال : بما قال الشــاعر : جلاميد يملأن الأكف الخ هكذا في العقد ١/٩١ والعسكري ٢/٥٤ وانظر أيضا النويري ٦/٢٠١ والراغب ٢/٧١

فإنّها أرشية الموت ، وتوقّوا السيوف فإنّها لا سوء بعدها[1] ، قالوا : فبم نقاتل ؟ فقال : بقول الشاعر : جنادل أملاء الأكف كأنّها رؤوس رجال حلقت بالمواسم .

أعرابيّ :

١ نظرت إلى نار لعصماء أوقدت وفي القوم عنها والمطيّ صدودُ
٢ أكاتم أصحابي هواها وإنّني لما بين أيدي المصطلين وقودُ

حبس بعض الولاة أعرابيا وقيّده بقيدين فقال :

١ حبوني بخلخالين ليسا بفضّة ولا ذهب ، عارٌ عليّ يسيرُ
٢ وقد وعدوني ثالثا من قيودهم وإنّي بقيد رابعٍ لظهيرُ

وقال جعفر بن عُلبة الحارثي :

١ وقد قلت يوما للفريقين عرّجا عليّ وشدّا لي على جملي رحلي
٢ ولا تعجلاني ، بارك الله فيكما ، فقد كنت وقّافا على ذي هوى مثلي

أعرابي :

١ فأبلغ عامراً عنّي رسولاً وهل تجد النصيح بكلّ وادِ
٢ تعلّمْ أنّ أكثر من تراهم ، وإنْ ضحكوا إليك ، من الأعادي

وقال عمار بن ثقيف الهلالي[2] :

١ يا ربّ قائلة يوما لجارتها : هل أنتِ مخبرتي ما شأنُ عمّارِ ؟
٢ قالتْ أرى رجلا بادٍ أشاجعُه كأنّه ناقهٌ[3] أو نضو أسفار
٣ إمّا تريني لجسمي غير محتشِدٍ فإنّي حشدٌ للضيف والجار

(١) م « لا سوى بعدها » كذا في ا مع الشك .
(٢) الأبيات لعمار بن جابر الهلالي في البصرية ١٤١ . (٣) ا و ب « ناقة » .

٤ وما على الحرّ أن تعرى أشاجعه ... أو يلبس الخلَق المرقوعَ ، من عارِ

هذا البيت مثل قول الآخر[1] :

قد يدرك الشرفَ الفتى ورداؤه ... خلَق وجيبُ قميصه مرقوعُ

وهذا البيت أجود لفظا وإغراقا فى المعنى.

أعرابى[2] :

معنى الحث على وصل الأحباب

١ أكرمْ أخاك الدهرَ ما كنتما معاً ... كفى بالمماتِ فرقة وتنائيَــــــا

٢ إذا جئتُ أرضا بعد طول اجتنابها ... تنكّرتُ أهلى والبــلاد كما هيا

أما البيت الأول فمثل قول العجّاج[3] :

واستعجلَ الدهر وفيه كافِ ... لفرقة الأحباب والألّافِ[4]

وأخذه آخر فقال :

فلا تسبق بهجرك ريبَ دهر ... فإنّ الدهر يفعل ما يُريد

وأخذه آخر فقال[5] :

كفى بمرور الدهر يا أمّ مالك ... وبالموتِ قطّاعا لـكلّ قرينِ

---

(١) من ثلاثة أبيات لابن هرمة فى الشعراء ٤٧٤ وهو له فى العقد ٤/٢٣١ وانظر اللسان (قنا) والراغب ٢/١٥٧ .

(٢) البيتان مع ثالث لإياس بن القايف فى مجموعة المعانى ١٣٠ والبصرية ١٢٦ والبيت الأول من غير عزو فى ح ٣/٥٠٦ والراغب ٢/٢٢٠ .

(٣) قاله لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته ، انظر المرتضى ١/٨٢ و د ص ٣٩ .

(٤) الرواية « يخترم الإلف عن الألّاف » .

(٥) فى غ ٩/١٦ غير منسوب :

كفى بشفاة القبر بعدا لهالك ... وبالموت قطاعا لحبل القرائن

وأخذه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فقال[١] :

رُويدكِ إنّ الدهر فيه كفاية لتفريقِ ذات البَين فانتظرى[٢] الدهْرا

وقوله « إذا زرتُ أرضا بعد طول اجتنابها » مثل قول زهير[٣] :

[أنظر أيضا ص ٢٧٤]

بَلِينا وما تَبْلَى النجومُ الطوالعُ وتبقى الجبالُ بعدَنا والمَصَانعُ[٤]

أعرابى ومدح قوما[٥] :

١ [وَ] عافوا حياض الماء[٦] فاختلَجتْهم حياضُ المنايا عن لئيم المشاربِ
٢ فماتوا ظماء خيفة العار وابتنَوا مكارمَ ناطوا عزّها بالكواكب
٣ شرَوا أنفسا كانوا قديما أضِنَّةً بهاطمعا فى باقيات العواقبِ
٤ فأضحَوا وهم سنُّوا الوفاء وأورثوا مواريثَ مجد ذكرُها غيرُ ذاهبِ

هذا مثل قول الآخر[٧] :

[فـ] إنّ الألَى بالطَّف من آل هاشم تآسَـــوا فسنُّوا للكرام التآسِيَا

أعرابى :

١ ألاَ طرقَت أسماء رَحْلى ودونها حِقافٌ[٨] ومنقاد من الرمل أعْنَقُ

(١) البيت له مع آخر فى المرتضى ١/٨٣ والحصرى ٢/٢٤٧ .
(٢) م « فانتظر » بصيغة المذكر كما فى الحصرى ..
(٣) كذا فى الأصول إلا أن فى ب شطب « زهير » ووضع فوقه « لبيد » والبيت ثابت فى د لبيد ص ٢١ .
(٤) مصانع الماء وهو بناء يبنى يكون فيه الماء ، ويقال : المصانع القصور ، كذا فى د .
(٥) البصرية ١٠٤ .
(٦) فى الأصول « الموت » (كذلك أيضا فى البصرية) وغيرت فى ب إلى « الذل » وغيرناها نحن إلى « الماء » بمناسبة ذكر الظما فى البيت التالى .
(٧) البيت لسليمان بن قتة فى غ ١٧/١٦٥
(٨) ب « حقاق » والحق : الأرض المستديرة أو المطمئنة .

٢ أمَتَّ بكالسَّيف الحلّى ونضوة لها مدمعٌ خِلوٌ[1] ولحْيٌ ممرَّقُ
٣ سرى ما سرى ثم استقلت رفقه وقد لاح تسرَّاحٌ من الصبح أبلقُ
٤ أقال لكَ الواشون باحَ ، وصدرُه على بعض أطراف الودائع مُغلَقَ[2]
٥ وما باح إلّا أنّ إنسانَ عينِه لذكراك من ماء الصبابة يَغرَقُ[3]

عليه متعلق فى قوله « على بعض أطراف الودائع مغلق » لأنّه ذكر بعضا ولم يذكر كلا ، فيجوز أن يكون أذاعَ من سرّها شيئاً وكتم شيئاً .

أعرابى يهجو أباه[4] :

١ إذا كانت الآباء مثل أب لنا فلا أبقتِ الدنيا على ظهرها أبا
٢ إذا شابَ رأس المرء أقصر وارعوى وإنّ أبانا حين شاب تشبّبا

أعرابى يهجو قوماً وهو زياد الأعجم[5] :

١ فَمَنْ أنتم إنّا نسينا من انتمُ وريحكُم من أىّ ريح الأعاصِرِ
٢ أأنتم أولَى جئتم مع البَقل والدَّبَى فطارَ وهذا شخصُكم غير طائرِ
٣ فلم تعرِفوا إلّا بمن كان قبلكم وما تُدرِكوا إلّا مدَقَّ الحوافِرِ

خبر قيس بن زهير العبسى

لما أسنّ قيس بن زهير العبسى وضجر من الحروب التى كانت بينه وبين بنى ذبيان وغيرهم من العرب ، أشار على قومه بالرجوع إلى قومهم ومصالحتهم ، فقالوا : سِرْ نَسِرْ معك ، فقال : لا والله لا اطلعتُ فى وجهى ذبيانيةٌ قتلتُ أباها أو أخاها أو زوجَها أو ولَدَها ؛ ولكن الحقوا بقومكم ودعونى . فلحقوا بقومهم

(١) فى الأصول « حلو » . (٢) ا و ب « تعلق » .
(٣) ب « يغرق » . (٤) البصرية ٢٠٩
(٥) الأبيات الثلاثة له فى الحماسة ٦٧٨ وستأتى ص ٢١٤ وهو راجع ص ١٤١-١٤٢ وقد ثبت الأولان فى دا لحطيئة فى ٨٦/٣و٦ مع أبيات اخر

وصالحوهم . وكان قيس بن زهير يدور فى الفيافى ويقتمّ العشب ولا يقرب حيًّا من أحياء العرب لأنّ العرب كانت تعظّم أمره وفتكه وتطيّرُ بالنظر إليه . فبينا هو فى ليلة قرّة فى بعض الفلوات إذ نظر إلى صائد قد أورى ناراً فقصده يستطعمه وكان قد مكث دهراً لم يطعَم غير العشب ، فلمّا همّ بذلك أنِفَ وقال . إنّ بطناً يحملنى على هذه الخطّة لبطن سوء ، والله لا أدخِله شيئاً[1] حتى أموت[2] ولم يطعم شيئاً حتى مات ، فقال فيه بعض قومه[3] :

١ إنّ قيساً كان ميتتُه[4] كرما والحىّ منطلق

٢ شام ناراً باللّوى اقتدحتْ وشجاع البطنِ يختفقْ[5]

٣ فى دريسٍ ليس يستره ربّ حُرٍّ ثوبه خَلِق

أعرابى يمدح رجلا :

١ فتى لا تراه الدهر إلّا مشمِّرا ليدرك مجداً أو ليرغم لوّما

٢ تقسّمت الأموالُ عن طيب ذكره وإن كان يبكيها إذا ما تبسّما

---

(١) م « دخله شىء » .

(٢) كتب الناظر فى ب بالهامش « ليت شعرى إذا كان لا يتقرب من الأحياء ولم يأت إلى الصائد فمن ذا الذى اخبر بمقاله » وعلق عليه آخر بقوله « أقول لعله سمعه هذا الصائد أو رآه واجتمع به من يوده » وقد وجدنا الرد على هذا السؤال فيما روى عن ابن دريد فى الكنايات للجرجانى ١١٥ من أن قيس بن زهير كان مصحوبا برجل من بنى أسد يقال له رافع بن المتصم .

(٣) الأبيات الثلاثة لبعض شعراء بنى عبس يذكر قيس بن زهير . كذا فى نهج البلاغة ٤٣٨/٤ ونسب البيتان الأول والثالث إلى الحطيئة (لم يذكر فى د) فى شعراء النصرانية ٩٢٠ حيث القصة السابقة أيضاً فى ألفاظ متقاربة وهى ضمن أبيات للحطيئة أيضاً فى الكنايات للجرجانى .

(٤) ب « منيته » . (٥) ا « يختنق » .

آخر[1] :

١ لعمرك ما أتلفتُ مالا كسبتُه إذا كنتُ معتاضاً بإتلافه نبلا[2]
٢ ولا قيل لي ، والحمد لله ، غادرٌ ولا استحسنتْ نفسي على صاحب بُخْلا
٣ ولا نزلَتْ بي للزمان ملمّـةٌ فأحذر منها ، حين تنزل بي ، ذلّا
٤ صبرت لريب الدهر يحدث دائبا فلما رأى صبرى لإحـداثه مَلّا

أعرابي[3] :

١ إذا متّ فابكيني بثنتين لا يُقل : كذبتِ ، وشرّ الباكيات كذوبها
٢ بعفّة نفس حين يُذكَر مطمعٌ وعزّتها إن كان أمرٌ يريبها
٣ فإن قلتِ : سمحٌ بالندَى ، لم تكذّبى فأمّا تُقَى نفسى فربّى حسيبُها

أعرابي من بنى عامر :

١ غداة لقينا من عبادة أسرةً مجرّبةَ الأيام ذات عُرامِ
٢ إذا وصلوا أيمانهم بسيوفهم فليسوا على أحسابهم بلئامِ

آخر :

١ سنبكى بالرماح إذا التقينا على آبائنـا وعلى بَنِينا
٢ وضرب تُرعَدُ الأحشاء منه وطعن يقلب الألوان جُونا

آخر :

١ وفتيان صـدق لا ضغائن بينهم سريت بهم حتى تلين السوالفُ
٢ غيوث إذا راحوا ليوث إذا غدوا صروف إذا أعيَا الرجالَ المصارفُ

---

(١) البصرية ١٣٢ .
(٢) م « نيلا » .
(٣) البصرية ١٣٢ .

أعرابى :

١ وذات حلايل(١) أيمنها رماحنا قديما ، وأخرى قد حملنا لها بملا

٢ وما العدل أن يروى القنا من دمائنا وإن تعرضوا من دون أوتارنا المقتلا

أعرابى ومدح قوما(٢) :

١ تخالهم للحلم صما عن الخنا وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر

٢ ومرضى إذا لوقوا حياء وعفة وعند الحفاظ كالليوث الخوادر

٣ كأن بهم وصما يخافون عاره وما وصمهم إلا اتقاء المعاير

معنى وصف الرجل بالسقم والضعف

[مضت النظائر ص ٢٦ - ٢٧]

قد ذكرنا هذا المعنى وشيئاً من نظائره فيما تقدم وبقيت له نظائر نذكر منها هنا شيئا ، فمما نذكره قديماً قول الشاعر وهو مروان :

١ لعمرى على حيى نزار كليهما أيادى كريم من فيها وأنعما

٢ فتى لم يدع بابا من الخير مغلقا ولم يغش مما حرم الله محرما

٣ وتلقاه من فرط الحياء كأنه سقيم وإن أمسى صحيحا مسلما

وأتى به آخر فقال(٣) :

١ نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

(١) فى الأصول « خليل » .

(٢) هى أربعة أبيات فى القالى ١/٢٣٨ والحصرى ١/١٦٤ ونسبت فى نقد الشعر ٢٥ والعقد (لجنة التأليف) ٢/٢٨٥ والبصرية ٦٤ إلى محمد بن زياد الحارثى وورد الأولان فى العقد (لجنة التأليف) ٢/٤١٤ لابن قيس وهما من غير عزو فى العيون ١/٢٧٩ .

(٣) هى أربعة أبيات لأبى دهبل الجمحى فى العيون ١/٢٧٨ - ٢٧٩ والحماسة ٧٠٣ قالوا يمدح النبى صلى الله عليه وسلم وفى غ ٧/١٣٤ أن الأبيات فى ابن الأزرق عبد الله ابن عبد الرحمن المبرزى والقولان فى البصرية ٧٢ والبيتان مع ثالث لأبى دهبل فى ابن الأزرق أو للحزين الليثى كذا فى اللسان (عقم) والبيت الأول لأبى دهبل فى اللآلئ ٤٤٥ وهو مع آخر له فى العسكرى ١/١٣٩ .

[مثاق نظائر أخرى ص ٣٠٦]

٢ مُتهلِّلٌ « بنَعَم » « بلا » متباعِد[1] سِيّان منه الوفْرُ والعُـــدْمُ

شاعر من الخزرج :

١ وطاعنّا وللنَّبـــــلِ هرير يصـــدَعُ القلبا

٢ فلما طاعنَ القَـــومُ تركنا فيهم الضَّربا

يقول : طاعنّا بالرماح وأعداؤنا يرمون بالنبل ، فلما دنا بعضُنا من بعض وأفضَى أعداؤنا إلى الطعن بالرماح جالدناهم بالسيوف . وهـذا المعنى من المعانى الجياد ، فإن كان قائل هذا الشعر اخترعه وكان الأصلَ فيه ، زاد زهيرٌ بقوله[2] :

يطعنُهم ما ارتمَوا حتى إذا اطَّعَنوا ضاربَ ، حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

لأنّ زهيراً أتى بالمعنى الّذى قدّمنا ذكره ، وهو بيتان ، فى بيت واحد ، وله أيضاً فيه زيادة جيـدة لأنّه ذكر أنّه يطعنهم وهم يرتمون[3] ثم يضربهم وهم يتطاعنون[4] فإذا اضطربوا[5] بالسيوف عانق ، ولم يُتمِّمْ أحد هذا المعنى بمثل هذا ، إلاّ أنّ زهيراً أخذه بغير شكّ من المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قوله[6] :

أنبضوا[7] مَعجِسَ القِسِىّ وأبرقْـــنَا كما يُوعِدُ الفحولُ الفُحولاَ

---

(١) مثله قول داود بن سلم فى قثم بن العباس :

لم يدر ما « لا » و « بلى » قد درى نعاءها واعتاض منها « نعم »

غ ٦/٢٠ .

(٢) د ، ه ، و « أحسن ما قيل فى التقدم فى الحرب » كذا فى العسكرى ١/١١٤ .

(٣) م « يرمون » . (٤) ا « إذا تطاعنوا » .

(٥) ب « ضربوا » .

(٦) كذا فى ابن أبى عون ١٥٠ وكان الأصمعى يزعم أن هذا البيت الذى يروى [للمهلهل مصنوع محدث انظر الموشح ١٩٦–١٩٧

(٧) فى الأصول « انتضوا » وهو تصحيف شائع .

و بيت المهلهل ، و إن كان سابقاً[1] للمعنى ، فهو دون بيت زهير[2] ودون بيت الأنصاريّ لأنه ذكر أنهم أنبضوا القسِيّ وأبرقوا[3] ، فيجوز أن يكون أنبضوا قسيّهم من بُعد وأبرقوا من بُعد ، ولم يدنُ بعضهم من بعض ، وهذا غير مستوفٍ للمعنى استيفاء جيّدا . و بيت الأنصاريّ ، و إن كان دون بيت زهير أيضاً ، فهو أجود من بيت المهلهل لما قدّمنا ذكرَه من العيب الظاهر فيه . و إلى هذا المعنى نظر البحترى فى قوله[4] :

فمن كان منهم ساكتا كنتَ ناطقاً ... ومن كان منهم قائلا كنتَ فاعلا

ولهذا المعنى نظائر تأتى فيما يستأنف إن شاء الله .

قال عتيبة بن مرداس :

١ رأيتُ المعلّى ليس يُشبه عمَّه ... ولا خالَه ولا أباه المقدَّما

٢ أولئك ما زالوا عرانينَ خندف ... إذا كان يوماً كاسفَ الشمس مُظلما

٣ وهذا فما نلقاه إلاّ مصمِّما ... على مال ذى القُربى و إن كان مُعدِما

٤ فتى تكثر الأموال تحتَ عجانِه ... إذا أكثر الناس النَّدَى والتكرُّما

٥ تراه كماء البحر يدفع مِلحَه ... لورّاده عنه و إن كان مُفعَما

---

(١) فى الأصول « سارقا » .

(٢) ورد فى غ ٦/١٠٣ : « ويطعن بالرمح أحيانا ويضربهم بالسيف ثم يدانيهم فيدتنق ، هذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير ومن مهلهل جميعا فإنهما سبقا إليه ، قال مهلهل وهو أقدمهما : أنبضوا معجس .. الخ ، يعنى أنهم لما أخذوا القسى ليرموهم من بعيد انتضوا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها ، وقال زهير وهو أشرح من الأول : يطعنهم ما ارتموا ... الخ فما ترك فى المعنى فضلا لغيره » وجاء فى العمدة ٢/٢٢٠ أيضاً أن زهيراً نظر إلى قول المهلهل .

(٣) فى الأصول « أبرقوا » وأبرق : لمع بسيفه .

(٤) د ٢/٢١٤ .

من هنا أخذ البحتريّ قوله(١) :

جِدَةٌ يذود البخلُ عن أطرافها كالبحر يدفع مِلحَه عن مائهِ

ولقد جوّد البحتري ، وإن كان قد أخذ المعنى بأسره وبعض اللفظ .

أعرابيّ :

١ لقد بان منّا مالك وجياده تخمّطُ فيها بينهن المذاودُ

٢ ولا يبعدنك الله ميتا فإنّما حياة الفتى سير إلى الموت قاصدُ

من هنا أخذ البحتري قوله(٢) :

وكانت حياة المرء(٣) سوقا إلى الرّدى وأيامُه دون الممات مراحِلُ

وله مثله(٤) :

وما أهل المنازلِ غير ركب منايام رواحٌ وانتظارُ

أعرابي من كلب ، يمدح مسلمة بن عبد الملك :

١ نزور امرأً من آل مروان لم يزل لنا منه عِلْمٌ لا يحدُّ ونائلُ

٢ تراه إذا ما أظلمَ الخطبُ مُشرِقا كمثل حسام أخلصَتْه الصياقِلُ

أخذه البحتريّ فجوّد فيه(٥) :

يتوقّدْن والكواكبُ مطفا تٌ ويقطعن والسيوفُ نوابي

---

(١) د ١٠ وابن أبي عون ٣٦٤ :

جدة تذود البخل كالبحر ... ملحه من مائه

وانظر المثل السائر ٢٢٤ .

(٢) د ٢/١٩٤ ومجموعة المعاني ٨ وابن أبي عون ٢٨٩ .

(٣) د « الحي » بدل « المرء » .

(٤) د ٢/٦٤ .

(٥) د ١/٧١ وقبله :

عزمات تفتن من جانب الخطب ولو كان من وراء الحجاب

هذا[١] معنى قد اشترك فيه جماعة ، فمن جوّده أبو تمام فى قوله[٢] :

ترمِي بأشباحنا إلى مَلِكٍ نأخُـــذُ من مالِهِ ومن أدَبِهْ

وأخذه البحترى[٣] فجوّد فيه :

يفيض سماحةً والمزن مُـكْدٍ[٤] ويقطع والحسامُ العَضْبُ نابِ

آخر :

نغـــدو فإمّا اشتعرنا من محاسنه فضلاً وإمّا اشتمحنا من أياديهِ

ولقد أتى ابن الرومى فى نهاية التجويد واستيفاء المعنى بقوله :

١ يقـــول علىّ مرّةً وأتانى ، وكان عليًا فى معانيه كاسْمِهِ :

٢ « أرى فضلَ مال المرء داءً لِعِرضه كما فضل طعم المرء داء لجسمِهِ »[٥]

٣ فرحتُ برِفدَيهِ وما زلت رابِحًا برِفدَين[٦] من شتّى نداه وعِلمِهِ

(١) الإشارة إلى معنى البيت الأول « . . . علم لا يحدد ونائل » ولعل بعض العبارة سقطت من هنا .

(٢) د ١٥ (طبعة عزام ١/٢٧٦) – « ترمى » يعنى المهس .

(٣) البيت الآتى ليس للبحترى بل هو لأبى تمام – د ٥٤ (ط عزام ١/٢٨٨) – وهو من نظائر البيت الثانى للأعرابى من كلب وقد سبق قول البحترى فى ذلك المعنى وإذن فهذه العبارة ليست إلا تكراراً لما مضى قبل ثلاثة أسطر والبيت مؤخر عما قبل قوله « هذا معنى قد اشترك فيه جماعة الخ » إلا أنه ورد هكذا فى الأصول الثلاثة .

(٤) مكد أى قليل كذا فى د وفى ا « نكد » نكد ؟ وهو قليل أيضاً .

(٥) البيت فى مجموعة المعانى ٣٢ ا « ابن الرقمى ؟ » وبعده :

فليس لفضل المال شيء كبذله وليس لداء العرض شيء كحسمه

(٦) ا و م « مدى » مكان « برفدين » .

أبو قيس بن الأسلت[1] :

١ من يذقِ الحربَ[2] يجدْ طعمها ... مُرًّا وتتركه بجعجـــاعِ
٢ قد حصّتِ البيضةُ رأسى فما ... أطعم نوماً غـــير تهجاعِ
٣ أعددتُ للأعــداء موضونة ... فضفاضـــةً كالنّهى بالقاعِ
٤ أحفزُها عنّى بذى رونق ... مهنّـــدٍ كالمِلحِ قطّاعِ[3]
٥ هلّا سألتِ القوم إذ قلّصتْ ... ما كان إبطائى وإسراعى
٦ هل أبذلُ المالَ على حبّـهِ ... فيهم وآتى دعوةَ الداعِى
٧ وأضربُ القَونَس يوم الوغَى ... بالسيف لم يَقصُر به باعِى

وقال يزيد بن خذاق العبدى[4] :

١ لَن يجمعوا وذى ومَعْتَبتى ... أو يُجمعَ السَّيفانِ فى غِمْـدِ
٢ ماذا بدا لك نَحتُ أثلتِنا ... فمليكُها إن كنتَ[5] ذا حَرْدِ
٣ ومكَرتَ مُلتمِسـاً مــذلّتنا ... والمَـكرُ منك علامةُ العَمْدِ

---

(١) الأبيات من المفضلية ٧٥ وهى أيضا من المذهبات فى الجمهرة ١٢٦ قالها لما أنكرته امرأته بعد أن شحب وتغير فى الحرب ، انظر غ ١٥/١٥٢ – ١٥٤ وابن الأثير ١/٥٠٦ وورد اسمه فى البصرية ٢٣ « أبو قيس الحرث بن الأسلت » واسمه مختلف فيه ، قيل إنه الحرث وقيل صيفى وقيل عبد الله وقيل صرمة كذا فى خ ٢/٨٤ عن الإصابة لابن حجر . والبيت الثانى مع آخر فى العقد ٣/٤٢٣ لـ « قيس بن الأسلت » وذلك غلط ، راجع أيضا الجمحى ٥٦ وحم البحترى ٥٦ .

(٢) م « الحزن » .

(٣) قارن قول حسان ، د ص ٦٦ : –

تخفز عنى نجاد السيف سابغة ... تغشى الأنامل مثل النهى بالقاع

(٤) ورد الاسم محرفا فى م « سهل بن حداق » وفى ب « نهد (بالهامش : يزيد) ابن حداق » وفى البصرية ٢٤ « سويد بن حداق » والأبيات من المفضلية ٧٨ والبيتان ٢ و ٤ مع آخر فى الشعراء ٢٢٨ .

(٥) فى الأصول « فمليكنا إن كان » .

معنى جمع السيفين فى غمد

٤ وهززتَ سيفَك لى تحاربنى[١] فانظُر لسيفك من به تُردِى

أخذ قوله « أو يجمع السيفان فى غمد » أبو ذؤيب فقال[٢] :

تريدين كيما تجمعينى وخالدا وهل يُجمعُ السيفان ويحكِ فى غِمْدِ

وأخذه آخر فقال :

إذا جُمع السيفان فى الغمد فالْتمِس صلاحَ بنى عمرو وآل رزين

ابن وعلة الشيبانى[٣] :

١ غَدَونا[٤] إليهم والسيوف عصيُّنا بأيمانِنا نَعلُو بهنّ الجماجِمَا

٢ لعمرى لأشْبَعْنا ضِباعَ عنيزةٍ إلى الحول منهم والنُّسورَ القشاعِمَا

٣ وَمُستَلَبٍ من دِرعِه ورماحِه تركتُ عليه الذِّئبَ يَنهَش قائِمَا

مقّاس العائذىّ[٥] :

١ ألاَ أبلغ بنى شَيبان عنّى فلا يكُ من لِقائكم[٦] الوداعا

٢ إذا وضَعَ المزاهرُ آل قَوم فزاد اللهُ حيَّكم ارتفاعا

٣ وقد جاورتُ أقواما كثيرا فلم أرَ مثلكم حَزما وباعا

---

(١) ا « فى محاربى » والرواية « كى تحاربنا » .

(٢) د ٣٣ . كان أبو ذؤيب يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يرسل إليها خالد ابن زهير الهذلى (ابن أخت أبى ذؤيب وقيل ابن أخيه) فخانه فيها ... فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها فأرسلت تترضاه فلم يفعل وقال فيها البيت ، كذا فى غ ٦/ ٢٧٤ انظر أيضا خ ٢/ ٣٢٠ والعيون ٤/ ١٠٩ والشعراء ٤١٣ .

(٣) من المفضلية ٨٣ لعبد المسيح بن عسلة الشيبانى وأغلب الظن أن « وعلة » تحريف من النساخ إلا أنه لا يبعد أن يكون وهماً من الخالديين . هذا وقد عثرت على تحريف آخر لهذا الاسم « ابن عتبة » فى جمهرة عمر بن شبة - رقم ٤٩٨٤ أدب بالدار - ص ١٣٢ حيث المفضلية (٦ أبيات) .

(٤) فى الأصول « غزونا » .

(٥) من المفضلية ٨٤ (٤ أبيات) .

(٦) فى ا « وداعكم » وثبت بالهامش « لقائكم » .

أخذ القطامى قوله « إذا وضع المزاهز آل قوم » فقال[١] :

إذا ما الله أوضع آلَ حيٍّ فزاد الله حيَّكم ارتفاعا

قال ذو الرمّة[٢] :

١ وليلٍ كجلباب العَروس ادّرَعْتُه بأربعةٍ والشَّخصُ فى العَين واحِدُ

٢ أحمُّ عِلافِىٌّ[٣] وأبيضُ صارِمٌ وأعيَسُ مَهرِىٌّ وأشعَبُ[٤] ماجِدُ

أخذه البحترىّ فقال[٥] :

١ يا نديمَىَّ بالسواجير من ودّ بن عمرو[٦] وبُحتُر بن عَتُودِ

٢ اطلُبا ثالثًا سِواىَ فإنّى رابعُ العِيس والدُّجىَ والبِيدِ

وما نَعلم أنّ البحترى أخذ لمتقدّم معنى أو لمحدث إلاّ زاد فيه أو ساوَاه بكلام عذب مليح إلاّ هذا المعنى فإنه لم يلحقْهُ وقصّر عنه . ولله درُّ ذى الرمّة فلقد

---

(١) لا يوجد فى د ولعله من القصيدة العينية رقم ١٣ .

(٢) د ١٢٩ والمرتضى ٣/١٣ : جلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد ، وجاء فى العمدة ٢/٤٥ : « زعم الجاحظ أن قول ذى الرمة أراد به صبوغه لا لونه وأكثر الناس على خلاف قوله وأنا أرى أن هذا كقول عوف بن عطية بن الجزع التيمى من تيم الرباب يصف خيلا :

وجللن دمخا قناع العرو س تدنى على حاجبيها الخمارا »

إذن فسيرتفع الإشكال إذا قدرنا أن الأصل « وليل ادرعته كجلباب العروس » أى كما تدرع العروس الجلباب ، هذا وقد وجدت أن الجاحظ بين فى الحيوان ٣/٢٤٦ أن العرب يصفون الليل بالخضرة !

(٣) ا « غداف » .

(٤) ب « أشعث » وهى الرواية .

(٥) د ١/٢٠٥ وانظر نهج البلاغة ١/٣٢١ وجاء فى الصناعتين ١٧٦ أن أبا تمام أخذا المعنى من ذى الرمة فقصر وقال :

البيد والعيس والليل التمام معا ثلاثة أبدا يقرنّ فى قرَن

وبيت البحترى فى معناه : اطلبا ثالثا .... الخ أجود من هذا إلا أنه لا يلحق بيت ذى الرمة » .

(٦) د « من » بدل « عمرو » .

طرف كلام بيته [الأوّل][1] وقد جوّد قسمة الثانى ، وقد ذكر قوم ولم يصح عندنا أنّ البحترىّ ردّ هذا المعنى فى قصيدة أوّلها[2] :

١ مالها أُولعَتْ بقطع الودادِ كلّ يوم تروعنى بالبعـادِ

وإن صحّ هذا الشعر للبحترى فإنّ معنى ذى الرمّة أجود كثيراً ، يقول فيها :

٢ غُنِى الخضر بى فصيّرنى[3] بَعْدَكَ عينا على عِيارِ[4] البلادِ
٣ ثانى العيس ثالث الليل والسّيرِ نديم النجوم تِرب[5] السهادِ

عبد العزيز بن زُرارة الكلابى[6] :

١ رحلنا من الوعساء وعساء مالك لحين ، وكنا عندها بنعيم
٢ فما لبّثَتْنَا العيس أنْ قذفت بنا لذى غربة والعهد غير قديم
٣ فأصبحن قد ودّعن نجدا وأهلَه وما عهد نجد عندنا بذميم

هذا مثل قول الآخر :

ولئن رحلنا عن دياركم فيها تَمَلَّأْنَا عن الكَرْبِ

[أعرابى][7] :

١ أكُفِ العشيرة أن ولوك أمرَهم وإن كفَوك فلا تحد ولا تَعِبِ
٢ احمل مجاهلَهم واضمَنْ مغارِمَهم رحب اللبان بها مسترخى اللَّبَبِ

---

(١) سقط من ا و ب .

(٢) د ١٨٢/١ والبيت الثالث مع آخر لأبى تمام (لم يثبتا فى د) فى نهج البلاغة ٣٢١/١

(٣) د « كاس الخضر لى فصيرنى ... » . (٤) د « عماد »

(٥) د « رب » بدل « ترب » .

(٦) روى له الجاحظ شعرا فى البيان ٥٤/٤ والحيوان أيضا وانظر العسكرى ١٨٨/١

(٧) سقط من ا .

زهراء الأعرابية[١] :

١ وسائلةٍ بظاهر الغيب عنّا ... وما تدرى أمُتْنا أم حيِينا
٢ فنحن كما يسرّكِ غير أنّا ... بنا الأيّام بعدكِ يرتمينا
٣ فإنْ نسلَمْ نزُرْكِ على قلاص ... يجاذبن الأزِمّةَ والبُرِينا

أعرابى[٢] :

١ دفعناكم بالحِلْم[٣] حتى بطِرتم ... وبالرّاح حتّى كان دفع الأصابعِ
٢ فلمّا رأينا شرّكم غيرَ منتهٍ ... وما غاب من أحلامكم غير راجعِ
٣ مسِسْنا من الآباء شيئاً وكلُّنا ... إلى حسَبٍ فى قومه غيرِ واضعِ
٤ فلمّا بلغْنا الأمّهاتِ وجدْتم ... بنى عمّكم كانوا كرامَ المضاجعِ

ما أحسن هذا المعنى وأجودَه ! وزاد أنّه قال : مازلنا نحلم عنكم وندفع بلاءكم بجهدنا[٤] ، فلمّا رأيناكم غير مقلعين عن مكروهنا ذكرنا آباءكم ، وهم أعمامنا ، فلم نجد فيكم مطعنا ، فلمّا ذكرنا أمّهاتكم رأيناهنّ فى الشرف دون أمّهاتنا ، لأنّ أمّهاتنا أشرف ، فعلمتم أنتم أنّ بنى عمّكم كانوا يضاجعون نساء كانوا[٥] أكرم ممّن كان يضاجع آباؤكم ، ففضلنا عليكم[٦] بالأمهات ، وإن كان الآباء واحداً .

---

(١) كلابية كانت تميل إلى إسحاق الموصلى انظر غ ٥/٢٣١ .

(٢) من ٦ أبيات فى الحماسة ١١٣ والبصرية ١٨ ليزيد بن الحكم الكلابى ، شاعر إسلامى ، ونسب البيتان ٣ و ٤ (مع بيتين آخرين) فى حم البحترى ٢٢٨ و (مع بيت آخر) فى مجموعة المعانى ٧٨ إلى مسور بن زيادة العذرى ، والبيت الرابع لزيادة بن زيد فى الكنايات للثعالبى ٩ والأبيات الأربعة للحصين بن الحمام فى العمدة ٢/٢١ .

(٣) فى الأصول « بالحكم » وفى البصرية « بالقول » .

(٤) ا « بجهدكم » .

(٥) كذا .

(٦) ا و م « عليهم »

أعرابيّ :

١ فإن بكُ إحسانٌ يقرّبُ حاجتى إليك ويُدنيها فقد حان حينُها

٢ وقد أقسمَتْ جهدًا التجحد دَينَنَا فقد حَرِجت فينا وبرّتْ يمينُها

سوّار بن المُضرّب السّعدىّ[1] :

١ فلو سألتْ سراةَ الحىّ سَلْمَى على أنْ قد تلوّنَ بى زمانى

٢ لخبّرَها ذَوُو أحسابِ قومى وأعدائى فكلٌّ قد بلانى

٣ بأنّى لا أزالُ أخا حُروبٍ إذا لم أجْنِ كنتُ مِجنَّ جانِى

طفيل الكلابى[2] :

١ طُلِّقتِ إن لم تَسألى أىُّ فارس حليلُكِ إذ لاقى صُداءَ وخَثْعَما

٢ أكُرُّ عليهم دَعْلَجا ولبانَهُ إذا ما اشتكى وقعَ الرماحِ تَحَمْحَما

وهذا مثل قول عنترة[3] :

١ ما زلتُ أرميهم بغرّة وجْهِهِ[4] ولبانه حتى تَسَرْبَلَ بالدّمِ

٢ وازورَّ من وقع القنا بلبانه وشكى إلىَّ بعَبرةٍ وتَحَمْحُمِ

٣ لو كان يدرى ما المحاورةُ اشتكى ، أو كان ، لو عرف الكلامَ ، مكلِّمى

ومثله قول عمر بن أبى ربيعة[5] :

لَشكَى الكميتُ الجرْى لمّا جَهدتُه وأفصحَ لو يَسْطِيع أن يتكلّما

---

(١) هى أربعة أبيات فى الحماسة ٥٧ – ٥٨ و غ ٦/٢٠١ بزيادة بيت بعد الثانى و

بنى العم عن حسبى بمالى وزبونات أشوس تيحان

وإنى لا أزال . . . . البيت

(٢) هما لعامر بن الطفيل (الكلابى) فى الحماسة ٧٢ – ٧٣ .

(٣) من معلقته وانظر نقد الشعر ٨٢ والموشح ٩٢ .

(٤) بهامش م « رواية : بثغرة نحره » .

(٥) د ص ٢٠١ .

ومثله وأومى إلى فرس الممدوح فقال[1] :

كم كم تجرّعه المنونَ فيصبرُ   لو يستطيعُ شكا إليك الأدهمُ

أُنَيف بن زبّانَ الطائى[2] :

١ دَعَوا لِنِزارٍ وانتَمينا لطَيِّءٍ   كأُسْدِ الشرَى إقدامُها ونِزالُها

٢ فلمّا التقَينا بيّن السيفُ بيننا   لسائلةٍ عنّا حَفِيٍّ[3] سُؤالُها

معنى الاعتذار من الفرار

الفرّارُ السُّلَمى[4] :

١ وكتيبةٍ لبَّستُها بكتيبةٍ   حتى إذا التَبَسَتْ نفضتُ لها يدى

٢ فتركتُهم تقِصُ الرماحُ ظهورَهم   وقُتِلتُ دون رجالهم : لا تَبْعَدِ[5]

ومثل هذا قول الحارث بن هشام المخزومى[6] :

١ اللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالَهم   حتى علَوا فرسى بأشقرَ مُزبِدِ

٢ وعلِمتُ أنّى إن أقاتلْ واحداً   أُقتَلْ ولا يضرُرْ عدوّى مَشهَدى

٣ فصدَدتُ عنهم والأحبّةُ فيهم   طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مُوصِدِ[7]

---

(١) لإسحق بن خلف (من ثلاثة أبيات) فى الطبقات لابن المعتز ص ١٣٨ :

كم كم تجرعه المنون فيسلم   لو يستطيع شكا إليك له الفم

كذا فى الحصرى ٢/٢١ وجاء فى العقد ١/٨٢ « شهد أبو دلف وقعة البذ وتحته فرس أدهم وعليه نضح الدم فاستوقفه رجل من الشعراء وأنشد : . . . . شكا إليك الأدهم » ٦ أبيات

(٢) الحماسة ٨٠ . (٣) ب و م « خفى » ا « حفياً » .

(٤) هو حيان بن الحكم السلمى والأبيات فى الحماسة ٨٩ وحم البحترى ٦٥ - ٦٦ والعيون ١/١٦٤ والحيوان ٥/١٨٥ والعقد ١/٧٢ - ٨٣ والنويرى ٣/٢٥٢ .

(٥) قارن قول مالك بن الريب :

يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنوننى   وأين مكان البعد إلا مكانيا

خ ١/٣٧٨ .

(٦) الأبيات الثلاثة فى حم البحترى ٦٥ و ع ٤/١٧٠ والعقد ٣/٤١٨ - ٤١٩ والنويرى ٣/٢٥٢ وهى بزيادة رابع فى الحماسة ٨٨ والصناعتين ٣١٦ - ٣١٧ .

(٧) كذا فى أصولنا من أوصد : أرهق والرواية « مرصد » وروى أيضا « مفسد » و « سرمدى » .

كان سبب هذا الشعر أنّ الحارث بن هشام، وهو أحد الفرّارين، فرّ من وقعة كان شهدها فقال فيه بعض الشعراء وهو حسان بن ثابت[1] :

١ إنْ كنتِ كاذبةَ الّذى حدّثتِنى   فنجوتِ منجَى الحارثِ بن هشامِ
٢ ترك الأحبّةَ أن يُقاتِلَ دونهم   ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولجامِ

فلمّا بلغ الحارثَ الشعرُ قال يعتذر بالشعر الّذى قدمنا ذكره، وإلى هذا نظر البحترى فى قوله[2] :

١ وتمدتُ عنك ولو بهجة فارس   غيرى أقوم اليوم لم أتقدِ
٢ ما كان قلبك فى سواد جوانحى   فأكون ثم ولا لسانى فى يدى

[انظر أيضا ص ١٠٥ و ٢٤٤ و ٢٤٨]

وللشعراء فى ذكر الفرار أشعار تكثر وتتسع جدًا ونحن نأتى بأشياء من نظائره فى غير هذا الموضع.

قال الحصين بن الحُمام المُرّى[3] :

١ تأخّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجِدْ   لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما
٢ ولسْنا على الأعقاب تدمَى كلومُنا   ولكن على أقدامنا تقطُرُ الدّما
٣ وأطرق إطراقَ الشجاع ولو يرَى   مساغًا لنابَيه[4] الشجاعُ لصمّما
٤ لذِى الحلم[5] قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا   وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاّ ليعلَما

(١) د ص ٣ وانظر غ ٤/١٦٩ والعقد ١/٧٥ والعيون ١/١٦٩ والنويرى ٣/٢٤٨.
(٢) د ١٧١.
(٣) خلط الخالديان بين قولى الحصين والتلمس فإن البيتين الأولين مع ثالث مضى ص: للحصين فى الحماسة ٩٣ وللزجاجى ١٣٣ وخ ٣/٢٥٤ وهما له فى العسكرى ١/١١٥، أما الأخيران فهما من كلمة للمتلمس انظر د ق ١/٨ و ١٤ والاصمعيات ٦٤ ومختارات ابن الشجرى ٢٨ – ٢٩ وقد أورد الخالديان الأول منهما للمتلمس فيما بعد ص ٢١٥
(٤) كذا فى حم البحترى ٣٢ وروى أيضا «لناباه» على اللغة القديمة لبعض العرب انظر الشعراء ٨٦ وخ ٣/٢٢٧ واللسان (صمم)
(٥) «العرب تسمى العلم حلما» كذا فى العسكرى ١/١٣٥ وفى م «الحكم».

معنى أن التقدم في الحرب أبقى للنفوس .

قوله « تأخرت أستبقى » البيت مثل[١] قول الخنساء :

نُهِينُ النفوسَ وهُونُ النفو ... سِ يومَ الكريهة أبقَى لها

ومثله[٢] أيضا :

ولا يُنْجِي من الغَمَرات إلاّ ... بَرَاكاءُ القتالِ أو الفِرارُ

وقوله « ولو يرى مساغا لنابيه الشجاع لصمّما » يقول : يصيب صميم القلب بسنّه[٣] فيقتل ، وقد روى « فسمّا » من طريق السم ، وهذا جائز إلاّ أنّ الأوّل أجوَدُ تمييزا .

فأما قوله « لذى الحلم قبل اليوم ما تقرَع العصا » البيت[٤] فالأصل فيه أنّ ذا الأصْبَع العَدوانى[٥] كان حكمَ[٦] العربِ فى أيامه ، يقضى بينهم فى

---

(١) كذا فى خ ٣/٣٥٤ والبيت لها فى د ٢١٥ ، وانظر أيضا العيون ١/١٢٥ .

(٢) كذا فى غ ١٢/١٣٧ حيث نسب البيت إلى بشر بن أبى خازم وهو آخر بيت فى مفضليته ٩٨ . وانظر خ ٣/٣٥٩ .

(٣) فى الأصول « بسمه » وجاء فى اللسان : صمم أى مضى وثبت فلم يرسل ما عض .

(٤) مثل قول المتلمس قول الحارث بن وعلة الذهلى :

وزعمت أنا لا حلوم لنا ... إن العصا قرعت لذى الحلم

وقال أبو محجن أيضا :

وقد قرعت فى أم عمرو لى العصا ... قديما كما كانت لذى الحلم تقرع

(غ ٣٥٩/١) :

وقال كثير :

وقد قرع الواشون فيها لك العصا ... وأن العصا كانت لذى الحلم تقرع

د ٣٢/١ .

(٥) من الذين يقال لهم « ذو الحلم » عامر بن الظرب العدوانى . أما ذو الأصبع فله بيت يشير فيه إلى عامر بن الظرب وهو :

ومنهم حكم يقضى ... فلا ينقض ما يقضى

انظر شرح الحماسة ٩٨ ، والظاهر أن الخالديين خلطا بين عامر بن الظرب العدوانى وبين ذى الأصبع العدوانى وهو أحد الشعراء الحكماء .

(٦) ا و م « حكيم » .

المشكلات فى أمورهم حتى أسنّ وتغيّر عقلُه ، فكان ربّما أتى بالشىء الذى لا يجوز حتى يتبيّنَهُ ثم يرجع . وكان له ابن عم يتصدّر للحكومة ، فقال أهل ذى الأصبع له : إنّك ربّما خلطت فى أحكامك ، ونحن نخاف أن ينزل بنا [بلاء من][1] هذا الأمر ، قال : فاجعلوا بينى وبينكم علامة ، إذا خلطت عرفتمونى بغير كلام حتى أنتَبِهَ[2] . فقالوا له : إنّا نقيم أَمَتَكَ[3] فلانة لهذا الأمر ، وكانت فهمة لبيبة[4] ، فإذا خلطتَ قرعتِ العصا بالأرض فتعلم الخبر ، فقال : افعلوا ، فكانت الأمة لا تفارقه ، فإذا اختلط[5] قرعتِ العصا فانتبه وعلم أنّه قد أخطأ فيرجع إلى فكره ويزول عنه خَلْطه[6] . وقد ذكر أيضا فى قرع العصا شىء آخر ، وهو أنّ بعض الأعراب[7] كان فى ناحية عمرو بن هند الملك ، وكان غالباً عليه ، وكان عمرو بن هند جبّارا لا يراجَع فى قول ولا فعلِ أمرٍ ، وكان لهذا الرجل أخ عاقل لبيب ، فإذا أراد عمرو توجيهَه إلى ناحية يرتاد فيها الكلأ لينتجعه توجّه[8] إلى تلك الناحية وحدّ له أياما ، فتجاوز الحدّ بأيام أُخر ، فغاظ ذلك عمرا ، فقال : واللهِ إن جاءنى حامدا للموضع أوذامًا له لأقتلنّه . ثم ندم على يمينه وقال لأخيه : قد ندمتُ ، ولا بدّ من إمضاء

---

(١) سقط من ب والأصل فى ا و م « فلان » والتغيير منا .

(٢) م « اتيته » .

(٣) التى قامت بقرع العصا لعامر بن الظرب « ابنته عمرة » كذا فى غ ٥/٣ و ٢١/١٣٣ - ١٣٤ والبيان ٣/٣٨ وجاء فى البصرية ١٧ حيث القصة كأنها منقولة عن الخالديين « ابنتك » بد « أمتك » إلا أن فى الميدانى ١/٢٢ إنها كانت جارية يقال لها خصيلة . وجاء فى كتاب العصا لأسامة بن منقذ (نوادر المخطوطات ... المجموعة الثانية القاهرة ١٩٥١ ، ص ١٨٧) أن « ابنه » كان يقرع الجفنة بالعصا .

(٤) م « كيسة » .

(٥) م « أخلط » ب « خلط » .

(٦) ب و م « تخالطه » .

(٧) هو سعد بن مالك بن ضبيعة وأخوه عمر (عمرو) بن مالك ، انظر شرح الحماسة ٩٨ والميدانى ١/٢٢ .

(٨) ا و م « فوجه » .

الأليّة ، فقال له أخوه : أبيت اللعن ا دَعْنِى أُنذِره ليتخلّص . فقال : افعل فلمّا قدم على الملك قرع له أخوه العصا وكأنّه علم ما فى نفسه[١] ، ثم قال له الملك : كيف وجدتَ الأرضَ ، قال : لم أجد خصبا يحمد ولا جدبا يذمّ ، فتخلّص من سطوته ، وضربت العرب بقرع العصا مثلا . والأوّل من الخبرين أصحُّ عندنا وأثبتُ فى العقل[٢] . وقد قيل فى ذلك أيضاً إنّ جذيمة الأبرش لمّا سار إلى الزبّاء ، وقد وجّهتْ إليه أن يصير[٣] إليها [لتتزوّج به ، وكانت ملكة شرق الفرات ، وكان مولاه قصير قد نهاه عن المصير[٤] إليها][٥] وحذّره إياها ، فلم يقبل . فلما شارف بلادها رأى أمارات استوحش لها ، فقال لقصير : إيش الرأى عندك ؟ قال : ببَقّةَ أُبْرِم الرأى[٦] ، وكان أشار عليه ، وهو نازل ببقّةَ أن يأتيها ، وبقّة ناحية الأنبار ، فلم يقبل ، فذهبت كلمته مثلا ، وقال له جذيمة : دع عنك هذا ، ما الرأىُ ؟

---

(١) فى شرح الحماسة ٩٨ – ٩٩ أنه « تناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التى كانت معه وأخوه قائم فقرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة فنظر إليه أخوه ثم أوما بالعصا نحوه فعرف أنه يقول : مكانك ، ثم قرع العصا قرعة واحدة ثم رفعها إلى السماء ثم مسح عصاه بالأخرى فعرف أنه يقول : قل له لم أجد جدبا ، ثم قرع العصا مرارا بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً فعرف أنه يقول : ولا نباتا ، ثم قرع العصا قرعة واقبل بها نحو النعمان فعرف أنه يقول : كلمة . . . . » انظر أيضا غ ٢١/١٣٤ والميدانى ١/٣٢ باختلاف يسير .

(٢) وفى قرع العصا أقوال أخر فقد ورد عن ابن الأعرابى « أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدوانى ، وربيعة تقول بل هو قيس بن خالد بن ذى الجدين ، وتميم تقول بل هو ربيعة بن مخاشن أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، واليمن تقول بل هو عمرو بن حممة الدوسى » كذا فى الميدانى ١/٣٣ وفى اللآلئ ٥٨٥ غير مرفوع إلى ابن الأعرابى وانظر عمرو ابن حممة فى المرزبانى ٢٠٩ واللسان (قرع) .

(٣) ب « يسير » .

(٤) ب « المسير » .

(٥) سقط من ا .

(٦) الميدانى ١/٧٨ (وعند الضبى أيضا) « ببقة صرم الأمر » والمصدر نفسه ١/٢٠٦ ببقة خلفت الرأى » .

وكانت لجذيمة فرس يقال لها العصا لا تُجارَى ولا يشقّ غبارها[١]، فقال له قصير: قد صرنا في بلدها ودارت بنا عساكرها، فإذا قرعتُ لك العصا بالسوط [فاعمَلْ][٢] على أن تطرح نفسك عليها وتنجو بحشاشتك [فضربت العرب بضرب العصا][٣] مثلا للرجل ينبَّه[٤] على الأمر الذي تخشى عاقبته.

قال إياسُ بن قَبيصة الطائي وقد هرب من كسرى[٥]:

١ ما ولدتْني حاصِنٌ ربَعيَّـــة   لئن أنا مالأتُ الهوى لاتّباعِها
٢ ألم تَرَ أنَّ الأرضَ رحبٌ فسيحة   فهل تُعجزَنّي بقعة من بِقاعِها
٣ ومَبثوثةٍ بثَّ الدَّبَى مُسبطِرَّةٍ   ردَدْنا على بِطانها من سِراعِها
٤ وأقدَمتُ والخطّيّ يخطُر بَيْنَنَا   لأعلَمَ من جَبانُها من شجاعِها

أعرابي قتــل أخوه ابناً له فقدِّم إليــه ليقتادَ منه فألقى السيفَ من يده وقال[٦]:

١ أقولُ للنفس تأساءً وتعزِيةً   إحدى يدىَّ أصابَتْنى ولم تُرِدِ
٢ كلاهما خلَفٌ من فَقْد صاحبه   هذا أخى حين أدعوه وذا ولَدِى

وهذا مثل قول الآخر[٧]:

١ وما كنتُ إلاّ مثل قاطع كفّهِ   بكفٍّ له أخرى فأصبحَ أجْذَما

---

(١) « ما يشق غباره » المثل من كلام قصير كذا في الميداني ٢/٢٠٨.
(٢) بدله في م « لما قام عمل ».
(٣) بدله في ب « فصارت العرب تضرب ».   (٤) م « ينتبه ».
(٥) الحماسة ١٠١.
(٦) هما في القالي ١/٢٦٣ والعيون ٣/٨٨ والراغب ٢/٧٥ ونسبا في البصرية ١٧ أبي العريان بن سهلة النبهاني من طيئ. وجاء في النويري ٦/٥١ وطراز المجالس ٢٥٨ « قتل للاحنف بن قيس ولد قتله أخو الأحنف فأتى به مكتوفا فلما رآه بكى وأنشد البيتين ».
(٧) هو المتلمس والأبيات الثلاثة مع البيتين اللذين خلطهما الخالديان بقول الحصين ابن الحمام (ص ٨٤) في الشعراء ٨٦ واللباب ٢٩٢ و ج ٢١/١٢٢ و ١٣٧.

٢ يَدَاه أصابت هذه حتفَ هذه ... فلم تجدِ الأخرى عليه مقدّما
٣ فلمّا استقادَ الكفُّ بالكفِّ لم يجِدْ ... له دَرَكاً في أن تَبِينَا فأحجما

ولبعض المحدثين في مثل هذا[١] :

١ لم أجْنِ ذنبا ولم أُرِدْهُ فإنْ ... قارفتُ ذنبا فغيرَ مُعتَمِدِ[٢]
٢ قد تطرِف الكفُّ عينَ صاحِبِها . فلا يَرَى قطعَهَا من الرَّشَدِ

وإلى هذا نظر البحتري في قوله يخاطب قوما من طيء[٣] :

١ إنْ أرمِكم يكُ من بعضى لكم شُغُل ... تَهوِي إليكم ومن بعضى لكم جُنَنُ
٢ رَدَدْتُ نفسى على نفسى فقلت لها : ... بنو أبيك فما الأحقادُ والإحَنُ

وقد ردّ هذا المعنى في موضع آخر فقال[٤] :

١ لآل حميد مذهب فىّ لم أكُن ... لأذهبَهُ فيهم وإنْ جَدَعُوا أنفى
٢ ولم أرمِ إلاّ كان عِرْضُ عدوِّهم ... من الناس قدّامى وأعراضهم خَلْفى
٣ وقال لى الأعداء ما أنت صانع[٥] ... وليس يرانى الله أنحَتُ من حَرْفى
٤ وإنّى لئيم إنْ تركت لأسرتى ... أوابدَ تبقَى في القراطيس والصحُفِ

وهذا المعنى كثير في المحدث والمتقدّم ، ولو أتينا به لكان كتابا مفردا ، ولا بدّ أن نذكر فيه أشياء في مواضع من هذا الكتاب .

قال عمير بن الأهتم العبدىّ :

١ إذْ دنَونا ودنَوا حتى إذا ... أمكنَ الطعنُ ومن شاء ضَرب

---

(١) هما في اللآلئ ١٤٢ : نسبهما ابن عساكر ٤/٢٦٢ لأبى نواس وهما في العمدة ٢/١٤٣ لأبى على البصير وفي ابن أبى عون ٣٢٩ والنويرى ٣/٢٦٤ لحميد بن حميد .

(٢) في ابن أبى عون : فغيرُ مُعتَمَدِ : أى فذنبى غير معتمد . اعتمد أى قصد (معجم دوزى ومحيط المحيط) فذنبى محذوف كما حذف أمرى في قوله : فصبر جميل .

(٣) د ٢/٢٨٤ .

(٤) د ٢/١١٢ - ١١٣ .

(٥) د « قائل » بدل « صانع » .

٢ ركدتْ فينا وفيهم ساعة سمهريّاتٌ وبِيضٌ كالشُّهُبْ

أعرابىّ :

١ الأمام إنّا ما تزال جيادنا رُجُما[1] بهنّ من الجراح ندوبُ

٣ يحملن كلّ مجرّبٍ يوم الوغَى شاكى السلاح يُحبُّه[2] المكروبُ

منصفات أشعار العرب المنصفة الأولى

ذكرت الرواة أنّ مُنصِفات[3] أشعار العرب ثلاثة أشعار ، فأوّلها قصيدة عامر بن معشر[4] بن أسحَم بن عدىّ[5] بن شيبان بن سُود ابن عُذرة بن منبّه[6] ابن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار :

١ ألم ترَ أنّ جيرتنا استقلّوا فنِيَّتُنا ونِيَّتُهم فريقُ

٢ فِداءٌ خالتى لبنى لُكيز خصوصا يومَ كُسُّ القوم رُوقُ

٣ تلاقَينا بِسَبسبِ ذى طُرَيْفٍ وبعضُهم على بعضٍ حنِيقُ

٤ فجاءوا عارِضا بَرِداً وجئنا كمثل السيلِ غصّ به الطّريقُ

(١) م « وجما » . (٢) ف الأصول « يحمه » .

(٣) أى القصائد التى أنصف قائلوها فيها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم . وضَبطت الكلمة فى م « منصّفات » (كأن القصيدة جعلت نصفين بين القائل وعدوه)

(٤) فى الأصول « مقشر » .

(٥) ورد اسمه كذلك « عامر بن معشر بن أسحم العبدى » فى اللآلى ١٢٥ وقد علق عليه الميمنى بأن البكرى خلط بين « عامر بن أسحم بن عدى » كما فى العينى ٢/٢٣٥ عن الحماسة البصرية وفى حواشى الأصمعيات ص ٦٧ وبين « المفضل بن معشر بن أسحم ... » كما فى رواية الأصمعى ق ٥٥ والبحترى ص ٧٥ والجمحى ٧٠ ، هذا ويرجح عندى أن عامراً هو المفضل سمى مفضلا لهذه القصيدة المنصفة التى فضل بها على غيره كما قد صرح بذلك الجمحى ونقله عنه العينى .

(٦) زاد فى حواشى الاصمعيات بعد منبه « بن بكرة [نكرة] » ونسب المفضل فقال « البكرى [النكرى] » ونسبته إلى عبد القيس أكثر . هذا ووجدت فى البصرية ٢٤ « عامر ابن أسحم بن عدى الكندى جاهلى وقيل شيبانى (؟) » كذلك أيضا « الكندى » فى العسكرى ٢/٩٤ ولعله تصحيف « النكرى » .

٥ كأنّ النبلَ بينهم جرادٌ تُصفّقه يمانيةٌ خريقُ (١)
٦ قليلٌ ما ترى فيهم كَبِيًّا (٢) كبا اليدَيه إلا فيه فُوقُ
٧ كأنّ هريرَنا (٣) لمّا التقينا هريرُ أباءةٍ فيها حريقُ
٨ بكلّ قرارةٍ منّا ومنهم بنانُ فتى وجمجمةٌ فليقُ
٩ فكم من سيّدٍ منّا ومنهم بذي الطرفاء منطقُه شهيقُ
١٠ فأشبعنا السباعَ وأشبعوها فراحت كلُّها تَبِقٌ تفوقُ (٤)
١١ وأبكينا نساءَهمُ وأبكوا نساءً ما يجفّ لهنّ موقُ
١٢ يجاوبنَ النياحَ بكلّ فجرٍ فقد صَحِلَت (٥) من النوح الحلوقُ
١٣ تركنا الأبيضَ الوضّاحَ منهم كأنّ سوادَ مقلته المذوقُ
١٤ تعاوره رماحُ بني أُكيزٍ فخرّ كأنّه سيفٌ دَلوقُ (٦)
١٥ وقد قتلوا به منّا غلامًا كريمًا لم تأشّبه (٧) العروقُ
١٦ وأفلتنا ابنُ قرّانٍ جريضًا يمرّ به مساعفةٌ مروقُ (٨)

(١) ا و م « حريق » .

(٢) م « فنبل » بدل « قليل » ورواية الأصمعيات « وبسل أن ترى فيهم » وفى حم البحترى مع الشك « وبسل ما ترى إلا كيا ... » وفيه إخلال بالمعنى .

(٣) كذا فى حم البحترى وروى أيضا « هزيزنا » .

(٤) فى الأصول « نبق تفوق » وقد فسر العينى « التبق » بالسريع إلى الشر على قول الآمدى والحديث على قول الأصمعى وإنما هذا التفسير بصرف النظر عن سياق البيت ، والأولى أن نأخذ بقول أبى الجراح : التبق الملآن شبعا وريا ، كذا فى اللسان (تأق) وتاق الرجل أى شخصت الريح من صدره وأصابه البهر .

(٥) ا و م « ضحكت » ب « ضجت » والتصحيح عن الأصمعيات

(٦) فى الأصول « ذلوق » وفى البصرية « ذليق » والتصحيح عن الأصمعيات

(٧) كذا فى ا وفى ب « لم تاشبه » وانظر الروايتين فى الأصمعيات ٦٩

(٨) كذا والرواية فى الأصمعيات « خزوق » ومعناها متقارب .

١٧ فلمّا استيقنُوا بالصبر منّا ... تُذُكِّرت الأواصرُ والحقوقُ
١٨ فأبقينا ولو شئنا تركنا ... لُجَيماً لا يقودُ ولا يسوقُ

أما قوله « فداء خالتى لبنى لكيز » البيت[1] ، فقد قدّمنا شيئاً من نظائره وممّا لم يذكر قول . . .[2] الأعشى البكرى :

وإذا ما الأكَسُّ شُبّه[3] بالأر ... وق عند الهيجا وقلّ البصاقُ

وقول عنترة[4] :

ولقد حفظتُ وصاة عمّى بالضُّحى ... إذ تقلصُ الشفتانِ عن وضَحِ الفمِ

وقال آخر :

وتقلّصت شفتاه عند زالهم ... فكأنه يوم الوغى متبسّمُ[5]

وأخذه آخر فقال :

١ حين توخّيتُه بذى شطب ... أبيض كالصُّبح كشف الحَلَكا[6]
٢ قابلنى مبدِيًا نواجذَه ... كأنّه ضاحكٌ وما ضَحِكا

ولقّاس العائذىّ فى هذا المعنى :

١ لمّا رآنى فى مجال ضَنْكِ ... والخيلُ تردى بالأسود المُلكِ

---

(١) مثله تماما قول زيد الخيل :

والخيل تعلم أنى كنت فارسها ... يوم الأكس به من نجدة روق

انظر الزجاجى ٦٨ و خ ٢/١٦٤ .

(٢) فى ا كلمة مطموسة بعدها « الأعشى البكرى » وفى ب و م « عنترة » فقط ، يظهر ان أحداً صحح الخطأ فى نسبة البيت وهو للأعشى د ١٤٤ واللآلى ١٢٥

(٣) فى الأصول « شد به » . (٤) من المعلقة

(٥) ما أقرب هذا من قول ابى تمام :

قد قلصت شفتاه من حفيظته ... فخيل من شدة التعبيس مبتسما

قال صاحب المثل السائر ٤٧٦ إن أبا تمام سبقه ديك الجن بقوله :

تلقَ ليثا قد قلصت شفتاه ... فيُرى ضاحكا لعبس الصيال

(٦) ب « الحلكا » .

٢ أبدَى الثنايا آنِسًا من ترَكِي كأنَّه يضحكُ وهْوَ يَبْكِي

وللرَّبيع بن زياد العبسي[(١)] :

عطَفنا وراءَك أفراسَنَا وقد أسْلَمَ الشَّفَتان الفَمَا

ومثله للعجاج[(٢)] :

ونحن أهل البأس والتقدُّمِ إذا السيوف أخرجَتْ أقصَى الفمِ

ونحن بمشيئة الله وعونه نذكر ما بقى من نظائر هذا المعنى فى مواضع نستأنفها من هذا الكتاب .

المنصفة الثانية

المنصفة الثانية لعبد الشارق بن عبد العزيز الجُهَنِي[(٣)] :

١ ألاَ حُيِّيتِ عنَّا يا رُدَيْنا نُحَيِّيها وإن بخلتْ علَينا

٢ رُدَيْنةُ لو رأيتِ غداةَ جِئْنا على أضْمانِنا[(٤)] وقد اخْتَوَيْنا[(٥)]

٣ وأرسَلْنا أبا عمرٍو رسولا فقال : ألاَ انعَمُوا بالقوم عَيْنا

٤ ودَسُّوا فارسًا منهم عِشاءً فلَمْ نَغْدِرْ بفارسهم لَدَيْنَا

٥ فجاءوا عارضا بَرِدًا وجئنا كمثل السَّيْل نَركَبُ وازِعَيْنا[(٦)]

---

(١) الحماسة ٢٤٢ وقد نسب البيت خطأ إلى عبد الله بن سبرة الحرشى فى اللآلى ١٢٥ .

(٢) لا يوجد فى د .

(٣) اسمه فى الحماسة ٢١٨ عبد الشارق بن عبد العزى الجهنى وكذلك فى البصرية ٢٥ وهو فى حم البحترى ٧٥ سلمة بن الحجاج الجهنى والقصيدة فى الحماسة والبصرية فى ٥ أبيات كما هنا بإسقاط البيت الحادى عشر ، منها الأبيات ٢ و ٦ و ٨ — ١٠ و ١٢ و ١٣ و ١٥ و ١٦ فى حم البحترى .

(٤) فى الأصول « أضيانا » وكذلك فى حم البحترى والتصحيح عن الحماسة .

(٥) كذا « احتوينا » أى ملأنا أيدينا من الغنائم ، وأرجح « اجتوينا » من الجوى بمناسبة قوله « أضمانا » ولأن ذكر الغنيمة لا يلائم بدء القتال وروى أيضا « اختوينا » أى لم نطعم .

(٦) ا « وادعينا » والوازع : الأسير .

٦ تنادَوا يالَ بُهثَةَ إذ لقونا فقلنا : أحسِنُوا قولا جُهَيْنا

٧ سمِعنا نَبأةً من ظَهر غَيبٍ فجُلنا جـــولةً ثم ارعَوَينا

٨ فلمّا أنْ تواقفْنا قليـــلا أنخنا للـكلاكلِ[1] فارتَمَيْنا

٩ ولمّا لم نَدَعْ سَهما ورُمحا مشَينا نحـــوَهم ومشَوا إلَينا

١٠ تَلألُؤَ مُزنةٍ بَرَقَتْ لأخرى إذا حَجَلوا بأسيافٍ رَدَيْنا

١١ فمن يَرَنا يقُلْ سَبلٌ أتِيٌّ نكرُّ عليهم وهمُ علَينـا

١٢ شدَدنا شَدّةً فقتلتُ منهم ثلاثةَ فِتيَةٍ وأسَرتُ قَيْنا

١٣ وشَدّوا شَدّةً أخرى فجُرُّوا بأرجُلِ مثلِهم ورَمَوا جُوَينا[2]

١٤ وكان أخي جُوَينٌ[3] ذا حِفاظ وكان القَتلُ للفتيان زَيْنا

١٥ فآبوا بالرِّماح مكسَّرات وأُبْنا بالسيوف قَدِ انحَنَينا

١٦ وباتُوا بالصَّعيد لهم أُحاحٌ ولو خفّتْ لنا الكَلْمَى سَرَينا

للمنصفة الثالثة للعبّاس بن مرداس السُّلَمِيّ[4] وأولها : المنصفة الثالثة

١ لأسماء رَبعٌ أصبح اليوم دارِسا وأقفرَ منها رَحْرَحان فراكِسا

يقول فيها :

٢ فدَعْها ولكن هل أتاها مُقادُنا لأعدائنا نُزجي الظِّباءَ الكَوانِسا

يقول : نسوق بين أيدينا الظباء والعرب تتشاءم بها .

---

(١) ا « بالكلاكل » .

(٢) فى الأصول « خوينا » . (٣) ا « خوين » ب و م « شبين » .

(٤) الأصمعية ٣٨ فى ٢٧ بيتا لا يوجد فيها البيت الثالث هنا وهى فى البصرية ٢٥ فى ١٣ بيتا بحذف الأبيات ١ – ٣ و ٥ و ١٣ هنا ومنها الأبيات ٥ – ٧ و ٩ فى حم البحترى ٧٧ والأبيات ٦ – ٩ فى الحماسة ٢١٧ .

٣ نشدّ بمعطاف الملاء رؤوسَنا ... على قلص نعلو بهن الأماليا

٤ سمَونا لهم سبعًا وعشرين ليلةً ... يجوبُ من الأعراض[1] قفرًا بسابسا

٥ فجئنا ثمودًا في الحديد وأصبحوا ... على الرُّكبات يتّقون الدَّنانِسا[2]

٦ فلم أرَ مثلَ الحيِّ حيًّا مُصبَّحا ... ولا مثلَنا يوم التقينا فوارسا

٧ أكرَّ وأحمى للحقيقة منهمُ ... وأضربَ منّا بالسيوف القوانسا

٨ إذا ما شدَدْنا شدّةً نصَبوا لنا ... صدورَ المَذاكي والرِّماحَ الدّاعِسا

٩ إذا الخيل أجلَتْ عن قتيل نكرُّها ... عليهم فما يرجِعْنَ إلاّ عوابسا

١٠ وكنتُ أمامَ القوم أولَ ضاربٍ ... وطاعنتُ إذ كان الطِّعان تخالُسا

١١ وكان شُهودي مَعبَدٌ ومخارقٌ ... وبشرٌ وما استشهدتُ إلا الأكالسا[3]

١٢ ومارَسَ زيدٌ ثم أنصِدَ[4] مُهرُهُ ... وحُقَّ له في مثلها أن يُمارِسا

١٣ وقُرّةُ يحميهم إذا ما تبدّدوا ... ويطعنُنا شزرًا فأبرحْتُ فارسا

١٤ ولومات منهم من جرَحْنا لأصبحَتْ ... ضِباعٌ بأكناف الأراكِ عرائسا

١٥ ولكنهم في الفارسيِّ فلا ترَى ... من القوم إلاّ في المُضاعِفِ لابسا

١٦ فإن يقتلوا منّا كريمًا فإنّنا ... أبأنا به قتلى تذلّ المَعاطِسا

١٧ قتلْنا به في مُلتقَى القوم خمسةً ... وقاتِلَهُ زِدنا مع الليل سادِسا

١٨ وكنّا إذا ما الحربُ شُبَّتْ نشُبُّها ... ونضرِبُ فيها الأبلَجَ المتقاعِسا

وتجاهلَ في أبيات فيها لم نذكرها .

(١) في الأصول « الأمراس » .

(٢) في الأصول « يتقون الدنارسا » وفي حم البحتري « يعزون الأنانسا ؟ » وفي الأصمعيات « يجردون » الأيابسا (الحواشي « الإيانسا ») والدنانس : السيء الخلق .

(٣) كذا في ا و م والأكلس من صفات الذئب وفي ب « الأكايسا » وهي الرواية .

(٤) كذا في الأصول (انظر أيضا حواشي الأصمعيات) وروى « أنصر » كما في البصرية .

قطعة لسعد بن مالك بن ضبيعة

وقال سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة(١) :

١ يا بُؤسَ للحـــــرب الَّتى وضَعَتْ أراهطَ فاستَراحـــوا

٢ والحـــــربُ لا يبقَى لجا حِمِـــا التَخَيُّلُ والمِراحُ

٣ إلاّ الفتى الصَّبَّـــارُ فى النَّـــجَداتِ والفـــرس الوَقَاحُ

٤ والنَثرةُ الحصـــــداء والـــبَيض(٢) المُـكَلَّلُ والرِّمَاحُ

٥ كشَفَتْ لهم عن ســـاقِها وبدا من الشرّ الصُّراحُ

٦ فالهمُّ بيضـــاتُ الخدو رِ هناك لا النَّعَمِ المُراحُ

٧ مَن صـــدَّ عَن نيرانِهـا فأنا ابنُ قَيس لا بَراحُ

معنى اقتسام الحرب والعفة عند المغنم

أما قوله « النَّعَم المراحُ » فهو الأصل لـكلّ من تبعَه ، ومنه أخذ أبو تمام قوله(٣) :

مفضت النظائر ص ٥٣ – ٥٤

إنّ الأسود أسود الغِيل همَّتُها يومَ الـكريهةِ فى المسلوبِ لا السلَبِ

وأولُ من نطق بهذا المعنى عَنترة فى قوله :

[ستأتى نظائر أخرى ص ٢٣٠]

« أغشَى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ » .

شعر للمنخل اليشكرى

وقال المنخّل اليشكرى(٤) :

١ إنْ كنتِ عاذلتِي فسيرى نَحوَ العِراقِ ولا تَحُورِى

٢ لا تَسألى عن جُـــلّ ما لِي واسألى كَرَمى وخِيرِى

(١) من كلمة له فى الحماسة ٢٤٨ وغ ١/٢٢٤ وشعراء النصرانية ٢٦٤ – ٢٦٥ قالها يحضض الحارث بن عباد على حرب تغلب كذا فى غ د/٤٦ وقد روى سيبويه البيتين الأولين للحارث بن عباد ، انظر شعراء النصرانية ٢٨١ .

(٢) ا و ب « السيف » بدل « البيض » . (٣) د ١٨ .

(٤) الأصمعية ٣٢ وغ ١٨/١٥٥ – ١٥٦ والحماسة ٢٦٤ والبصرية ٢٩ وراجع الأبيات ١١ – ١٤ و١٦ – ١٨ فى الشعراء ٢٢٨ – ٢٣٩ ونقد الشعر ١٠ – ١١ .

٣ وإذا الرياحُ تنـاوحَتْ بجوانبِ البَيتِ الكَبيرِ
٤ ألفَيْتِني هَشَّ اليَدَيْنِ[1] [بِمَرْيِ] قِدْحِي[2] في الجزورِ
٥ وفوارسٍ كأُوارِ حَـرِّ النَّارِ أحلاسِ الذُّكورِ
٦ شَدّوا دوابِرَ بَيضِهِم[3] في كلِّ مُحكَمَةِ القَتيرِ
٧ واستَلْأَموا وتَلبَّبـوا إنَّ التَّلبُّبَ للمُغيرِ
٨ وعلى الجيادِ المُضمَراتِ فوارسٌ مثلُ الصُّقورِ
٩ أقررتُ عيني من أُولـئكَ والكواعِبِ كالبُدورِ
١٠ يَرْفُلْنَ في المِسكِ الذَّكيِّ وصائكٍ كدمِ النَّحيرِ[4]
١١ ولقد دخلتُ على الفتاةِ الخِدرَ في اليومِ المَطيرِ
١٢ الكاعِبِ الحسناءِ تَرْفُلُ في الدِّمَقسِ وفي الحريرِ
١٣ فدفعتُها فتدافَعَتْ مشيَ القطاةِ إلى الغديرِ
١٤ وعطفتُها فتعطَّفَتْ كتعطُّفِ الغُصنِ النَّضيرِ
١٥ يا رُبَّ يومٍ للمُنَخَّلِ قد لَهَا فيه، قصيرِ
١٦ فإذا انتَشَيتُ فإنَّني ربُّ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ
١٧ وإذا صحوتُ فإنَّني ربُّ الشُّوَيهةِ والبعيرِ
١٨ ولقد شربتُ من المُدامةِ بالصغيرِ وبالكبيرِ

---

(١) في الأصول « الندى » بدل « اليدين » والتصحيح عن الحماسة والبصرية وروى أيضاً « هش الندى بشريج [تشريخ] قدحي أو شجيري » انظر اللسان (شرج) والأصمعيات .

(٢) بياض في م .

(٣) م « بعضهم » .

(٤) ا و م « البجير » .

أبو ثمامة العبدى[١] :

١ أقول لمُحرزٍ لمّـــا التقينا … تنكّبْ لا يقطّرْكَ الزِّحامُ

٢ فجارُك عند بيتك لحم ظبي … وجارى عنـد بَيتى لا يُرامُ

يقول : إنّ جارك مثل لحم الصيد يؤكل وأنت لا تدفع عنه ولا تمنع منه ، وجارى لا يرومه أحد لعِزّتى[٢] وامتناع جانبى .

أبو الطَّمَحان القَينى[٣] :

١ وإنّى من القوم الذين عرفتَهم[٤] … إذا فات[٥] منهم سيّدٌ قام صاحبُهْ

(١) هى ثلاثة أبيات لأبى ثمامة العازب بن براء الضبى (وهو غير أبى ثمامة العبدى ، انظر المرزبانى ٥١١ ، ... وقد ذكر فى الوحشيات ١٠١ والبيان ٣/٢٢٤ « أبو ثمامة ابن العاذب الضبى ») فى البصرية ٢٥ ، وقد تخلل البيتين :

أتسألنى السوية وسط عمرو … ألا إن السوية أن تضاموا

يروى « زيد (بدل « عمرو ») قبيلة المخاطب » .

(٢) ا « لغيرتى » م « لعزى » مع أثر الحك .

(٣) هى أربعة أبيات له فى الكامل ٣٠ والمرتضى ١/١٨٦ والبصرية ٦٧ وثلاثة ، كما هنا ، له فى الحصرى ٢/١٩٦ - ١٩٧ والبيت الثالث - وهو أمدح ما قالت العرب - ضمن أبيات أخرى قصيدة له مدح بها بجير بن أوس ابن حارثة بن لأم الطائى وكان أسيرا فى يده فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جز ناصيته كذا فى غ ١١/١٣٢ (انظر النويرى ٣/١٨٣) والحماسة ٧٠٠ - ٧٠١ وقد ثبتت نسبة الشعر إليه فى الآمدى ١٤٩ (انظر خ ٣/٤٢٦) واللباب ٣٦٧ والعسكرى ١/٢٢ واللآلئ ٢٣٥ لكن أبا قتيبة جزم بعزوه إلى لقيط بن زرارة (العيون ٤/٢٤) ونص على أن « بعض الرواة ينحل هذا الشعر أبا الطمحان القينى وليس كذلك ، إنما هو للقيط » (الشعراء ٤٤٧) . ولعل أبا قتيبة إنما تبع الجاحظ فى هذا القول فإن الجاحظ أورد بيتين لأبى الطمحان فيهما تركيد لعلاقته ببنى لأم ثم اتبعهما بالأبيات الثلاثة منسوبة إلى لقيط (الحيوان ٣/٩٣) ويلاحظ أن البيت الثالث - وقد قال صاحب الأغانى أنه لأبى الطمحان من غير شك ، انظر غ ١١/١٣٠ - مسبوق فى الحماسة وغ ببيتين غير الذين هنا فيهما مدح لبنى لأم كما أنه يعقب فى البيوق (١٠٤ من غير عزو) بيتان آخران ذكر فيهما اسم « شريح (بجير ؟) » فربما خفى هذا الأمر على الجاحظ ولم نعرف للقيط صلة ببنى لأم .

(٤) بهامش ا « فى رواية : هم هم » .

(٥) ب « مات » .

٢ نجومُ سماءٍ كلّما غاب كوكبٌ بَدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبُهْ

٣ أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجى الليل حتى نظّمَ الجزعَ ثاقبُهْ

معنى هذه الأبيات كثير ونظائره متسعة[1] ونحن نذكر منها ههنا شيئاً وندع أشياء لمواضع أخر ، فمن ذلك قول طفيل الغنَوى[2] :

معنى قيام سيد مقام سيد

١ وكان هُرَيمٌ من سنانٍ خليفةً وعمرٍو ومن أسماء لمّـــا تغيّبُوا

٢ نجومُ سماءٍ كلّما غار كوكبٌ بدا وانجلَتْ عنه الدُّجُنّةُ كوكبُ

وأخذه الآخر فقال[3] :

ألستَ ابن قعقاع تكلّله نُحْلُ[4] وعمّك إنْ عدّ العمومة صاحبُ

ومثله قول الخريمى[5] :

١ بقيّةُ أقمار من العزّ لو خبَتْ لظلّتْ معدٌّ فى الدُّجى تتكسّعُ

٢ إذا قمر منها تغوّرَ أوخـــبا بَدا قمرٌ فى جانب الأفق يَلمَعُ

زياد الأعجم :

إذا مات منهم سيّـــد ودعامة بدا فى ركاب المجد آخر صالحُ

---

(١) انظر الباب فى المرتضى ١/١٨٦ والحصرى ٢/١٩٦ – ١٩٧ والحيوان ٣/٩٣ . واللآلئ ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٢) د ق ٢/٣و ٦ والبيان ٣/٢٣٧ والحيوان ٣/٩٤ والبيت الثانى فى المرتضى ١/١٨٦ .

(٣) جاء فى الحيوان ٣/٩٣ لبعض التميميين يمدح عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة :

بحق امرئ سرو عتيبة خاله وأنت لقعقاع وعمك حاجب

يتلوه بيت آخر وفى الشطر الأول تحريف .

(٤) م « تكلل علة » ا « تكلك نجلة » ب « تكل نجيبة » والتصحيح منا بناء على أن « النحل » الأهلة ولا داعى للاستشهاد بالبيت ما لم يذكر فيه الأهلة أو النجوم .

(٥) ا و ب « الخزيمى » وهو تصحيف شائع وهما له (يمدح بنى خريم من آل سنان ابن أبى حارثة) فى الحيوان ٣/٩٤ . والموشح ٣٠٧ والبيت الثانى فى المرتضى ١/١٨٦ .

السموءل بن عاديا[١] :

إذا مات منهم سيِّد قام سيِّدٌ   قؤولٌ بأقوالِ الكرام فعُولُ

عبد الصمد بن المعذّل :

بنو قُتَيبَة نورُ الأرض نورُهُم   إذا خبا قَمَرٌ منهم بدا قَمرُ

ابن أبي حفصة :

وأبناء عبـــاس نجوم مضيئةٌ   إذا غابَ نجم لاح آخر زاهِرُ

معنى ضوء الأحساب والوجوه

وأما قوله « أضاءت لهم أحسابهم » البيت ، فكثير[٢] أيضاً ، فمنه قوله[٣] :

وجُوهٌ لو أنّ المدلجين اعتَشَوا بها   صدعنَ الدّجَى حتى ترى الليل يَنْجَلِي

[والأصل في هذا المعنى قول امرئ القيس[٤] :

يُضيء الفراشَ وجهُها لضجيعِها   كمِصباح زيتٍ في قناديلِ ذُبّالِ][٥]

ومثله للنابغة الذبياني :

وتخالُها في البيت إن فاجأتَها   قد كان محجوباً سراجُ الموقدِ

وأخذه قيس بن الخطيم فقال[٧] :

قضَى لها الله حين صوّرَها   بأنّها لا يُكِنُّها سَـدَفُ

(١) هو له في الحماسة ٥٣ والبيان ٤/٦٨ والقالى ١/٢٧٠ وانظر اللآلي ٢٢٦ حيث نبه الميمنى على أنه ربما نسب إلى آخرين .

(٢) زاد في ب و م « نكثير منه (معناه ؟) » .

(٣) لمزاحم العقيل د ق ١/٢٧ وهو مع آخر في البيان ٣/٢٠٢ والحيوان ٣/٩١ واللسان (عشا) وأضاف المرتضى ١/١٨٧ القول بأن مزاحما أخذه من أبي الطمحان والبيت من غير عزو في الشعراء ٥٢٢ والعيون ٤/٢٥ والعسكرى ١/٢٢ والصناعتين ٢٨٣ والنويرى ٣/١٨٣ .

(٤) العقد الثمين ق ٥٢/١٠ .

(٥) سقط من ا .

(٦) د ق ٥/٦ والمختار من بشار ١٤٢ و غ ٣/٢٣ ومنتهى الطلب ٢/١٠١ والرواية –

من ههنا أخذَ أبو نواس قوله فى صفة الخمر(١) :

لا ينزلُ اللَّيلُ حيث حلَّتْ   فدَهرُ شُرّابها نهـــارُ

ومن المعنى الذى قدّمنا ذكره(٢) :

من البيضِ الوجوهِ بنى سنانٍ   لو أنك تستضيء بهم أضاءوا

ومثله للعباس بن الأحنف(٣) :

١ ومحجوبَة بالستر عن كلّ ناظرٍ   ولو برزتْ بالليل ما ضلّ من يسرى

٢ أقول لها ، والعِيسُ تُحدَجُ للنوى :   أعِدّى لفقدى ما استطَعتِ من الصبرِ

٣ أليس من الخسران أنّ لياليا   تمرُّ بلا نفعٍ وتُحسَبُ من عمرى

وقال آخر(٤) :

نمشى على ضوء أحساب أضأنَ لنا   كما أضاءتْ نجومُ الليل للسارِى

قد ذكرنا فى هذا الموضع من نظائر هذا المعنى ما فيه مقنع إلى أن يأتى

- «.... صورها الخالق أن لا يكنها ...» وقال صاحب العمدة ٢/٥٧ إن فى البيت عيب الاتكاء والارتفاد وهو قوله « صورها الخالق » لأن اسم الله تعالى قد تقدم ، فعلى رواية الخالديين يرتفع هذا العيب .

(١) د ٢٧٤ والصناعتين ١٤٨ وابن أبى عون ٣٠٨ وجاء فى الراغب ١/٣٢٧ : قال ابن الأعرابى جميع ما قاله أبو نواس حسن وأحسنه قوله هذا .

(٢) من عدة أبيات للقاسم بن حنبل المرى يقول فى زفر بن أبى هاشم بن مسعود بن سنان عامل اليمامة كذا فى المرزبانى ٢٣٣ والحصرى ٢/١٩٧ والعسكرى ١/٤٣ ومن غير عزو وفى المرتضى ١/١٨٧ .

(٣) البيت الأول له فى الشعراء ٥٢٧ وقد أضاف ابن قتيبة القول بأنه مأخوذ من قول مزاحم وأبى الطمحان السالف الذكر وهو من ٦ أبيات فى د ٧٩ (من بيتين فى النويرى ٢/٨١) ولا يوجد الأخيران هناك .

(٢) البيت للحطيئة فى د ق ٢/٦٢ والحصرى ٢/١٩٧ والعسكرى ١/٢٢ والنويرى ٣/١٨٣ .

ما نحتاج أن نذكر منها شيئاً آخر إن شاء الله ، وإلى هذا نظر البحترى في [قوله][١] .

مَدَّ ليـــلاً على الكماة فما يمشون فيه إلّا بضوء السيوفِ

وقال حاتم بن عبد الله الطّائى[٢] :

١ أماوِيَّ إن يُصبِـحْ صداى بقفرةٍ من الأرضِ لا ماءٌ لدىَّ ولا خمرُ
٢ ترى أنَّ ما أبقَيتُ لم آكُ [ربَّه][٣] وأنَّ يَدِى ممّا بخلتُ به صِفرُ

ومثله للنمِر بن تَولَب[٤] :

١ أعاذلَ أن يُصبح صداى بقفرةٍ تنكَّبَ عنها صاحبِى وقرِيبِى
٢ ترى أنَّ ما أبقَيتُ لم أكُ ربَّهُ ، وإنَّ الّذى أمضَيتُ كانَ نَصيبِى

أعرابى[٥] :

١ هلاليَّـــة أو من نمير بن عامرٍ بذى السرح من وادِى المِيَاهِ خيامُها

---

(١) سقط من ا و م والبيت في د ٢/١٠٤ .

(٢) سبق البيتان مع ثلاثة أخرى ص ١٤٨ والتخريج هناك .

(٣) بياض في ا وثبت بالهامش « ربه » ومكانه في م « ضرف » [في م أيضا « تحلت » بدل « بخلت » في الشطر الثاني] وفي ب « لم يك ضرف » . هذا وفي الأصول الثلاثة « أبقيت » كما في الكامل ٢١٣ (خ ٢/١٠٤) والمقام يقتضي « أنفقت » كما في غ ١٦/١٠١ والشعراء ١٢٨ واللباب ١٢٥ وعند الخالديين أيضا فيما بعد ، وقد يرد في د (ق ٣١) « أهلكت » — ولعل أقرب الروايات إلى النص ما جاء في مجموعة المعاني ٣١ « ترى أن ما أنفيت لم آك ربه » ولا يخفى أن المصراع « ترى أن ما أبقيت لم أك ربه » سيجىء آخرا للنمر بن تولب الذى تكلم في المصراع الثاني عن « ما أنفقت » لا عن « ما بخلتُ به » إلا أنه يمكن أن يكون حاتم أراد توكيد معنى واحد في المصراعين .

(٤) الأصمعى ٣٧ وسبقا مع بيتين آخرين ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٥) الأولان لنابغة الجعدى في المرتضى ١/٤٩١ والرواية هناك : هلالية أو من بني هلال ابن عامر بذى الرمث .... الخ .

٢ إذا ابْتَسَمَتْ فى البيت والبيتُ مظلم ... أضاء دُجَى اللَّيل البهيم ابتسامُها

٣ تكشَّفَ برقٍ من حُبِيّ تلألأتْ ... به سمحة[1] الإيماض غرٍّ غمامُها

معنى وصف الابتسام

قد أكثر الشعراء قديمًا ومحدثًا فى ذكر الابتسام وتشبيهه بالبرق ، وأسهبوا إسهابًا فى صفات الثغور وتشبيهها بالأقحوان والإغريض والبرد واللؤلؤ وغير ذلك ، ونحن نذكر هنا من ذلك طرفًا وفى غير هذا الموضع أشياء بمشيئة الله وعونه ، فمن أحسن ما قيل فى الابتسام وأجوده وأملحه قول الشاعر[2] :

أحاذِرُ فى الظلمــــاء أن تستشِفَّنى ... عيون الغيارى[3] فى وميض المَضاحكِ

هذا البيت أجود ما قيل فى هذا المعنى ، وما نعرف مثله حسن كلام وجودة معنى وإحكام بناء . ومن ذلك قول مسلم[4] :

تبسَّمْنَ فاستضحكن طامسةَ الدُّجى ... عن الأفق والظلماء أوجهُها طُحْلُ

مثله [أيضًا لحاتم][5] :

يضى بها البيت الظليلُ خَصاصُهُ ... إذا هى ليــــلاً حاولَتْ أنْ تبسَّما

ومثله[6] :

كأنّ ابتسامَ البرق بينى وبينَها ... إذا لاح من بعض الحديث ابتسامُها

(١) فى الأصول « سحمة » وصححت فى ب « سمحة » .

(٢) الراغب ٢/١٣٦ والنويرى ٢/٦٧ .

(٣) أ « العذارى » وفى النويرى « العبارى » .

(٤) د ق د ٤/١٠ والراغب ٢/١٣٦ من غير عزو .

(٥) زيادة فى م والبيت لحاتم فى د ص ٢٥ والعسكرى ١/٢٤٣ و غ ٨/٢٠٥ ومختارات ابن الشجرى ١١ .

(٦) البيت باختلاف فى الرواية للسهرى فى اللآلى ١٧٨ وابن أبى عون ١٠٦ والنويرى ٢/٦٧ والبصرية ١٧٦ وفى المصدر الأخير نفسه ١٧٣ لأبى المثيل [تصحيف « أبى الدياء » كنية السهرى ؟ - انظر غ ٢١/٥١] وقد ثبت فى د حاتم الثانى ص ٣٥ عن قواعد الشعر لثعلب وهو من غير عزو فى خ ٣/٨٣٤ والراغب ٢/١٣٦ .

وهذان البيتان ، وإن كانا للمتقدمين ، فما يقصر بيت مسلم عنهما ، بل هو أجود لولا استكراه في لفظه ، وأما البيت الثاني الّذي قدّمناه فما لمسلم ولا لغير مسلم ممن أتينا بشعره أو نأتي ، مثلُه ، ولآخر في هذا المعنى[1] :

يستبرق الأُفُق الغربيُّ ما ابتسمتْ برقَ السيوف سِوَى[2] أغمادِها القُضُبِ

ومثله لجميل :

١ وتبسم عن لمع البروق منصَّبٍ أغرّ الذّرَى يُزجي[3] صَبِيراً[4] منضّدَا

٢ كشمس تجلّت عن فُروجِ غَمامةٍ وقد وافقتْ طَلْقًا[5] من النجم أسعدا

وللبحتري[6] :

فيرجع الليل مبيضًّا إذا ضحكت عن أبيض خَصِرٍ[7] السمطين وضّاح

ومثله لذي الرمّة[8] :

إذا ما التقين من ثلاثٍ وأربعٍ تبسّمْنَ إيماضَ الغمامِ المُكلَّلِ

وقال [آخر][9] :

إذا ما ابتسمن حسبت البروقَ بدتْ لك في الليلة المُظلِمَهْ

---

(١) البيت باختلاف في الرواية في اللسان (برق) .

(٢) في الأصول « سرى » والتصحيح عن اللسان .

(٣) ا و ب « برحي » م « بلحى » .

(٤) ا و م « صبرا » ب « درا » والصبير : السحاب الأبيض .

(٥) ا و ب « طلعا » وهو تصحيف ، انظر قول أوس بن حجر :

« وقد صادفت طلقا من النجم أعزلا »

وقول ذي الرمة « لها سنة كالشمس في يوم طلقة » — اللسان (طلق) .

(٦) د ١/١١٣ والعسكري ١/٢٣٨ والنويري ٢/٦٦ .

(٧) في العسكري « خضل : لأن قلة الريق تورث تغير الفم » —

(٨) د ٥٠٧ .

(٩) زيادة في م .

قد ذكرنا ههنا طرفاً مما ذكر به الابتسام ، ونحن نأتى بما بقى فى مواضع أخر من كتابنا هذا .

معنى وصف الثغور

فأما ذكر الثغور فإن الشعراء قد أكثرت فى وصفها ، ونحن نذكر هنا شيئاً من ذلك ، قال الشاعر :

١ ومجدولة جـــدلَ العنان خريدة ‏ لها شَعَرٌ جَعْـــد وجسم منعَّمُ[(١)]
٢ وثغر نقىّ اللّون عذبٌ مذاقه ‏ تُضىء له الظَّلْماء حين تبسَّمُ

قال آخر :

١ وشفَّ عنها خمارُ القزّ عن بَرَد ‏ كالبرقِ لا كَسَسٌ فيه ولا ثَعَلُ[(٢)]
٢ كأنّه أقحـــوانٌ بات يضرِبُه ‏ نيلٌ من الدجن سقاطُ النّدَى خضِلُ

قد شاب هذان الشاعران شعرَهما فى صفات الثغور بذكر الابتسام لتقارب المعنيَين ، ومن جيِّد ما قيل فى صفة الثغر ونادره قول مسلم بن الوليد[(٣)] :

تبسَّمْن عن مثلِ الأقاحى تبسَّمَتْ ‏ له مُزْنَةٌ صَيْفِيَّةٌ فتبسَّمَا

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى للمتقدمين قول بشر بن أبى خازم[(٤)] :

يُفلِّجنَ الشِّفاه عن أقْحوان ‏ جَلاهُ غبَّ ساريةٍ قِطَارُ

ويروى عن الأصمعىّ أنه قال : أحسن بيت ذُكر به الثغر بيت بشر هذا ،

---

(١) ا « مقسم » .
(٢) فى الأصول « ثقل » .
(٣) د ص ٢٩ عن العمدة ٢/٦ والبيت له فى البديع لابن المعتز ص ٥٩ والراغب ٢/١٣٦ والرواية فى جميع المصادر « تبسم » بدل « تبسمن » مع التصريح بأن فى البيت ترديدا (رد أعجاز الكلام على ما تقدمها) .
(٤) المفضلية ٩٨/٨ والمرتضى ٢/١٥١ والعسكرى ١/٢٢٨ والبلدان (الأوار) .

وأحسن بيت قيل فى فترة الجفون بيت ابن الرّقاع[١] :

١ وكأنها وَسْطَ النساء أعارَها عَينَيهِ أحورُ من جآذرِ جاسِمِ
٢ وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فرنَّقَتْ فى عينِه سِنَةٌ وليسَ بنائمِ

ولعمرى أنّ بيتَى ابن الرقاع هذَين فى نهاية الحسن ، ونحن نأتى بالنظائر فى تفتير العيون وسِقامِهنّ فى مواضع أخر . فأمّا قوله إنّ بيت بشر أحسن ما قيل فى صفة الثغر فالأمر عندنا بخلاف ذلك . والذى عندنا أنّ بيت مسلم ، وإن كان قد أخذ المعنى من بشر ، أجودُ تركيبا وأحسن لفظا وأبلغ معنى . وبعدُ إنّ للمحدثين فى ذكر الثغور من البدائع ما لم يأتِ بمثلها المتقدمون[٢] وإن كانوا الإمام المتّبع ، ونحن نذكر ههنا شيئا من قول الجميع ونذكر أول من اخترع المعنى من المتقدمين . وأولُ من شبه الثغر بالأقحوان أبو دؤاد الإيادى بقوله :

قامتْ تُريك غداةَ البين مُنْسَدلا وباردا كأقاحى الرملِ برّاقا

ومنه أخذ سائر الشعراء هذا التشبيه ، فممّن أخذه النابغة[٣] :

١ تجلو بقادمتَى حَمامة أيكةٍ بَرَدا أُسِفَّ لِثاتُه بالإثمِدِ
٢ كالأقحوان غداةَ غِبِّ سمائِه جفّتْ أعاليه وأسفلُه نَدِى

شبه شفتَيها واللّثا الذى فيهما بقادمتَى الحمامة ، وهذا الريش الذى فى قوادم الجناح ، لأنّه أشدّ سوادا من الخوافى ، فلذلك خصَّ القوادِمَ بالتشبيه ،

(١) انظر اللآلى ٥٢١ والشعراء ٩٣ ؛ والمرتضى ١٥١/٢ والعسكرى ٢٣٥/١ وابن أبى عون ٩٠ والنويرى ٥٠/٢ وجاء فى غ ٢١١/٩ : كان أبو عبيدة يستحسن البيت (الثانى) جدا ويقول ، ما أحد قال فى مثل هذا المعنى أحسن منه فى هذا الشعر .

(٢) م « لم تأت بمثلها المتقدمين » .

(٣) العقد الثمين ق ٢٠/٧ و ٢١ واللآلى ١٧٧ والحصرى ٢٠٦/١ وابن أبى عون ١٠٦ والعسكرى ٢٣٨/١ والنويرى ٦٧/٢ والثانى فقط فى المرتضى ١٥/٢٢ .

ويجوز أن يكون إنّما عنى أصابعها وشبّهها بقادمتَي الحمامة وذكر أن أطراف أصابعها مخضوبة وأنّه نظر إليها وهي تستاك فشبه أصابعها بقوادم ريش الجناح ، وهذان القولان جميعا جائزان ، وذكر الأصمعي أنه عنَى سواد[1] لحم الأسنان[2] وذلك أنهم كانوا يدمون اللثة ثم يذرون عليها الكحل لتَسْوَدّ فيكون سوادها مع بياض الأسنان حسنا ، وهذا أيضا قولٌ . وقد أخذ جماعة من الشعراء المتقدّمين هذا المعنى من النابغة ، فأحدهم الأعشى في قوله[3] :

تجلو بقادمتَي حمامة أيكة برَدا أسِفَّ لثاتُه بسَوادِ

ذكر أنها لِثاة الشفتين ، والعرب إذا وصفَتْ بياض الثغر خلطت بذلك سواد اللثة ، وأول من اخترع هذا المعنَى أمرؤ القيس فقال[4] :

منابتُه مثل السُّدوس ولونُه كشوك السَّيال وهو عذبٌ يفيصُ[5]

السُّدوس : النِيلَنج ، وهو أيضا[6] الطيلسان الأسود ، والسَّيال : نبتٌ أصوله بيض أمثال الثنايا ، فأخذ هذا المعنَى الأعشى فقال[7] :

باكرتْها الأعرابُ في سِنَة النّو مِ فتجري خِلالَ شَوكِ السَّيالِ

وأخذه أيضا أبو تمام فقال[8] :

كانَ شوكَ السَّيال حُسنا فأمسَى وبه للعناد[9] شوكُ القَتادِ

(١) ا و م « السواد » ب « بالسواد » .
(٢) انظر هذا التفسير في مجالس ثعلب ٣١٩ والباء في هذا التفسير زائدة .
(٣) د ق ١٦/٥ .
(٤) العقد الثمين ق ٣٤/٥ .
(٥) ا « بقيص » ب و م « يفيض » والتصحيح عن العقد الثمين واللسان (سدس) .
(٦) بالفتح وبالضم أيضا عند البعض انظر اللسان (سدس) .
(٧) د ق ١/١٦ وقبله « وكأن الخمر العتيق من الأسفنط ممزوجة بماء زلال » انظر أيضا المختار من شعر بشار ٢٤٠ .
(٨) د ٧٠ (طبعة عزام ١/٣٥٩) والمرتضى ٤/٨٤ وقبله :

وعلى العيس خُرّد يتبسمــن عن الأشنب الشتيت البُرادِ

(٩) ا « للقتاد » ب « للعباد » وروى « دونه للفراق » بدل « وبه للعناد » .

جوّد أبو تمام هذا البيت والمعنى بذكره شوك السيال فى حسنه وشوك القتاد فى صعوبته . وأخذ الأحوص[١] معنى النابغة فقال :

تجلو بقادمتَى قُمْرِيّة بَرَدًا غُرًّا ترى فى مجارى ظَلْمه[٢] أشَرًا

وقال آخر[٣] :

١ تُريك ثغرا عذبا مقبَّلُه لا كَسَسٌ عابَهُ ولا رَوَقُ
٢ كأقحوان[٤] الكثيب باكَره الطَّـــلُّ فأضحَى يهتزُّ يأتلِقُ

وقال مسلم[٥] :

إذا ما اشْتَهَيْنَا الأقحوانَ تبسَّمتْ لنا عن ثنايا لا قِصارٍ ولا ثُعْلِ[٦]

بيت مسلم هذا مثل البيتَين اللذين كتبناهما قبله إلا أنه أحسن منهما لفظا وأجود تركيبا ، وقد أخذ طرفة بن العبد معنى النابغة فقال[٧] :

وتبسم عن ألمَى كأنَّ منوَّرا تخلَّلَ حرَّ الرملِ دِعْصٌ له نَدِ

وقال أيضا[٨] :

١ وإذا تضحك تُبدى حَبَبًا عن شتيتٍ كأقاحى الرمل غُرّ

---

(١) كذا فى م و ب وفى ا « الأخوص » وهو زيد بن عمرو بن عتاب التميمى شاعر فارس ذكره ابن الكلبى كذا فى التاج (خوص) إلا أن ناسخ هذه النسخة دائما يكتب بالحاء حتى « الأخوص بن جعفر بن كلاب » (ص ٢٧١) وهو خطأ ألبتة .

(٢) م « ظلمه » .

(٣) البيتان مع ثالث فى المختار من شعر بشار ٢٢٣ ولا يجزم هل الأبيات لبشار أو لغيره .

(٤) فى الأصول « كالأقحوان » . (٥) د ٢٦/٣ .

(٦) فى الأصول « ثغل » . (٧) من المعلقة وهو فى اللسان (لما) .

(٧) لقد وقع من الخالديين تقديم وتأخير فإن الرواية فى د ق ١٨/٢ — ٢٠ هكذا :

بادن تجلو إذا ما ابتسمت عن شتيت كأقاحى الرمل غر
بدله الشمس . . . . الخ
وإذا تضحك تبدى حببا كرضاب المسك بالماء الخصر

٢ بدّلته الشمسُ من منبته بَرَدا أبيضَ مصقولَ الأُشُرْ

روى عن الشعبي أنه كان يسأل جلساءه عن معنى هذا البيت فلا يُجيبون ، ثم فسّره لهم فقال : كان الغلام أو الجارية من غلمان العرب ، إذا سقطت سِنُّه ، يقف بحذاء الشمس فيَحْذفُ بها ثم يقول يخاطب الشمس : أبْدليني بها سنّا أحسن منها[1] ، فهذا معنى قول طرفة بن العبد الذى ذكرنا . وقال ساعدة بن جؤيّةَ فى ذلك وشبّه الثغر بالأقحوان :

ومنَصّب كالأقحوان منَطّق[2] بالظَّلْم مصقول العوارض أشنب

الظَّلْم ، مسكّن اللام : الماء الذي يشفّ فى الأسنان لمن تأمّلها . وروى بعضهم أنه سأل الخليل عن الظلم وكان الخليل يأكل رمّانا فأخذ حبّة من حَبّ الرمّان وقال للسائل : هذا الظلم ، يريد الماء الذى يشف فى حبّ الرمان ، ويقال للثلج أيضاً الظلم وأنشد[3] :

أفى شنباء مُشْرَبَةِ الثّنايا بماء الظَّلْم طيبةِ الرضابِ

فهذا البيت شاهد فى الثلج أنّه يسمّى الظلم ، والعوارض ما يبدو من الأسنان عند الضحك ، ومنه يقال : فلانة مصقولة العوارض ، والشنب : بَرد الفم ورقة الأسنان ، وحدّ كلّ شيء غربه وهذا عندنا الصواب .

وقال آخر يُشبّه الأسنان بالأقحوان :

ويضحك عن غرّ الثنايا كأنه ذرى أقحوان نبته لم تنتّلِ[4]

---

(١) انظر التفسير فى نهج البلاغة ٤/٣٩٤ .

(٢) نطق : بلغ الوسط ؛ وفى ا « منطق » .

(٣) الظلم هنا يحتمل المعنيين ؛ كذا فى اللسان (ظلم) .

(٤) م « يمتل » ا « يقتل » ب « يفتل » وتنازل النبت : التف وصار بعضه أطول من بعض .

وقال الأعشى[١] :

وشتيتٍ كالأقحوان جلاه الطَّـــلُّ فيه عذوبة واتِّساقُ

وقال سعيد بن سمى :

تُجْرِى السواكَ على حُوٍّ مناصِبُه كأنّه أقحوان حين تبتَسِمُ

وقال جميل[٢] .

بذى أُشُرٍ كالأقحوان يزينه ندى الطَّلِّ إلاّ أنه هُوَ أملَحُ

وقد شُبّه الثغر أيضا بالدُّرّ ، قال الشاعر[٣] :

١ تبُذُّ بالحسن كلَّ جارية كما يبُذُّ الكواكبَ القمَرُ

٢ كأنَّ درّا نَظْمًا إذا ابتسَمَتْ من ثغرها فى الحديث ينتثِرُ

ومن جيد ما وصف به الثغر قول الشاعر[٤] :

إذا ما اجتلَى الرائى[٥] إليها بطَرْفِه غروبَ ثناياها أضاء وأظلَمَا

أراد أضاء من الضوء والتألّق واظلَمَ من الظَّلْم وهذا حسنٌ جِدّا . وقد شبه أيضا الثغر بالإغريض وهو الطَّلْع ويقال البَرَد ، وقال الشاعر[٦] :

ليالى تصطاد الرجال بفاحِمٍ وأبيض كالإغريض لم يتثلَّمِ

---

(١) د ق ٣٢/٧ .

(٢) البيت له فى النويرى ٢/٦٧ .

(٣) البيت الثانى فى الراغب ٢/١٢٦

(٤) نسب البيت فى اللآلى ١٧٧ إلى الحصين بن الحمام المرّى وهو من غير عزو فى اللسان (ظلم) ولبعض القدماء فى الراغب ٢/١٢٥ .

(٥) كذا والرواية « الرائى » .

(٦) للنابغة الجعدى فى غ ٤/١٢٨ وخ ٤٠٦/٤ وسياق ص ١٥١

ويقال الإغريض أيضا القطر الكبار أول ما تأخذ السحابة فى المطار ، قال الشاعر وذكر امرأة[١] :

فدانَت سماحا واستهلَّت دموعُها ... كإغريض مُزنٍ حطَّمته الجنائبُ

وممّن شبه الثغر بالبَرَد جرير بقوله[٢] :

تُجرِى السواكَ على أغرَّ كأنه ... بَرَدٌ تحدَّر من متونِ غَمامِ

وقال رؤبة بن العجّاج[٣] :

تَضحك عن أشنبَ عذبٍ مَلثَمُهْ ... يكادُ شفّافُ الرياحِ يرأمُهْ[٤]

كالبرق يجلو بَرَداً تَبسُّمُهْ

وقال آخر :

١ إذا ضحكت لم تَبتَهِر وتبسَّمَتْ ... عن أشنبَ لا كُسٍّ ولا متراكِبِ

٢ كنَور النقا أصبحتَه حين أظهرتْ ... له الشمسُ قرناً بعد نوءِ الهواضبِ

٣ يزلّ الندَى عنه ومن تحته الثرى ... بأجرَعَ مَيْثٍ[٥] طيّب [الرّيقِ][٦] عازبِ

---

(١) من تسعة أبيات أنشدها أبو الربيع الأعرابى من أهل نجران فى حلقة ابن الأعرابى كذا قال ثعلب فى مجالسه ٢/٦٣٣ ، وقبل البيت :

واست بناس عهدها إذ تقول لى : ... هل أنت إلى رأس من الحول آيب؟

فقلت لها أمرى إلى الله كلّه ... وإنى إليه فى الإياب لراغب

وإنى لملاث الصداء للاثم ... عليك اصطبارا فى الحشا نهو ثاقب

فدانت سماحا .... الخ

قال أبو الربيع : الاغريض قطر جليل تراه إذا وقع كأنه نصول نبل .

(٢) د ٢/د ١٢٥ والعسكرى ١/٣٣٨ وابن أبى عون ١٠٦ .

(٣) د ق د ٢٧/ و ٢٩ وانظر أراجيز العرب ١٤٢ .

(٤) د « رثمه » بدل « يرأمه » .

(٥) فى الأصول « ميت » .

(٦) بياض فى م والريق بالفتح الماء .

قد ذكرنا هاهنا قطعة من أشعار المتقدمين ، وخلطنا بشيء يسير من أشعار المحدثين ، إذ كانت أشعار المحدثين وتدقيقهم فى المعانى أضعاف ما للمتقدمين ؛ إلّا أن المتقدمين لهم الاختراع وللمحدثين الاتباع ، و[لو] لم يكن للمحدثين فى هذا المعنى غير [قول][١] أبى تمام والبحترى لكفاهم ذلك تجويداً و إصابة للمعنى وحذقاً به . قال أبو تمام فى الثغر والابتسام[٢] :

وثناياكِ إنّها إغريضٌ ولآلٍ تُوَامٌ وبرقٌ وميضُ

فأتى البحترى شبيهاً به فى قوله[٣] :

« يضحكنَ عن بَرَدٍ ونَوْر أقاح »

ثم زاد على هذا وعلى قول أبى تمام بقوله[٤] :

كأنّما يبسم عن لؤلؤٍ منظَّمٍ[٥] أو بَرَدٍ أو أقاحِ

فأتى فى هذا البيت بأكثر ما[٦] وصفت به الثغور[٧] ، وإنما أقصرنا[٨] [عن] أن نأتى بما نعرف للمحدثين فى هذا المعنى هاهنا بحالين ، إحداهما أنّه كثير متّسع ، والأخرى أنا نحتاج إلى أن نأتىَ به معنًى معنًى فى مواضع من الكتاب نضطر إليها .

---

(١) زيادة فى ب . (٢) د ١٦٠ والعمدة ١/١٩٩ .

(٣) د ١/١١٢ وابن أبى عون ١٠٦ والراغب ٢/١٣٥ والمعاهد ٢١٨ .

(٤) د ١/١٢٤ وتمام البيت : ويشبن طعم رضابهن براح .

(٥) كذا فى د وفى ا « منضّد » وجاء فى العمدة ١/١٩٨ أن أكثر أهل الأندلس والمغرب يروون « أو فضّة » فيكون حينئذ الثغر شبيها بأربعة أشياء .

(٦) فى الأصول « مما » .

(٧) فى المرتضى ٤/٨٦ أن البحترى جمع فى هذا البيت كل ما وصف به الثغر .

(٨) ا « اقتصرنا » والصلة [عن] زيادة منّا .

لشعر أبي خراش الهذلي

خرج خِراشُ بن أبي خِراشٍ الهذلي وعُروةُ بن مُرّة ، فأغارا على ثُمالَة ، فنذر بهما حيّانِ من ثمالة يقال لأحدهما بنو دارم والآخر بنو هلال [فأخذوهما][1] فأمّا بنو هلال فأخذوا عروة بن مرّة فقتلوه ، وأما بنو دارم فأخذوا خراش بن أبي خِراش فأرادوا قتلَه ، فألقَى رجلٌ منهم عليه ثوباً وقال : انجُهْ ، فنحص كأنه ظبي واتبعه القوم ففاتهم ، وأتى أبا خراش فحدّثَه الخبر وعرّفه أنّ بعضهم ألقَى عليه ثوبه ، فقال : وهلْ تعرفه ؟ فقال : لا ، فقال أبو خراش وذكر ذلك ورثَى أخاه[2] :

١ حمِدتُ إلهي بعد عروةَ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ
٢ فوالله لا أنسَى قتيلا رزئتُه بجانب قَوسَى ما مشَيتُ على الأرضِ
٣ بَلَى[3] ، إنّها تعفو الكلومُ وإنّما نُوكَّلُ بالأدنَى وإنْ جلّ ما يمضِي
٤ ولم أدرِ مَن ألقَى عليه رداءه سوى أنّه قد سُلّ عن ماجدٍ محضِ
٥ ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد مُهبَّجا[4] أضاعَ الشبابَ في الربيلةِ والخفضِ
٦ ولكنّه قد نازعَتهُ مخامِصٌ على أنّه ذو مِرّةٍ صادقُ النهضِ
٧ كأنّهم يشَبّثُون[5] بطائرٍ خفيفِ المُشاشِ عظمُه غيرُ ذي نَحضِ
٨ يُبادرُ قربَ الليلِ فهو مُهابِذٌ يحثُّ الجناحَ بالتبسطِ والقبضِ

(١) سقط من ا .

(٢) راجع الهذليين ٢/١٥٧ – ١٥٩ والكامل ٣٣٧ – ٣٣٨ والحصري ٣/١٥٩ والقالي ١/٢٧١ (اللآلي ٦٠١) والأبيات الستة الأولى فقط في الحماسة ٣٦٥ – ٣٦٧ وغ ٢١/٤٣ وخ ٢/٤٥٨ والأربعة الأولى في المرتضى ١/١٤٢ والثلاثة الأولى في الشعراء ٤١٨ .

(٣) ا « على » .

(٤) ا و م « مبهجا » لكن ورد فيهما « مهبجا » فيما بعد .

(٥) ا « يستثبون » .

لا نعرف للعرب فى معنى هذه الأبيات أجود منها ، وله فيها أشياء نحن نبيِّنُها ونأتى بنظائرها ، فمن ذلك قوله « فوالله لا أنسَى قتيلا » البيت وهذا من إفراط جزعه ، ثم تبيَّنَ[١] أنَّه سيَسلو فقال « بلى إنَّها تعفو الكلوم » البيت ، يقول : إنّى وإن حلفت أنّى لا أنسى هذا القتيل فإن الكلوم تبرأ فضرب به مثلا للمصائب التى تنسى ، يقول : يُنسى قديمها ونوكَّلُ بحديثها وإن كان القديم جليلا . وقوله « نُوكّل بالأدنَى » يقول : إنّما نحزن على الأقربِ فالأقربِ ، وكلّما تقادم الشيء نسيناه ، ومثل هذا أو قريب منه قول الآخر[٢] :

كلّما[٣] تبلَى وجوهٌ فى الثّرَى فكذا يبلَى عليهنَّ الحَزَنْ

وقال أبو العباس ثعلب : قلتِ لأبي عبد الله محمد بن الأعرابى : هل تعرف مثلَ شعر أبى خراشٍ هذا ؟ وأنشدته الأبيات ، [فقال][٤] :

١ آخر ما شىء يَعُولكَ وَالْـــأقدمُ[٥] تنساهُ وإنْ هوَ جَلْ

٢ قد تَحدُثُنى[٦] الحادثات فَلاَ أجزع من شىء ولا أجـــذلْ

هذا الشعر من العروض الثانية والضرب الرابع من السريع وبيته[٧] .

---

(١) ا « لم تبين » ب و م « ثم بين » .

(٢) البيت فى العسكرى ٢/١٧٢ ونسب فى العيون ٣/٥٧ والبيان ٣/١٩٧ إلى أبى العتاهية ، وجاء فى الراغب ٢/٢٢٩ : قيل لأم الهيثم ما أسرع ما سلوت ، فقالت إنى نقدت منه سيفا فى مضائه ورمحا فى استوائه وبدرا فى بهائه ، ولكن قلت :

قدم العهد وأسلاني الزمن إن فى الصبر لسلوى والكفن

وكما تبلى . . . . . الخ

(٣) الرواية « وكما » بدل « كلما » وقد أورد الخالديان أيضا « وكما » فيما بعد ص ٢٦٧ .

(٤) سقط من ا و ب . (٥) ا و م « الأقدام » .

(٦) م « تجدنى » .

(٧) المفضلية ٥٤/٦ للمرقش الأكبر وانظر الشعراء ١٣ و ١٠٥ والمرزبانى ٢٠١ والمرتضى ٤/١٦٥ .

النشرُ مسكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطراف الأكُفِّ عَنَمْ

وأجود ممّا اختاره ابن الأعرابى قول الأحوص[1] :

١ النفسُ ، فاستيقنا[2] ، ليست بمعولة شيئاً وإن جلّ إلاّ ريث تعترفُ

٢ إنّ القديمَ وإن جلّت رزيّتُه ينضو فيُنسَى ويبقَى الحادث الأُنِفُ

هـذا معنى جيد [مسفر][3] وبيت إبى خراش أجود منه ، وقال أبو العتاهية فى هذا المعنى :

فإذا انقضى هم امرىء فقد انقضَى أن الهمومَ أشدُّهن الأحدثُ

وقد ردّ أيضا أبو العتاهية هذا المعنى فقال[4] :

إنّما أنت طول عمرك ما عُمِّـــرتَ فى الساعة الّتى أنتَ فيها

و بيت أبى العتاهية هذا فى نهاية الجودة و إصابة المعنَى ، وقد ذكرنا شيئاً من نظائر بيت أبى خراش هذا الذى قد منا ذكره فيما تقدّم من الكتاب .

وأما قوله « ولم أدر من ألقَى عليه رداءه » البيت فهو أوّل من مدح من لا يعرف[6] وذلك[5] أنّ خراشا لما [غشى] ألقى عليه رجلٌ ثوبَه فواراهُ وشُغِلوا بقتل عروةَ عنه ، فنجا خراش ، فقال أبوه : ولم أدرِ من فعل هذا الفعل ولكنّ صاحب هذا الثوب قد سُلّ عن ماجد محضٍ ، أى فعل هـذا الفعلَ رجلٌ

(١) كذا فى ب وفى ا و م « الأخوص » ولعله تحريف كما قد وقع فى غير هذا الموضع ، انظر ص ٩٨ .

(٢) ب « فاستبقيا » والكلمة بدون النقط فى م .

(٣) سقط من م .

(٤) البيت له فى المثل السائر ٦٥ .

(٥) الكامل « قال الرواة : لا نعرف أحدا مدح من لا يعرف غير أبى خراش » ونسب هذا القول إلى الأصمعى وأبى عبيدة فى شرح الحماسة ٣٦٥ .

(٦) فى هذا البيت ثلاثة أقوال راجعها فى اللآلئ ٦٠١ – ٦٠٢ .

كريم ، وإلى هذا المعنى نظر أبو نواس فى قوله[١] :

ولمْ أدرِ ماهُم غيرَ ما شَهِدتْ به — بشرْقيّ ساباطَ الرسوم الدوارسُ

وقول أبى خراش يصف خراشا « ولم يك مثلوج الفؤاد » البيت والذى بعده ، يذكر أنه لم يكن مُنْتَفِلاً[٢] مقيما فى الدعة والنعمة والأكل والشرب فيكون مهبّجا لذلك ، ولكنّه قد جاذبه الجوع حتى خفّ لحمه ، فإذا نهض نهض بحقيقة ولم يكذب ، ثم وصف جودة حُضْرِه فقال « كأنهم يشْبُثُون بطائر » البيتَين ، لا نعرف فى السرعة مثل هذا لأنه شبّهه فى الخفّة بطائر فقال « خفيف المشاش » ليكون أسرع له ، ثم قال « عظامه غير ذى نحض » أى ليس على عظمه لحم ، ثم ذكر أنه يبادر بحثّ جناحه فى البسط والقبض قرب الليل ، فما نحسب أنّ أحدا ذكر فى الكلام المنظوم والمنثور أحدا بالسرعة ولا وصفه بذلك إلاّ دون هذه الصفة ، وكان أبو خراش أحد الفرّارين ومن يُحضِرُ فلا يُلحَق ، وممّا ذكر من شدّة حُضره وخِفّته فى فرة فرّها من الخزاعيين ، وكانوا يطلبونه بثأر ، فقال[٣] :

معنى وصف الفرار والعدو على الرجلين

١ رَفَوْنى، وقالوا : ياخويلدُ ، لا تُرَعْ[٤] — فقلتُ — وأنكرتُ الوجوهَ — هُمُ هُمُ

٢ تذكّرْتُ ما أين المَفَرّ وإنّنى — بغرْزِ الذى يُنجى من الموتِ مُعصِمُ

٣ فوالله ماربداء أو عَير[٥] عانةٍ — أقبّ وما أن تَيْسُ رَمْلٍ[٦] مُصمّمُ

(١) د ٢٩٥ . أخذ أبو نواس قوله من أبى خراش كذا فى المرتضى ١/١٤١ وشرح الحماسة د ٣٠٦ والوساطة ١٦١ .

(٢) م « منتفلا » وفى ا و ب « منتقلا » [منفلا » وهو المهبج كما فى الهذليين ٢/١٥٨] .

(٣) الأبيات وخبرها فى الهذليين ٢/١٤٢ — ١٤٨ و غ ٢١/٣٩ وانظر ٣ العقد ١/٧٨ و خ الشاهد الثانى والسبعون .

(٤) ا و م « تدع » .

(٥) فى الأصول « غير » والرواية المشهورة « علج » .

(٦) روى أيضا « ربِّز » .

٤ بأسرعَ منّى إذ عرفتُ عديَّهم كأنى لِأُولام من القُربِ توأمُ

٥ أوائلُ بالشدِّ الذليق[1] وحثَّنى[2] لدى المتن مشبوحُ الذراعين خَلجم[3]

٦ فلولا دِراكُ الشدِّ ظلَّت حَليلَتى تخيَّرُ فى خُطَّابها وهى أيِّمُ

٧ فتَـخطُ أو ترضَى مكانى خليفةً وكان خراش يوم ذاك تيتَّم[4]

وقال أيضاً فى مثل هذا المعنى[5] :

١ لمّا رأيتُ بنى نُفاثة[6] أقبلُوا يُشْلُون كلَّ مقلَّصٍ خِنَّابِ[7]

٢ ونَشِيتُ[8] ريح الموت من تلقائهم وكرهتُ وقعَ مهنَّدٍ قرضابِ

٣ أقبلتُ لا يشتدُّ شدّى قادرٌ عِلجٌ أقَبُّ مشمَّر[9] الأقراب

٤ ودفعتُ[10] ساقا لا أخافُ عِثارَها وطَرَحتُ عنّى بالعَراء ثيابى

وقد أخذ[11] فى شعره الصادى الذى قدمنا ذكره مصراعا بأسره [ل] طرفة ابن العبد فقال :

[حمدتُ إلهى بعد عُروةَ إذ نجا خراش ، وبعض الشرِّ أهون من بعضِ

وقال طرفة[12]][13] :

أبا منذر ، أفنيتَ فاستَبقِ بعضَنا حنانَيك بعض الشرِّ أهون من بعضِ

---

(١) كذا فى اللسان (ذلق) وفى الأصول « الذليق » مصحفا ويروى « بالسيف الذليق » .

(٢) كذا عندنا بدل الرواية المشهورة « حثَّنى » . (٣) م « جلحم » .

(٤) كذا فى ا و م وفى ب « يتم » والرواية المشهورة « ذلك يتم » .

(٥) الهذليين ٢/١٦٨ – ١٦٩ وفيه أن الشعر يروى لتأبط شرا .

(٦) م و ا « نفالة » ب « نفالة » .

(٧) م و ا « جناب » ب « خباب » والخناب : الطويل .

(٨) كذا فى ا وهى الرواية المشهورة ، وفى ب و م « نشقت » وقيل إن هذا البيت لقيس بن جعدة الخزاعى انظر اللسان (نشا) .

(٩) الهذليين « مبر » الأقراب أى فيه خطوط . (١٠) الهذليين « رفعت » .

(١١) فى الأصول « أخذه . . . . . طرفة » . (١٢) د ص ١٤٢ .

(١٣) سقط من ا .

وقد أتى بهذا المعنى غير أبي خراش فقال :

ورفعتَ لى ذكرى وما كان خاملا ولكنّ بعضَ الذكر أرفعُ من بعضِ

هذا الكلام حذو كلام طرفة ، بل هو منه ، وإن كان غير المعنى الذى أتى به أبو خراش وطرفةُ .

ولأبى خراش فى الفرار والعدو على الرجلين أشياء كثيرة ، قد ذكرنا بعضها وسنذكر منها شيئاً آخر ، فمن ذلك قوله فى فرّة فرّها يعتذر منها(١) :

[الاعتذار من الفرار مضى المعنى ص ٨٣ – ٨٤]

١ لحا اللهُ جَدًّا راضِما لو أفادنى(٢) غداةَ التقى الرَّجلان فى كفّ شاهكِ(٣)

٢ فإن تزعمى أنى جَبُنْتُ(٤) فإننى أفِرُّ(٥) وأرمى مرّةً كلَّ ذلكِ

٣ أقاتلُ حتى لا أرى لى مقاتَلاً وأنجو إذا ما خفتُ بعضَ المهالكِ

ومن ههنا أخذ الآخر قوله(٦) :

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتَلاً وأنجو إذا غمّ الجبانُ من الكَرْبِ

وقال تأبّطَ شرًّا وذكر شدة حُضره من أعدائه(٧) :

١ إنى إذا خُلّةٌ [ضَنّتْ](٨) بنائلها وأمسكتْ بضعيفِ الحَبْلِ أحذاقِ

٢ نَجَوتُ منها نجائى من بَجيلةَ إذ ألقيتُ ليلةَ خَبْتِ الرملِ أرواقِى

(١) المذليين ٢/١٦٩ .

(٢) فى الأصول « أنادنى » .

(٣) المذليين « ساهك ويروى ماهك » .

(٤) م « جنبت » .

(٥) م « لفر » وله وجه .

(٦) مضى ص ١١ لمالك بن أبى كعب .

(٧) المفضلية ١/٣ – ٦ و ٨ والأبيات بزيادة سادس فى حم البحترى ٨١ – ٨٢ .

(٨) بواض فى م .

٣ ليلة صاحوا وأغرَوا بي سِراعَهم بالعَيكتَين لدى مَعْدَى بن بَرّاقِ[١]

٤ كأنما حثحثوا[٢] حُصًّا قوادِمُه وأُمّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاقِ

٥ حتى نجوتُ ولمّا ينزِعوا سَلَبي بِوالِهٍ من قبيصِ[٣] الشَّدِّ غَيداقِ[٤]

وقال آخر[٥] :

فِدًى لكما، رِجلَيَّ، أُمّي وخالَتي[٦] غَداةَ الكُلابِ إذ تُحَزُّ الدوابِرُ[٧]

وأشعارهم في هذا المعنى كثيرة . وفي الاعتذار من الفرار في حال وتحسينه في حال وتقبيحه في أخرى أكثر من أن تُحصَى ، وقد ذكرنا من ذلك شيئاً في هذا الموضع وفي غيره من كتابنا ونذكر فيما يستأنف بمشيئة الله وعونه .

وقال أبو خراش[٨] :

(١) ابن براق هو عمرو وهو الشنفرى صديقا تأبط شرا وكانا معه ليلة انفلاته من بجيلة .

(٢) ا « حصحصوا » .

(٣) كذا في اللسان (غدق) : قبيص بمعنى قانص والرواية المشهورة « قبيض » أي السريع ، كذلك أيضا في تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ١٣ .

(٤) م « عداق » .

(٥) مطلع المفضلية ٣٢ للحارث بن وعلة الجرمي أو لأبيه وعلة .

(٦) قال حاجز بن عوف :

فدى لكما رجلي أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والأثائب

غ ٤٩/١٢ .

(٧) الرواية في المفضلية « تحز الدوابر » [الوحشيات ص ٦٥ « تحز الدوابر »] وحز : صد وصرف .

(٨) الهذليين ١٢٧/٢ – ١٢٨ وقصة الأبيات في غ ٤١/٢١ أن أبا خراش أتقر من الزاد أياما ثم مر بامرأة من هذيل جزلة شريفة فأمرت له بشاة فذبحت وشويت فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر فضرب بيده على بطنه وقال إنك لتقرقر لرائحة الطعام ، والله لا طعمت منه شيئا ثم التحم شيئا من صبر ومر ثم ركب بعيره وقال الأبيات .

١ وإنى لأُنوى[1] الجوعَ حتى يَمَلَّنى[2] … فيذهب لم تَدْنَسْ ثيابى ولا جِرْمى[3]
٢ أردُّ شجاعَ الجوعِ قد تعلمينه … وأوثِرُ عبدى[4] من عيالِكِ بالطُّعْمِ
٤ مخافةَ أن أُحْيَا برَغمٍ وذلّةٍ … والموتُ خيرٌ من حياةٍ على رَغْمِ

الحجّاج بن عثمان التجيبى من قبيلة تجيب :

١ ولى صاحبٌ ما خاننى مذ حملته … ولا كان إلاّ مُسعِدًا لى على الدّهرِ
٢ شبيهىَ إرهافا[5] وإن كنتُ فوقه … بيانًا إذا ما قوبلَ الأمرُ بالأمرِ
٣ أنستُ به من دون أهلى ولو غدا … ضجيعىَ فى قبرى لما هالنى قبرى
٤ وما خفتُ مذ يوم ارتديتُ نجادَه … ظلامةَ والٍ أو مبادهةَ الفقرِ

أخذه عبيد الله بن طاهر فقال :

وما أخذتْ كفّى بقائم نَصلِه … فحدّثتُ نفسى بانهزامٍ ولا فرِّ

هذا معنى جيد قد تشارك فيه جماعة الشعراء ، فمن أحسنهم قولا مسلم بن الوليد فى قوله[6] : معنى جعل السهف رفيقا والاستئناس به

١ أتتك المطايا تهتدى بمطيّةٍ … عليها فتًى كالنصل يؤنسه النَّصلُ
٢ فلمّا انبعثنَ النورَ خوّينَ تحته[7] … على أمَلٍ يشجَى به اليأسُ والمَطْلُ

(١) فى الأصول « لأنوى » .
(٢) فى الأصول « يلمنى » .
(٣) م و ب « حرى » .
(٤) كذا فى الأصول والرواية فى الهذليين و ع ومجموعة المعانى ٢٨ أيضا « غيرى » .
(٥) م « إرهاقا » .
(٦) د ق ٤٥/٣٠ و ٣٢ وبينهما :
ودن خلاف الليل والليل مصدر … أواخره والفجر عريانُ أو نُغُلُ
والبيت الأول له فى العسكرى ٢/١٢٧ .
(٧) ورواية المصراع فى د « فلما نحين النور خرّين تحته » .

هذان البيتان من أحسن وصف ، والبيت الأول منهما مليح التشبيه طريف المعنى فى قوله « يؤنسه النصلُ » وأتى بهذا المعنى آخر بجوّد بقوله[1] :

[جعل القلب مجنا]

ربّ أيــــل جملته طيلسانى ، مؤنسى صارمى ، وقلبى مجنّى

ظُرُف فى قوله « قلبى مجنّى » ولا نعلم أنّ أحداً أتى بهذا قبله وجعل ترسه قلبه ، وقد أخذه بعض العلويّين فقال[2] :

١ قومى ، إذا حضروا الوغَى ، جَعَلوا الصـــــدور لها مسالكْ

٢ اللابســــــين قُلوبَهم فـــوقَ الدُّروع لدفع ذلكْ

وإليه نظر بعضهم فقال[3] :

يلقى السيوف بنحره وبصدره ويقيم هامتَـــه مقام المِغفَرِ

وأتى به طاهر بن الحسين فقال[4] :

١ سيفى رفيقى ومُسعدى فرسى والكأس خدنى وقينتى أنسى

---

(١) الراغب ٢/٦٩ .

(٢) انظر اللآلى ٢٣٢ – ٢٣٣ والمراد بالقلب الرأى والسياسة . وجاء فى الصناعتين ١٥٧ ، قول الأول :

لبسوا الدروع على القلو ب مظاهرين لدفع ذلك

أتم وأجود منه قول زهير :

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف لبستهم الأحساب فيه دروعا ،

لم يثبت البيت فى د زهير .

(٣) من شعر فى الفال ١/٤٣ نسبه البكرى (اللآلى ١٨٢) إلى ابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم من شعراء الدولتين يزيده ابن هذيل الأندلسى فى حلية الفرسان. (باريس ، ١٩٢٢) ص ٧٧ ، وقد ورد (خمسة أبيات) فى البصرية ٩ لـ ، عبد الملك بن معاوية الحارثى أموى الشعر وقد رواها البعض لحجين بن حجر الغسانى ، وانظر الكلام عليه فى اللآلى ٢٧٨ والبيت مع آخر للعلوى صاحب الزنج فى مجموعة المعانى ٣٨ .

(٤) البيت الأول له فى الراغب ٢/٦٩ .

٢ أربعـــة لا أريد خامسةً سوى نديم عارٍ من الدنسِ

ومثله لآخر :

مهرى جواد وسيفى صارم ذكر والرّزقُ خلفى ورزق الله قدّامى

إنّما أردنا من هذين البيتين أنّه جعل سيفه رفيقه ، وقال الحدونى فى هذا المعنى فجوّد :

تستأنس الظّلماء منــه بمخذم مستأنسٍ بالمشرفىّ المِخــذَمِ

أخذه أبو تمام فقال[١] :

مستأنسين إلى الحتوف كأنّها بين الحتوف وبينهم أرحامُ

وللبحترى مثله[٢] :

وما صاحبى إلاّ الحسام وبزه وإلاّ العلنداة الأمون وكورها

ولقد جوّد ابن أبي زرعة الدمشقىّ فى هذا المعنى بقوله :

١ ليس لى صاحبٌ عَلَى الهول إلاّ صاحبٌ مايزال [من][٣] عن يَسارى

٢ فإذا ما نسبتـــه فيمانٍ وهو فى خنــدف قديمُ الجوار

٣ أرتضيــه للحادثات فيرضا نى لإيرادِه وللإصــــدارِ

وذكره آخر فقال :

١ لِى صاحبٌ لا أملّ صحبتَه لا يمَــلُّ الرواء من قِبَــلِى

٢ كم من ثلام جملتـــه قبَسى فيـــه وخطب أزاحه جَلَلِ

---

(١) مثنى ص ٥٢ .

(٢) د ٢/٣٧ .

(٣) سقط من م .

معنى فضل النعمة على الشكر، وعكسه

وقال أبو زُبَيْد الطائى[1] :

١ سأقطع ما بينى وبين ابن عامرٍ قطيعةَ وصل ، لست أقطع جافيا
٢ فتى يُتبِع النُعمى بنُعمَى تَرُبُّها ولا يتبع الإخوان بالذمّ زاريا
٣ إذا كان شكرى دون فيض بنانه وطاولَنى جوداً فكيف احتياليا

هذا معنى حسن وقد تجاذبه جماعة من الشعراء وولدوا فيه أشياء بقرائحهم نحن نذكر بعضها إلاّ أنّ الأصلَ فيه المُخترِعَ له أبو زبيد فى الأبيات التى قدمناها ، وممّن جوّد فيه أبو نواس بقوله[2] :

١ قد قلتُ للعبّاس مُعتذِرا من حمل شكريه ومُعترِفا
٢ أنتَ امرُؤٌ جلَّلْتَنِى نِعَمًا أوهَتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفا
٣ فإليك بعد اليوم معذرةً [لاقيتك بالتصريح مُنكشِفًا][3]
٤ لا تُسدِيَنَّ إلىّ عارفةً حتى أقومَ بشكر ما سلفا

وأتى بهذا المعنى دِعْبِل بقوله[4] :

١ فأُقسِمُ لا عن جفوةٍ لا ولا قِلًى ولا مَلَلٍ أبطأتُ عنك ، أبا بكرِ
٢ ولكنّنى لمّا أتيتُـك زائرًا فأفرطتَ فى برّى عجزتُ عن الشكر

---

(١) البصرية ٧٧ .

(٢) د ٧١ والحصرى ٢/٣٢ والعمدة ٢/١٨٩ والأبيات ١ و ٢ و ٤ فى مجموعة المعانى ٩٨ والعسكرى ١/١٢٧ والنويرى ٣/٢٥١ والأبيات ٢ - ٤ فى الشعراء ٥٢٤ .

(٣) بياض فى ب وفى ا و م « حتى أقوم بشكر ما سلفا » كما فى السطر التالى والتصحيح عن د .

(٤) الأبيات الأربعة فى العسكرى ١/١٢٧ والثلاثة الأول فى النويرى ٣/٢٥٠ منسوبة إلى دعبل وقد وردت الثلاثة الأخيرة بإضافة بيت آخر بدل البيت الأول فى غ ٨/٢٥٦ - ٢٥٧ و ١٨/١٠٥ وعنه فى النويرى ٤/٢٢٨ على أن على بن جبلة أملاها وبعث بها إلى أبى دلف ، كذلك أيضا فى الطبقات لابن المعتز ص ٧٦ .

٣ فــالآنَ لا آتيــــك إلّا مــلِمًا أسلِمْ فى الشَّهرَينِ يوما وفى[1] الشَّهرِ
٤ فإنْ زدتنى برّا تزيّدتُ جَفوةً فلا نلتقِى حتى القيامة والحَشْرِ

وهذه الأبيات دون أبيات أبي نواس ، لأنَّ أبيات أبى نواس جيدة الألفاظ صحيحةُ المعنى ، والذى أبدعَ فى هذا المعنى حُسنَ اللفظ واستيفاء معنى البحتريُّ بقوله[2] :

١ إنّى هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العَودُ يُذهبُها ولا الإبداء
٢ أخجلتَنى بندى يديك فسوّدتْ ما بيننا تلك اليدُ البيضــــاء
٣ وقطعتنى بالجودِ حتى إنّنى متخوِّفٌ أن لا يكونَ لقاء
٤ صلةٌ غدتْ فى الناس وهى قَطيعةٌ عَجبًا وبرٌّ راحَ وهْوَ جَفَاء

وقد ردّه البحترى أى[3] هذا المعنى فى شعر آخر وهو قوله[4] :

١ إيهًا أبا الفضل شكرى منك فى نصب أقصِرْ فما لِىَ فى جدواك من أربِ
٢ لا أقبَلُ الدّهرَ نَيلا لا يقوم[5] به شكرى ولو كان مُسدِيهِ إلىّ أبى

ولئن كان لأبى زبيد فضيلة السبق وجودة الاختراع فإنَّ للبحترى حسنَ اللفظ واستيفاء المعنى ، بل هو أحق بهــذا المعنى من كلّ مَن أتى به من

(١) روى « أو » بدل « وفى » .

(٢) د ١/٧ والعسكرى ١/١٢٨ والنويرى ٣/٢٥٠ والأبيات ٢ - ٤ فى مجموعة المعانى ١٥٥ وانظر قصة الأبيات فى المعاهد ١١١ حيث جاء أن محمد بن القاسم البقمى (القمى ؟) بعث إلى البحترى نبيذا مع غلام . . . فخدشه البحترى فانقطع خجلا مما جرى وقال : إنى هجرتك . . . حشمة (بدل « وحشة ») . . . الخ .

(٣) فى الأصول « فى » بدل « أى » .

(٤) د ١/٣٠ والعسكرى والنويرى والراغب ١/١٧٩

(٥) او م « أنوم » .

المتقدمين والمحدثين . ومن جيد ما قيل في هذا المعنى أيضاً قول مسلم ابن الوليد[(١)] :

١ ولِي صاحِبٌ ما زال يُصبح رِفدُه ويُمسِي بلا منٍّ عليَّ ولا كِبْرِ

٢ رأى أنَّ شكرى مستقلٌّ ببذله فربَّ بعودٍ لا بكيٍّ ولا نَزْرِ

٣ متى أشكر النعمى ومَهلٌ يَرُبُّها سيجزني لا من جُحودٍ ولا كُفرِ

وقد أخذ معنى أبي نواس والبحتري بعضُ الشعراء فقال :

١ إذا كنتَ قد قلّدتني لك منّةً وحمّلتَ نُعمى لا أُطيقُ بها نَهْضا

٢ فدَعني أُخفِّفْ ثقلَها بتشكّري لعلّ اضطلاعي بالتشكّر أن يقضا

٣ وما غِبتُ عن عينَيك مذ غبتُ عن قِلًى ولا كان إغبالى زيارتكم رَفْضَا

٤ بلى، جزتَ حدّ البرّ حتى نفضتَ عن كتاب اخْتشامي خاتما لم يكن نُفْضا

٥ فإن زدتني برًّا تزيّدتُ جفوةً فلا نلتقي ما أمطرتْ مزنةٌ أرضا

[وهذه الأبيات لفظ دعبل برمّته][(٢)] وأخذ هذا المعنى وأتى به وزاد فيه قليلا بقوله[(٣)] :

فإن يكُ أربَى عفو شكرى على ندى أُناسٍ لقد أربَى نداه على شكرى

زيادتُه في هذا المعنى والبيت أنّه ذكر أنّ شكره قد أربَى على ندَى أقوام ، وإنّ ندى هذا الممدوح قد أربَى على شكره ، وقد نظر البحترى أيضاً إلى هذا المعنى في مكان آخر فقال[(٤)] :

---

(١) لا توجد الأبيات في د .

(٢) بياض في ا .

(٣) ا « فقال » بدل « بقوله » — والبيت غير منسوب في الراغب ١/١٧٨ ويغلب على الظن أنه من الشعر الذى ورد لمسلم آنفا فإما أن يكون « قليلا » تحريفا لـ « مسلم » أو يكون اسم القائل قد سقط من هنا .

(٤) د والعسكرى ١/١٢٨ .

كلما قلتُ : أعتقَ المدحُ رِقِّي ، رجعتْني له أياديه عبـــدا

ولسعيد بن هاشم الخالديّ في هذا المعنى قوله :

١ ووالله ما عارضْتُ جودَك ساعةً بشعرى إلا كان أشعر من شعرى

٢ كأنّ عطاياك الجسيمة أقسَمَتْ بأني لا أنفكُّ مرتهنَ الشكرِ

وقد ذكر جماعة من الشعراء أنّ الشكر يوازى النعمة ، فإن زاد شكر على النعمة كان أفضلَ منها ، وإن كان مثلَها لم يكن لأحدهما فضل على الآخر ، ومن ذلك قول مسلم بن الوليد ، وهذه القطعة التى نذكرها من المعانى المخترعة الجياد ، وهى قوله(٢) :

١ سبقْتَ بمعروف فصلّى ثنائيا فلمّا تمادَى جَرْيُنا صِرتَ تاليا

٢ أبا حسَنٍ قد كنتَ قدَّمتَ نعمة وألحقْتَ شكراً ثم أمسكتَ عانيا

٣ فلا ضَيرَ لم يلحقك منّى ملامَةٌ أسأتَ بنا عَوداً وأحسنْتَ باديا

٤ فـلآنَ لا يغدو عليك مدائحى جوازى(٣) نُعمى قد نَضَتْ(٤) أورراجيا(٥)

٥ لعلّك يوما أن تُسىء بصاحب فتـــذكُرَ إحسانى به وبلائيا

(٢) د ق ٦١/١ و ٣ و ٤ و ٥ و ٧ — ولمسلم قطعة أخرى فى مثل هذا المعنى :

شكرتك للنعمى فلما رميتنى بصدّك تأديبا شكرتك فى الهجر

فعندى للتأديب شكر وللندى وإن شئت كان العفو أدنى إلى الشكر

إذا ما اتّقاك المستليم بعذره فعفوك خير من ملام على عذر

انظر د ص ٢٤١ نقلا عن غ .

(٣) ا « حوازى » ، د « حوازىَ » .

(٤) نضا : سبق وفى م « نصت » ، د « مضت » .

(٥) فى الأصول « وراجيا » والتصحيح عن د .

ما نعرف فى معنى هذه الأبيات مثلها إلاَّ أنَّ عبد الصمد بن المعذَّل حذا حذوها وتناول معانيها فقال :

١ برّزَ إحسانُك فى سبقه ثمّ تلاهُ شكرٌ لاحقُ
٢ حتى إذا امتدَّ المدَى بيننا جاء المصلِّى وهو السابقُ

هذا معنى مسلم بعينه ، ومعنى هذين الشعرين أنهما أرادا أنَّ هذا المعطى تقدَّمتْ عطيّتُهُ وثنى الشاعر بالشكر ، ثم إنَّ الشاعر تابع شكره وقطع المعطى عطيّته فصار للشكر نامِيًا زائدًا وصار المعطى المبْتَدِى متخلفًا تاليًا . ألاَ ترى إنَّ مسلمًا قال « فلما تمادَى جرينا صِرتَ تاليا » أى لما أقمتُ أنا على الشكر وقطعتَ أنتَ النعمة سبقتُ أنا وصلَّيتَ أنتَ ، وكذلك أيضًا قال ابن المعذّل « حتى إذا امتدَّ المدَى بيننا جاء المصلّى وهو السابقُ » والدليلُ على صحة قولنا إنَّ مسلمًا قال[1] :

فأقسمتُ لا أجزيك بالسوء مثلَه كفَى بالّذى جازيتَنا لك جازيا

هذا دليل واضح فمسلم وابن المعذّل جعلا الشكر ثمنًا للبرّ ، وإذا انقطع منهما البرّ قطعَا الشكر ، وممّن فضّل البرّ على الشكر الشاعر بقوله :

١ بأبى شكرى قليل وأياديك كثيرَهْ
٢ لم يقل فيك لسانى قطّ فاستوفى ضميرَهْ

وممّن فضّل الشكر على النعمة الأخطَلُ بقوله[2] :

١ أبنى أميةَ إن أخذتُ كثيرَكُمْ دون الأنام فما أخذتم أكثرُ
٢ أبنى أمية لِى مدائحُ فيكم تُنسَونَ إن طال الزمان وتُذكَرُ

---

(١) البيت الثانى من القصيدة ٦١ .
(٢) لا يوجد البيتان فى د .

ويروى أنّ ابنة زهير بن أبي سلمى حضرت موضعا فيه ابنة هرم بن سنان ، فقيل لها : هذه ابنة زهير ، فقالت لها : أخذ أبوكِ من أبي أموالا جمّةً ، فقالت لها ابنة زهير : أخذ [أبي مالا يفنَى وأعطَى](1) أباكِ ذكرا يبقَى وثناء يروَى ، فقطعتها ، والذى قيل فى الشكر أكثر من أن يحويه كتاب أو يدركه إحصاء. وإنما ذكرنا فى هذا الموضع منه ما رويناه وأثبتنا ما عرفناه وتجنّبنا الكثير المشهور والمستفيض المعروف .

شعر لبشامة بن عمرو بن هلال

وقال بشامة بن عمرو بن هلال ، وهو خال زهير(2) :

١ هجرتَ أُمامةَ هَجْرًا طويلا وأعقبك النّأىُ عِبْئًا ثقيلا
٢ وحُمّلتَ منها عَلَى بُعدها خَيَالًا(3) يُوافِي قليلًا قليلا
٣ ونظرةَ ذى شجَنٍ وامِقٍ إذا ما الركائبُ جاوزنَ مِيلا
٤ أتَتْنا تَسائِلُ عن بَثّنا فقلنا لها : قَد عَزَمْنا الرحيلا
٥ فبادرتَاها بِمُستَعجِل(4) من الدّمع ينضَحُ خدًّا أسِيلا
٦ وما كان أكثر ما نوّلَتْ من القَول(5) إلّا صِفاحًا وقيلا(6)

(1) زيادة فى م وفى ا « أخذ أبوك ذكرا . . . » ب « أخذ أبوك من أبى ذكرا . . . » وجاء فى غ ١٠/٢٠٤ – ٢٠٥ : عن الأصمعى قال قال عمر لبعض ولد هرم ، أنشدنى مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر إن كان ليحسن القول فيكم فقال ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء. فقال ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم ، . . . وعن عمر بن شبة قال عمر لابن زهير ما فعلت بالحلل التى كساها هرم أباك قال أبلاها الدهر قال لكن الحلل التى كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر ، وقد ذكر الهيثم بن عدى أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير » .

(2) المفضلية ١٠ بعضها فى حم ابن الشجرى ٢٠٥ – ٢٠٦ ومختاراته ١٤ – ١٦ والأبيات ٩ – ١٢ فى المرتضى ٢/١٨ ومجموعة المعانى ١٨٣ والبيتان ١١ و ١٢ فى الآمدى ٦٦ والعسكرى ٢/١٢١ وابن أبى عون ٧٠ .

(3) ب « خبالا » وثبت بالهامش « خيالا » .

(4) ب و م « مستعجل » والرواية المشهورة « فبادرتاها بمستعجل » .

(5) كذا والرواية « من الودّ » .

(6) ا « قبلا » .

٧ وقرَّبتُ للرَّحـل عبرانةً ... عُـذافِرةً مِتْرَبًا ذَمُولا
٨ مُداخِـلَةَ الخلق مضبورةً ... إذا أخذَ الخافقاتُ المقيـلا
٩ إذا أقبلَتْ(١) قلتَ مَذعورةٌ ... من الرُّبد تلحق هيقا ذَمُولا
١٠ وإنْ أدبرَتْ قلتَ مَشحونةً ... أطاعَ لها [الرّيحُ](٢) قِلْعا جَفُولا
١١ كأنَّ يديهـا إذا أرقلَتْ ... وقد جُرنَ ثم اهتدَينا(٣) السَّبيلا
١٢ يدَا عائمٍ خـرَّ في غمرةٍ ... فدارَكه(٤) الموتُ إلّا قليـلا
١٣ وخُبِّرتُ قومي - ولم ألقَهُم - ... أجدّوا على ذي شُوَيس(٥) حُلولا(٦)
١٤ وإمّا هلكتُ ولم آتِهِم ... فأبْلِغ أماثِلَ سَهمٍ رَسُولا
١٥ بأنْ قومُكم خُيِّروا خَصلتَيـنِ ... كلتاهما جعلوها عُـدُولا
١٦ فخِزيُ الحيـاة وخِزي المماتِ ... وكلًّا أراه طعامًا وبيـلا
١٨ فإلّا يكنْ غـيرُ إحداهُما ... فسيروا إلى الموتِ سَيرًا جميلا
١٨ ولا تَقعدوا وبكم مُنَّـةٌ(٧) ... كفَى بالحوادث للمرء غُولا
١٩ وحُشّوا الحروبَ إذا أوقدَتْ ... رِماحًا طوالا وخَيلا فُحُولا
٢٠ ومِن نَسـجِ داوُد موضونةً ... تَرَى للقواضيبِ فيها صليلَا

أما قوله في سير الناقة « كأنّ يديها إذا أرقلَت » البيت ، وقوله « يدا عائم » البيت فمعنى جيد نادر ، وقد أكثرت الشعراء في سرعة السير ونحن

معنى سرعة أيدي الإبل

(١) ربما روى « وإن أدبرت » هنا ، « إذا أقبلت » في البيت التالي كذا في غ ٣/١١٢ .
(٢) سقط من الأصول .
(٣) كذا في الأصول والرواية « اهتدين » .
(٤) ب « فأدركه » وهي الرواية .
(٥) في الأصول « سويس » وانظر البلدان (شويس) .
(٦) كذا في ا و م « جلولا » أي جلاء وفي ب « حلولا » كما هي الرواية .
(٧) في ب « سبة » وثبت بالهامش « منة » .

نذكر ممّا قالوا ههنا طرفا إن شاء الله ، فمن ذلك[١] قول الشاعر :

كأنّ يدَيها إذا أرقلَت وصام النهارُ يدَا ملتدم

ومن جيد ما قيل فى سرعة أيدى الإبل ما يروى لبعض شعراء الموصل :

كأنّما طى الطريق الأطول ما بين أيديها وبين الأرجُلِ
طىّ كتاب فى يدَى مستعجل

وقال روبة[٢] :

كأنّ أيديهنّ بالقاع القَرِق أيدى جوارٍ يتناهَبْنَ الورِق

وقال المثقّب العبدىّ[٣] :

١ كأنّما رجعَ يدَيهـا إلَى حَيزومِها فوقَ حصَى الجَدْجَدِ
٢ نوحُ ابنـة الجَون على هالِكٍ تندُبُه رافعـة المِجلدِ

وقال الآخر[٤] :

كأنّ يدَيها حين يقلق ظفرها[٥] يدَا نَصَفٍ غَيرَى تَعذَّرُ مِن جُرْمِ

ومثل هذا البيت قول الآخر :

كأنّ يدَيهـا إذا أرقَلَتْ يدا ذاتِ ضِغن تريغ[٦] السباما

(١) منه أيضاً قول الأحوص الأنصارى :

كأن أوب يديها بالفلاة إذا لاحت أماعزها والآل يضطرد
أوب يدى سابح فى الآل مجتهداً يهوى يقحمه ذو لجة زبد

منتهى الطلب ٢/١٠٥ .

(٢) د ص ١٧٩ وانظر المرتضى ٣/٢٢ والكامل ٤٤٠ والعسكرى ٢/١٢٣ وابن أبى عون ٦٨ .

(٣) البيت الثانى له فى اللسان (جون) .

(٤) المرتضى ٣/٢٠ .

(٥) كذا وفى المرتضى « ضفرها » .

(٦) تريغ : تطلب . وفى ب « تطيل » .

وقال جرير[١] :

كأنّ العرمس الوجناء منها عجول خرمت[٢] عنها صِدارا

ومن أجود ما قيل فى هذا المعنى قول ابن أحمر[٣] :

١ إذا بركَتْ خوّتْ[٤] على ثَفِناتِها مجافيةً صُلبا كقنطرة الجِسرِ

٢ [٥] كأنّ يديها حين جدّ نجاؤها طريدان والرِّجلانِ طالِبَتا وِترِ

ولا نعرف فى سرعة المشى أجود من هذين البيتين ، [وقال آخر][٦] :

١ كأنّ يديها يدَا ماتِحٍ مُدِلّ إلى يوم وِرْدٍ ورودا

٢ يخاف العقابَ وفى نفسه إذا هو أصدَرَ ألاّ يعُودا

وقال آخر[٧] :

١ كأنّ ذراعيها ذراعا بذية مفجّعة لاقتْ حلائلَ[٨] عن عُفْرِ

٢ سمِعنَ لها واستفرَغتْ[٩] فى حديثها فلا شىء يَفرى باليدين كما تَفرِى

---

(١)

(٢) م « حزمت » .

(٣) نسب البيتان فى مجموعة المعانى ١٨٣ إلى الأخطل (انظر د ص ٢١٣ وهما من غير عزو فى ابن أبى عون ٦٩ والبيت الثانى كذلك فى العسكرى ٢/١٢٢ .

(٤) ب « خرت » كما فى مجموعة المعانى وابن أبى عون و « خوت » (جافت بطنها عن الأرض) أنسب لذكر المجافاة فى المصراع الثانى .

(٥) زاد قبل البيت فى ا « قال آخر » م « وقول الآخر » وذلك خطأ من الناسخ فإن مكانه فى السطر التالى .

(٦) سقط من م بل الناسخ نقله إلى ما قبل البيت السابق .

(٧) المرتضى ٣/٢٠ والعسكرى ٢/١٢٥ .

(٨) ب « خلائل » بدله فى المرتضى « ضرائر » .

(٩) كذا فى ا والعسكرى وفى ب « استفزعت » م « استقرعت » ويمكن أن تكون « استفرعت » من استفرع القوم الحديث إذا ابتدروه انظر اللسان (فرع) .

ومثله(١) :

١ كأنَّ ذراعيها ذراعا مُـــدِلّةٍ(٢) … بعيد السِّبابِ(٣) حاولَتْ أن تعذرا

وقال آخر :

كأنَّ ذراعَيها وقد خبطت به … وجوهَ الدُّجى والبيد، كفَّا مُلاطِمِ

وقال آخر :

١ عفرناةٌ كأنَّ سدى(٤) يدَيها، … إذا شُنِقَت وأُوجعها القفارُ

٢ يدا نوّاحةٍ ثَكلت أباها … تشقّقَ عن ترائبها الصِّــدارُ

آخر :

كأنَّ أيديَهُنَّ في التَّوْماةِ … أيدى عذارَى بين مُعوِلاتِ

ومثل هذا البيت الأخير :

١ كأنَّ يدَيها حين جدَّ نجاؤها … يدا معولٍ خرقاء تنعد مأتمَا

٢ تُرَاني القَرين حولَها وهْيَ لُبُّها … رخِيّ ولا تبكى بشجو فتَيلما

يقول في هاتين القطعتين إنَّ هــذه الباكية غير حزينة ولـكنَّها ترائي من هيل(٥) ، وهو أشد لتحريك يدَيها لتُشكَرَ على ذلك وإن كان قلبهـا خليًّا من

---

(١) الشماخ د ٢٨ بعده :

معيدة الأعراق قال ابن ضرة … عليها كلاما جار فيه وأهجرا

انظر أيضا الحصرى ١/٢٢١ والمرتضى ٢/١٩ والعسكرى ٢/١٢٥ .

(٢) ا و م « مذلة » .

(٣) جاء في المرتضى « السباب أى المسابة وقوم يروونه « الشباب » أى أنها تصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرة .

(٤) كذا و « سدى » خلاف اللحمة وسدت الناقة تسدو خطوها سدوا لا غير « كأن سادى يديها » ؟

(٥) في الأصول « من » والصحيح ما .

توجع المصيبة ، وشبيه بهذا المعنى الذى تكلمنا عليه ، لا الأول ، قول بعض شعراء العرب يذكر النوائح ، وإنّ بكاءهنّ ولطمهنّ الصدور والخدود مُراءاةً لا لفجيعة ، وهو :

١ وهيّج وجــد الناعجات[1] عشيّةً نوائحُ أمثالُ النعــامِ النوافرِ
٢ بكى الشجو ما دون اللّهَى من حلوقها ولم يبكِ شجوًا ما وراء الحناجرِ

وما يعرف فى ذكر النوائح أحسن من هذا ولا أبدع إصابةَ معنى وجودةَ لفظ ، ومن المعنى الأول فى سرعة السير قول الشاعر :

قطعت قيمــانها بقلقلةٍ تلعب فى البيد بالحصى يدُها

وقال أبو نواس[2] :

كأنما رِجْلُهَا قفَا يدِها رِجْلُ وليــدٍ يلهو بدبُّوقِ

وقال آخر[3] :

خُوص نواجٍ — إذا صاح الحداةُ بها رأيتَ أرجُلَهــا قدَّامَ أيديها

وهذا البيت من الإغراق المتفاوت ، وهو من أحسن ما نعرف فى هذا الباب ، وقد ذكرنا من هذا المعنى شيئًا — و بقيت أشياء تأتى بعدُ إن شاء الله .

حاول الشعراء أن يأتوا بمثل قول النبى صلى الله عليه وسلّم فى البراق وهو يضع حافره منتهى بصره ، فما بلغوه .

---

(١) ب « الناعجات » وهو تحريف .

(٢) د ص ٩٠ والشعراء ٥٠٦ ومجالس ثعلب ٢٤ وجاء فى الموشح ٢٦٨ أن هذا كلام خسيس وعده ابن المعتز فى البديع ص ١٣٠ من التشبيه الحسن .

(٣) هو عمرو بن نصر القصافى التميمى . قال دعبل : قال القصافى الشعر ستين سنة فلم يعرف له بيت إلا قوله : خوص نواج ... الخ انظر المرزبانى ٢٢٠ ومجموعة المعانى ١٨٣ والعسكرى ٢/١٢٢ والطبقات لابن المعتز ١٤٤ وابن أبى عون ٧٠ . راجع أيضا ذيل اللآلى ٣٥ .

قطعة للشنفرى

قال الشنفرى من قصيدة[1] :

١ لعمرك ما بالأرض[2] ضيقٌ على امرئٍ ... سرى راغباً أو راهباً وهْوَ يعقِلُ

٢ إذا مُدَّتِ الأيدى إلى الزادِ لم أكن ... بأعجَلِهم إذ أجشعُ القومِ أعجَلُ

٣ وما ذاك إلاّ بسطةٌ من تطوّلٍ ... عليهم وكان الأفضلَ المتطوِّلُ

٤ وأستفُّ تُربَ الأرض كى لا يَرَى له ... عَلَيَّ من الفَضْلِ امرؤٌ متفضِّلُ

٥ ولولا اتقاء الذلّ[3] لم يلف مَشربٌ ... يُعاشُ به إلاّ لَدَىَّ ومأكَلُ

٦ ولكنّ نفساً حرّةً لا تُقيمُ بى ... على الخَسْفِ إلاّ رَيْثَما أتحوّلُ

٧ وفى الأرضِ مَنأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن رامَ القِلَى متعزّلُ

وهذه القصيدة كثيرة المحاسن [وقد قدّمنا ذكر شىء منها فى صدر كتابنا هذا ، ونحن نذكر منها بعد هذا الاختيار أشياء أُخر فى مواضعها][4] .

معنى التحول دار الهوا

أما قوله : « ولكن نفساً حرّة ... » البيت ، « وفى الأرض منأى ... » البيت ، فهو معنى قد أكثرت الشعراء فيه ، ونحن نذكر منه شيئاً ، والأصل فى هذا امرؤ القيس بقوله[5] :

وإذا أُذِيتُ ببلدة ودّعتها ... إذ لا أُقيمُ بغير دار مُقامِ

فأخذه لبيد فقال[6] :

أو لم تكن تدرى نوار بأنّنى ... وَصّالُ عقد حبائلٍ جذّامُها

(١) ستأتى ص ١٤٦ — ١٤٨ ويلاحظ أن رواية الأبيات المختارة هنا تختلف عما هناك .

(٢) فى الأصول « بالموت » وصححت بهامش ب .

(٣) بهامش ب « الذّام » .

(٤) سقط من ب ويمكن أنه أبعد نظرا إلى أن صدر الكتاب خال من ذكر شىء من القصيدة .

(٥) العقد الثمين ص ١٠٨ واللسان (أذى) .

(٦) من المعلقة .

٢ نزّال أمكنة إذا لم أرضها … أو يعتلق بعض النفوس حمامها

وقال جرير[1] :

وإني لعف الفقر[2] مشترك الغنى … سريع إذا لم أرض داري احتماليا

وقال أوس بن حجر[3] :

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها … وأحر إذا حالت بأن أتحولا

وقال[4] :

احذر محل السوء لا تحللن به … وإذا نبا بك منزل فتحول

ويروى : أن هبنّقة القيسي ، الذي يحمّق ، سمع منشداً ينشد هذا البيت ، فقال : أخطأ القائل ، قيل له : ولِمَ ؟ قال : لأنّ أهلَ السجون قد نبا بهم منزلهم ولا يقدرون على التحوّل ، ولكنّ الصوابَ أن يقول[5] :

إذا كنت في دار يهينك أهلها … ولم تكُ مكبولا بها فتحوّل

وقد أتى الراعي بهذا المعنى فقال[6] :

لا خير في طول الإقامة للفتى … إلا إذا ما لم يجد متحوّلا

وقال آخر :

أقيم بالدار ما اطمأنّت بي الدّا … رُ وإن كنتُ نازعاً طربا

(١) البيت لجرير في النقائض ١٧٧ و د ٢/١٦٧ و غ ٨/٣٦ والعمدة ١/٣٩ ومجموع المعاني ٨٧ وهو ضمن كلمة لسيار بن هبيرة في ذيل الأمالي ٧٣ .

(٢) ب « النفس » وثبت بالهامش « أصل : الفقر » .

(٣) د ق ٣١/٥ والعيون ١/٣٤ .

(٤) البيت لعنترة انظر العقد الثمين ص ١٨١ ونسب مع آخر إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي في مجموعة المعاني ١٣٠ .

(٥) البيت مع آخر هبنقة في المرزباني ٤٩٥ وهو غير منسوب في الصناعتين ٣٠٩ .

(٦) له في نقد الشعر ٥٠ والصناعتين ٣٠٩ .

وأىُّ أرض نبت بى الدَّارُ عَجّلْتُ إلى غير أهلها المربا

قال آخر[1] :

ودار هوان أنفتُ المقام بها فَحللتُ محلا كريما

وقال مسكين الدارمى[2] :

أقيمُ بدار الحىّ[3] ما لم أُهَنْ بها وإنْ خِفتُ من دارِ هواناً تركتُها

آخر :

وكنتُ إذا دارٌ نَبَتْ بى تركتها لغيرى ولم أقعُدْ على شرِّ مقعَدِ

آخر[4] :

١ فإن تُنصِفونا يالَ مروانَ نقترِبْ إليكم وإلاَّ فأْذَنُوا بِبِعادِ

٢ فإنّ لنا عنكم مراحاً[5] ومرحلا بعيس إلى ريح الفلاةِ صوادِى

٣ وفى الأرض عن دار القلى متحوّلٌ[6] وكلّ بلاد أوطِنَتْ[7] كبلادِى

---

(١) لربيعة بن مقروم الضبى ، المفضلية ٣٩/٤٠ .

(٢) من كلمة له فى المرتضى ٢/١١٩ .

(٣) فى المرتضى « الحزم » بدل « الحى » .

(٤) من كلمة لمالك بن الريب يهجو الحجاج فى العيون ١/٢٣٦ والكامل ٢٩٠ والشعراء ٣٠٦ وخ ٣/١٧٦ ونسبت إلى البرج بن خنزير التميمى فى البلدان لياقوت (حفير) قالها لما هرب من الحجاج إلى الشام وكان قد ألزمه البعث إلى المهلب لقتال الأزارقة . وهى للفرزدق فى الحماسة ٣٢٩ – ٣٣٠ وقد ثبتت فى ديوانه (خمسة دواوين ص ١١) كما أن البيت الأخير نسب إليه فى مجموعة المعانى ١٣٠ والأبشيهى ٢/٤٧ .

(٥) م « مزاحا » وروى أيضا « مزحلا » .

(٦) لمعن بن أوس – د ص ٣٧ – :

وفى الناس إن رثت حبالك واصل وفى الأرض عن دار القلى متحوّل

(٧) كذا فى الأصول والرواية « أوطنت » .

وقال عبد الله بن الحسن[١] :

١ فإن بنتِ عنى أو تُرد لى إهانةً ... أجِدْ منكِ فى الأرض العريضة مذهبا
٢ فلا تحسبنّ الأرض باباً سددْتِه ... علَىّ ولا المصرَين أُمّا ولا أبا

آخر :

لا خيرَ فى بلد يُضــــام نزيلُه ... وعن الهوان مذاهب ومنادِحُ

آخر :

فإن بلدة أعيــــا علَىّ طلابُها ... صرفتُ لأخرى رحلتى وركابى

آخر[٢] :

١ فإذا الديار تنكَّرتْ عن أهلها ... فدعِ الديارَ وأسرعِ التحويلا
٢ ليس المقامُ عليك حتماً واجباً ... فى منزل يدَعُ العـــزيزَ ذليلا

وقال أبو تمّام الطائى[٣] :

فإن صريح الرأى والحزم لامرئٍ ... إذا بلغتْهُ الشمسُ أن يتحوّلا

وقال سعيد بن هاشم الخالدى :

غَيرى أقامَ بدار مَضْيَعَةٍ[٤] ... ولسانُه عَضْبٌ ومُنصَــلُهُ

وقال آخر :

١ إذا ما الرّقتـــانِ تجافَيانى ... فما الدنيـــا علَىّ الرقّتانِ
٢ سيُنصفنى صديق من صديقٍ ... ويحملنى مكانٌ عن مكانِ

---

(١) كذا والظاهر أنه تحريف لـ « عبيد الله بن الحرّ » الجعفى كما فى مجموعة المعانى ١٣٠ وورد فى الأبشيهى ٢/٤٨ « عبد الله الجعفى » .
(٢) هما فى البيهق ٢٣١ ورسالة عبد الواسع ١٧١ والأبشيهى ٢/٤٨ .
(٣) د ٢٦٠ .
(٤) أ « مضيقة » .

آخر :

وقد عجَنَتْ[1] منّى الخطوبُ ابنَ حُرَّةٍ ... متى ما مَرَتْه[1] منزلَ السوء يرحلِ

هذا الباب متّسع ، وقد ذكرنا منه ها هنا قطعة صالحة إلى أن نحتاج إلى ذكر شىء منه بعد هذا الموضع فنذكره .

قال العوّام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سُلمى[2] :

١ وخُبِّرتُ ليلى بالعراقِ مريضةً ... فأقبلْتُ من مِصرٍ إليها أعودُها

هذا البيت تناحَرَ[3] الشعراء فيه ،

٢ فواللهِ ما أدرى إذا أنا جِئتُها ... أأبرِئُها من دائِها أم[4] أزيدُها

---

(١) كذا فى ا « عجنت » م « عجبت » وفى ب « عجمت » وفى الأصول « يرته » و « تريه » بدل « مرته » – ويظهر بالتأمل أن الشاعر إنما يشبّه نفسه بالعجين الذى لا يستقر فى الموضع الذى ينمزه فيه العاجن بجُمع كفه فلذلك قلنا « مرَتْه »

(٢) القائل هو العوّام ، انظر المرزبانى ٣٠١ واللآلئ ٣٧٣ ، لا أبو العوّام كما ورد فى البصرية ١٨٤ والعينى ٤/٤٥٧ ولعل منشأ هذا الوهم أن عقبة والعوام كليهما علقا بامرأة واحدة على التوالى انظر شرح الحماسة ٦٢٠) وقد خلط القالى ١/٤٣ وغيره بين أبيات من شعر ابن الدمينة وأبيات من شعر الحسين بن مطير وأبيات مجهولة كما نبّه على ذلك البكرى فى اللآلئ ١٧٨ – ١٧٩ والتنبيه ٣١ وقد روى بعض الأبيات لكثّير أيضا كما به عليه صاحب البصرية ، ولعل فى إشارة الخالديَّين إلى « تناحر الشعراء » دليلا على أن الأبيات التالية ليست للعوام وحده ، ومما لا شك فيه أن الأبيات ١ – ٤ و ١٦ للعوام [الحماسة ٦٢٠ واللآلئ ٣٧٤ والمرزبانى ٣٠١ وشذ ورود الأوّلين فى د المجنون ٢٧] والأبيات ٧ – ١٠ و ١٧ و ١٨ للحسين بن مطير [الحماسة ٥٤٣ و ٥٩٧ والقالى ١/١٦٥ – انظر اللآلئ ٥٣٥ – والطبقات لابن المعتز ص ٤٨ والمرتضى ٢/٣٠ والحصرى ٤/١١٧ والزجاجى ١٢٤ ومجموعة المعانى ١٤٥] والبيتان ١١ و ١٢ لكثّير [غ ٧/٨٦ – ٨٧ و ٩/٣١ والكامل ٣٨٥ والعقد ٤/١٢١ و د كثير ١/٧١] أما الأبيات ٥ و ١٣ و ١٤ فقد ثبتت فى د ابن الدمينة ٤٣ والبيت ٦ مضافا إلى البيتين ١٣ و ١٤ له عند الخالديين أيضا فيما بعد ص ١٧٦ وانظر تخريجها هناك

(٣) ا « سادر » ب « شاظر »

(٤) م « أو »

٣ أَلَا لَيتَ شعرى هل تغيَّرَ بعدَنا ملاحةُ عَيْنَى أمِّ يحيَى وجِيدُها
٤ وهل أخلقَتْ أثوابُهَا بعد جدَّة ألَا حبَّـذا خُلقَانُهَا وجديدُها
٥ خليلَىَّ قوماً بالعمامةِ واعصــبا على كَبِدٍ لم يبق إلاَّ عميدُها[(١)]
٦ ولن يلبث الواشون أن يَصدعوا العصَا إذا لم يكن صلباً على البَرْىِ[(٢)] عودُها
٧ لقد كنتُ جَلْداً قبل أن تُوقِدَ النوى على كبدى ناراً بطيئاً خُمودُها
٨ ولو تُرِكَتْ نارُ الهوى لتضرَّمَتْ[(٣)] ولـكنَّ شوقاً كلَّ يوم يزيدُها
٩ وقد كنت أرجو أن تموتَ صَبابتى إذا قدُمَتْ آياتُها[(٤)] وعُهودُها
١٠ فقد جعلَتْ فى حبَّةِ القلب والحشَا عِهادُ الهوَى تُولى بِشوق يزيدُها
١١ وكنتُ إذا ما جئتُ ليلَى أزورُها أرى الأرضَ تُطوَى لى ويدنُو بعيدُها
١٢ من الخفرات البيض ودّ جليسُها ، إذا ما قضَتْ أُحدوثة ، لو تعيدها
١٣ خليـلَىَّ إنِّى اليوم شاكٍ إليكما وهل تنفع الشَّـكوى إلى من يزيدُها
١٤ حَزازات شَوق فى الفؤاد وعَبرةً أظلُّ بأطراف البنان أذودُهَا
١٥ وتحت مجال الدمع حر[(٥)] بلابل من الشوق لا يُدعَى لخطبٍ وليدُها[(٦)]
١٦ نظرتُ إليها نظرةً ما يسرُّنى بها حُمرُ أنعام البِلاد وسُودُها
١٧ إذا جئتُها وسطَ النساء منَحتُها صدوداً كأنَّ النفس ليس[(٧)] تريدُها

(١) روى للمجنون – د ٣٩ –
خليل قوما بالعصابة فاعصبا على كبد لم يبق إلا رميمها
(٢) ب « الرأى » .
(٣) ب « لتصرمت » وهما روايتان ومذهبان للشعراء . انظر اللآلى ٣٥ :
(٤) الرواية « أيامُها »
(٥) ا « حر » .
(٦) يقال : هذا أمر لا ينادى وليده . يضرب فى الخير والشر
(٧) كذا والرواية « ليست » وفى المصرية « كأن القلب ليس يريدها »

١٨ ولى نظرةٌ بعدَ الصدود من الجوى كنظرة ثكلَى قد أُصيبَ وحيدُها

١٩ رفعتُ[1] عن الدنيا المُنى غيرِ وجهِها فلا أسألُ الدنيا ولا أستزيدُها

معنى زيادة الهوى مع تطاول الأيام

هذه الأبيات من جيد غزل الأعراب ونادره ، وفيها أشياء لها نظائر نحن نذكر بعضها ، فمن ذلك قوله : « وقد كنت أرجو أن تموت صبابتى » البيت وقوله « فقد جعلت فى حبة القلب والحشا » البيت ، وهذا المعنى جيد ، يقول : كنت أرجو أن تموت صبابتى إذا تطاولت الأيام ، فلما اشتدت وتطاولت زادت صبابتى ، وشبيه بهذا قول الشاعر وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[2] :

١ وعلقتُ ليلى وهى ذات ذؤابة تَرُدُّ علينا بالعشىّ المراميـا

(١) م « دفعت » .

(٢) سهو من الخالديين فإن البيتين ليسا له بل هما لبعض الأعراب إنما ضمنهما أحمد ابن سليمان بن وهب كتابا كتبه إلى أبى أحمد عبيد الله بن [عبد الله بن] طاهر ، كذا فى الموشح ٣٥٣ وجاء فيه أيضا أن أبا أحمد أجابه جوابا يقول فيه : أما البيتان اللذان ذكرتهما وحثثت بهما على الوفاء فقد استحسنتهما واحتجت إلى الاستثبات فى قوله « ترد علينا بالعشى المراميا » وأى شىء أراد بالمرامى ؟ فإن الذى يعرف أن المرامى جمع مرمى والمرمى المقذف وهو مصدر رمى رميا كما ترى ، فإن كان أراد بالمرامى النبل فهو موجود فى كلام العرب وله شاهد . وكان قوله « شب بنو ليلى وشب بنو ابنها » يقتضى أن يكون قال شب بنو ابنها منه أو من غيره ؟ فإنه لم يتقدم ذكر الملكة إياها وإنها أم ولده وإن كانوا يتكلمون على علم المخاطب ويروى أن البلاغة مقتدرة ، وكأن من سمع البيتين مع استحساننا جميعا إياهما وقف على قوله « بقايا حب ليلى » وأراد منه أن لا يكون ذكر البقايا وأن يكون احتال حتى جعل مكانها أول الافتتاح وإن كان لم يكذب فى هذا خاصة فرّق بى عند هذا ما لم يتبين لى فيه مطعن وهو قول بعضهم :

وعهدى بنعم أول العهد إنّها كعاب فزادتنى صبا وتصابيا
فقد شاب منها نسلنا وتناسلوا وعادت بقايا حبّ نعم بواديا

انتهى قول أبى أحمد والبيتان من غير عزو فى الراغب ٢/٢٢ وقد ورد للمجنون – د ٨ – :

وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد ترد علينا بالعشى المواشيا
فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها وحرقة ليلى فى الفؤاد كما هيا

٢ فشاب بنو ليلى وشاب بنو ابنها[١] وهذى بقايا حبّ ليلى كما هيا

وقال آخر مثله :

فشاب بنو ليلى لِصُلْبى[٢] وأدركوا، وشاب بنوهم[٣] وهى مالكة قلبى

فأما قوله : « وكنت إذا ما جئت ليلى أزورها » البيت فقد أخذه أبو نواس فقال[٤] :

استقرار الحبيب

قالت: لقد أبْعَدَ[٥] المسرى، فقلتُ لها : من عالج الشـوقَ لم يستبعد الدّارا

ومثله قول الآخر[٦] :

وإذا أتيتك زائرا متشوقا قصر الطريقُ وطال عند رجوعى

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلى : قلتُ لزهراء الأعرابية : كم بيننا وبين منزلك ؟ فقالت[٧] :

أما على كسلانَ وانٍ فنازحٌ وأما على ذى حاجة فقريبُ

معنى بث النساء

وأما قوله « من الخفرات البيض » البيت فأحسنُ ما قيل فى معناه ، وقد

(١) فى الموشح « شبّ » بدل « شاب » فى الموضعين واستحسن « فشاب بنو ليلى وشب بنو ابنها » .

(٢) قوله « لصلبى » يدفع اعتراض أبى أحمد على القول السابق .

(٣) ب و م « بنوها » .

(٤) د ٢٨٣ وقال العباس بن الأحنف :

مقرب الدار شوقا وهى نازحة من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

انظر د ٧٣ والوساطة ٢٣٨ والراغب ٢/١٥ .

(٥) صحت فى ب « بعد » من المجرد كما فى د .

(٦) مثله للعباس بن الأحنف :

ارى الطريق قريبا حين أسلكه إلى الحبيب بعيدا حين أنصرف

انظر النويرى ٣/٨٤ .

(٧) البيت لأعرابى فى الوساطة ٢٣٨ .

تركنا نظائر كثيرة له [فى صدر هذا الكتاب][1] ونحن نذكر ههنا شيئاً مما لم نذكره هناك ، فمن ذلك قول الشاعر[2] : [صفت النظائر ص ٣١-٣٢]

كأنما عسل رجعان منطقها لو أن رجع كلام[3] يشبه العسلا

آخر[4] :

١ وإنا ليجرى بيننا حين نلتقى حديث له وشى كوشى المطارف

٢ حديث كوقع القطر فى المحل يشتفى به [من][5] جوى فى داخل القلب شاغف

بشار[6] :

١ ولها مضحك كغر[7] الأقاحى وحديث كالوشى وشى البرود

٢ نزلت فى السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد

ذو الرمة[8] :

١ ونلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى النخل ممزوجاً بماء الوقائع

آخر[9] :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رقيق الحواشى لا هراء ولا نزر

---

(١) بدله فى ا « وذكرنا فى صدر الكتاب شيئا منها » .

(٢) الحكم بن ريحان من بنى عمرو بن كلاب فى البيان ١/٢٧٩ ومن غير عزو فى العقد ٤/٢٩ .

(٣) هذه هى الرواية وفى ا يمكن أن تقرأ الكلمة « ملام » وهو عندى معنى لطيف جدا .

(٤) نسبا إلى ابن أبى ربيعة فى ابن أبى عون ١١٠ وهما من غير عزو فى مجموعة المعانى ١٧٩ وزاد فى البصرية ١٤٦ « وتروى لذى الرمة » ونسب البيت الأول إلى بشار فى العقد ٤/٢٩ . (٥) سقط من ا و م وبدله فى ب « ذو » .

(٦) هما مع ثالث له فى المرتضى ١/٩٨ .

(٧) كذا فى المرتضى وفى الأصول « كثغر » وقد مضى ص ٣٢ « كنور » .

(٨) د ٣٥٨ وانظر المرتضى ١/٨٧ والعيون ٤/٨٣ وابن أبى عون ١١٠ .

(٩) هذا البيت أيضا لذى الرمة انظر د ٢١٢ واللآلى ٢٥٥ و ٤٠٨ والمرتضى ١/١٠ و ٢/١٥٩ .

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[١] :

وحديثٍ بمثله تنزلُ العُصْمُ رخيمٍ يشوبُ ذلك حِلْمُ

النابغة[٢] :

١ لو أنها عرضَتْ لأشمطَ راهبٍ عبدِ الإلهَ صرورة مُتَعبِّدِ
٢ لَرنَا لبهجَتها وحُسن حديثِها ولَخالَهُ رُشْداً وإن لم يَرْشُدِ

كُثيِّر عَزَّة[٣] :

١ وأدنَيتِني حتى إذا ما استَبَيتِني[٤] بقولٍ يُحِلّ العُصمَ سَهلَ الأباطحِ
٢ تباعدتِ عنّي حينَ لا لِيَ مَلْجَأً[٥] وخلّيت ما خلّيت بينَ الجوانحِ

آخر[٦] :

١ ظللنا بيوم عند أمّ محلّم نشاوى ولم نشرب طلاءً ولا خمرا
٢ إذا صمتت عنا أذِنّا[٧] بصَمتها وإن نطقت هاجَت لألبابنا سُكرا[٨]

---

(١) د ق ٤/٩٧ .
(٢) العقد الثمين ص ١١ والحصرى ١٦/١ وجاء في الشعراء ٧٣ - ٧٤ والوساطة ١٥٢ أن ربيعة بن مقروم أخذ قول النابغة برمته ما عدا القافية « متبتل » بدل « متعبد » .
(٣) أنشد القالى ٢٢٨/٢ الشعر الكثير (د ١٠٨/١) وهو له في الحماسة ٥٧٢ والمرزبانى ٢٥٠ والمختار من بشار ٣٤ وخاص الخاص ٨٤ والعمدة ٩٤/٢ والراغب ٣٣/٢ وقال البكرى « هذا الشعر لمجنون بنى عامر لا لكثير ، ولا أعلم أحدا رواه ولا وقع له في ديوانه » ت القالى ١١٨ أنظر أيضا اللآلئ ٥٨٥ ، الشعر للمجنون في د ٦٧ وغ ٩٠/٢ والحصرى ٢٤٩/٢ والشعراء ٣٦٣ والعيون ٧٨/٣ و ١٢٩/٤ والعقد ٤/٤ .
(٤) ا « سبيتنى » .
(٥) ا « حيث لا لى حيلة » وثبت بالهامش « حين لا لى ملجأ » .
(٦) لسلم [« سالم » خطأ] الخاسر في الأبشيهى ٢٣/٢ :
ظللنا وبتنا عند أم محمد بيوم ولم نشرب ... البيت والذى بعده
(٧) كذا في الأصول « أذنا » ويمكن « أذينا » فإن في الأبشيهى « هجرنا » .
(٨) ا « ذكرا » بدل « سكرا » .

آخر[١] :

١ وترى لها دَلّا إذا نَطَقَتْ تَرَكَتْ بناتِ[٢] فؤاده صُعُرَا

٢ كتساقُطِ الرُّطَبِ الجَنِيّ من الـ أفناءِ لا نَثْرا[٣] ولا نَزرا

ولأعرابي .

١ يا رُبَّ عيشٍ بالشباكِ رَغْدِ من تَمْرِ بَرْنيّ وزُبْدٍ جَعْدِ

٢ وفتيات صادقاتِ الوعد حديثُهُنَّ مثل طعم الشُّهْدِ

أبو حيَّة النميرى[٤] :

١ حديث[٥] إذا لم تخش عَينا[٦] كأنَّهُ إذا ساقطَتْهُ ، الشهدُ بل هو أطيَبُ

٢ لَو انك تَستَشْفِي به بعدَ سَكرَةٍ من الموتِ كادتْ سكرةُ الموتِ تَذهبُ

وقال الأخطَل[٧] :

وقد تكونُ بها سلمى تحدِّثنى تساقُطَ الحَلْي حاجاتى وأسرارى

جرانُ العَود[٨] :

حديثا لو انّ اللحم يُولَى ببعضِهِ غَريضاً أتى أصحابَهُ وهو منضجُ

أبو حية النميرى[٩] :

---

(١) هو أبو دهبل الجمحى كذا فى ع ٧/١١٩ ومجالس ثعلب ٢ /٤٧٦ وابن أبى عون ١٠٩ واللسان (صعر) وفى المرتضى ٢/١٥٩ « أبو هذيل ؟ » .

(٢) ا و م « بنات » ب « بيات » (٣) فى غ « بثرا » وهو الكثير

(٤) هما له فى الحصرى ١/١٥ والمختار من بشار ٣٩ ومعهما أبيات أخرى فى المرتضى ٢/١٠٤ (٥) فى المختار من بشار والمرتضى « حديثا » .

(٦) كذا فى ب وفى ا « عينا » كـ فى المرتضى

(٧) د ٢ ١١٢ والعيون ٤ ٨٢ ومجموعة المعانى ١١٩ وابن أبى عون ١٠٩

(٨) مغنى ص ٣٣

(٩) من كلمة له فى المرتضى ٢ ٩٨ والحصرى ١ ١٥ وفى العسكرى ١/٢٣١ « الحصرى ؟ » (فى الصناعتين ١٥٦ لأبى حية) وبعده :

رمين فأنفذن القلوب ولا ترى دما مائرا إلا جوى فى الحيازم

إذا هنَّ ساقَطْنَ الحديثَ كأنَّه سقاط حَصَى المرجان من كفِّ ناظِمِ

وشبيه بقول الأعرابى[1] :

نظرتُ إليها نظرةً ما يسرُّنى ، وإن كنت مسكينا ، بها ألف درهمِ

وهذا الأعرابىّ على ضعفه ومسكنته كانت نظرته إلى من يحبّ أكثر عنده من ألف درهمٍ .

وقال كعب بن زهير[2] :

١ لأىّ زمانٍ يخبأ المرء نفعَهُ غداً فغدًا والدهرُ غادٍ ورائحُ

٢ إذا المرء لم ينفعْكَ حيًّا فنفعُهُ قليلٌ إذا رُصَّتْ[3] عليه الصفائحُ

الأصل فى هذا المعنى قول الحطيئة[4] :

لا أعرِفَنَّك بعد الموتِ تَنْدُبنى وفى حياتى ما زوَّدتنى زادِى

ومن أمثالهم [فى هذا قولهم][5] : لأىٍّ يوم يخبأ المرء السعة[6] ، ومثل هذا قول الشاعر :

إنّي أُريدك للدنيا وزينتِها ولا أُريدك يوم الدين للدَّينِ

(١) البيت مع آخر فى البيان ٤/٦٢ .

(٢) نسبا إلى حسان بن الغدير فى اللآلى ٨٠٤ والآمدى ١٦٤ والمرجح أنهما لابن هرمة كما فى مجموعة المعانى ٣٤ والأنيس والجليس المجلس الحادى عشر (بإضافة ثالث) ومراجع اخرى ذكرها الميمنى .

(٣) ا « رضت »

(٤) لم يثبت البيت فى د الحطيئة وروى لعبيد بن الأبرص

لأعرفنك بعد اليوم تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى

انظر د ٧٠ والشعراء ١٤٥ وفى مختارات ابن الشجرى ٢/٤٧ لعبيد « لا أعرفنك » كذلك فى مجموعة المعانى ٦٤ والميدانى ٢/١٦٨ من غير عزو وفى حديث طلحة أنه قال لما مات خالد بن الوليد استرجع عمر رض فقلت يا أمير المؤمنين ألا أراك بعيد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى ، فقال عمر : لا تؤنبنى ، انظر النهاية لابن الأثير والبلدان (أنب)

(٥) سقط من ا .

(٦) انظر الرافعى ١ , ٢٩

آخر[1] :

كلانا غنيّ عن أخيه حياتَهُ   ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانيا

آخر :

إذا فاتنى نفعه فى الحياةِ   فلستُ أؤمِّله فى المعادِ

آخر[2] :

إذا فاتَ فى الدنيا الّذى بك أرتجى   فنفعكَ عنّى فى المعاد قليلُ

آخر :

وإذا لم يُرجَ للدنيا فتًى   فبعيد أن يرجَّى للمعادِ

آخر :

إذا كانَ فى الدنيا رجاؤك شاسِعًا   ففى الحشر يغدو وهوَ أنأى وأشسعُ

أعرابى[3] :

١ ولستُ كمن لم يركب الهولَ بغيةً[4]   وليس لرَحْلٍ حطَّهُ اللهُ حامِلُ

٢ إذا أنتَ لم تُعرِضْ عن الجهلِ والخنا   أصبْتَ حليمًا أو أصابكَ جاهِلُ

وقال ابن مقبل[5] :

معنى مشى النساء والرجال

١ يهززنَ للمشى أعطافا منعَّمةً   هزَّ الرِّياح ضُحَى أغصانَ يَبْرِينا

---

(١) أورده القالى – الذيل ٧٣ – ضمن قصيدة لسيار بن هبيرة ونسب أيضا إلى عبد الله ابن معاوية الجعفرى والأبيرد بن المعذر الرياحى والمغيرة بن حبناء انظر ذيل اللآلى ٣٧ وزد عليه أن البيت ثبت فى د الأعشى ص ٢٦١ وروى لأبى الحجناء نقيب الأصغر فى الطبقات لابن المعتز ص ٦٨ وهو غير منسوب فى المرتضى ١/٢٤ .   (٢) الراغب ١/٢٩١ .

(٣) البيتان لزهير ويقال إنهما لولده كعب كذا فى الشعراء ٦٥ ونسبا إلى كعب فى العيون ١/٢٣١ وهما ثابتان فى د زهير ٣٠٠ .

(٤) كذا فى الأصول والرواية المشهورة « وليس لمن لم يركب الهول بغية » .

(٥) فى م « آخر » بدل « ابن مقبل » وهو تميم بن أبى بن مقبل والبيتان من قصيدته فى الجمهرة ١٦٠ – ١٦٣ مع أن الأول سقط منها هناك وهو موجود فى القالى ١/٢٢٩ والشعراء ٢٧٨ وابن أبى عون ١١٠ واللسان (ذرق) والنويرى ٢/١٠٧ .

٢ يمشين مثل[1] النَّقَا مالت جوانبُه يَنهالُ[2] حينا وينهاه الثَّرى[3] حِينا

[مفت النظائر ص ٣٠ – ٣١ و ٦٠]

هـذا من جيِّد ما قيل فى المَشْيِ وقد ذكرنا قطعة من هذا النوع فيما تقدَّم ، ونحن نذكر ههنا أشياء أخر لم نذكرها قبل هذا الوقت ، بل نذكر أموراً شتى من من أمور مشى النساء والرجال على ضروب مختلفة مثل مشى السكران وغيره ، إذ كان قصدنا أن نُعدِّد فى هـذا الكتاب قطعة فى كل نوع من أنواع الشعر . فمن أحسن ما نعرف ، وهو أحق بالتقديم لجودة ألفاظه وزنة معانيه وإحكام بنيته ، أبياتٌ لمسلم بن الوليد يذكر فيها مشى امرأة ، ولا نعرف فى هذا المعنى أحسن من هذه الأبيات ، وهى[4] :

١ مريضةُ أثناء التَّهادِى كأنمـــا تخافُ على أحشائِها أنْ تقطَّعا

٢ تَسِيبُ انسِيابَ الأَيْمِ أخصَرَهُ النَّدَى فرَفَّعَ[5] من أعطافِه ما تَرَفَّعا

٣ تأمَّلتُهـــا مغتَرَّةً[6] وكأنَّما رأيتُ بها من سُنَّةِ البَدْرِ مَطْلَعا

٤ إذا ما ملأتَ العينَ منها ملأتَها من الدَّمْعِ حتى تَنزِفَ الدمعَ أجمعا

لولا أنَّا شرطنا ألا نقدِّم فى هـذا الكتاب إلا أشعار المتقدمين ثم نأتى بعد ذلك بالنظائر المحدثين والمتقدمين ، لكان سبيلنا أن نجعل هـذه الأبيات الإمام فى هذا المعنى لجودة ألفاظها وصحة معانيها وأنها واسطة القلادة فى هذا المعني

(١) كذا فى ا و ب كما فى الجمهرة ، وفى م « ميل » والرواية « هيل » .

(٢) ب و م « ينهال » .

(٣) كذا فى ب وهى الرواية المشهورة (انظر أيضا العمدة ٢/٢٠٧) وفى م « المرى » ا « المدى » ويمكن أن تكون « الندى » كما فى البصرية ٧ : ١٤ وبعدها :

من رمل يبرين أو من رمل أسنمة جعدى الثرى بات فى الأمطار مدجونا

(٤) لا توجد الأبيات فى د مسلم وقد ورد الأولان والأخيران قطعتين متفرقتين غير منسوبتين فى الحماسة ٤٦٥ و ٣٦٥ والأولان فى الراغب ٢ / ١٣٩ لسعدى والأربعة نفس رواية النص فى البصرية ٢ : ١٩٥ .

(٥) ا « فيرفع » .

(٦) رواية الحماسة « مغترة » أى على غرة منها وفى البصرية « مقترة » وصححت « مغبرة » .

والمعانى فى صفة المشى كثيرة التصرّف ، فمن الشعراء من شبه المشى بتحريك الأغصان ، ومنهم من ذكر ذلك بانسياب الحية ، ومنهم من وصفه بمرور السحاب ، إلى أشياء من التشبيهات[1] كثيرة ، ونحن نذكر من كلّ هذه الصفات والتشبيهات ما يعنّ لنا بحول الله وقوته .

العَرْجيّ[2] :

يمشى كما حرّكت ريحٌ يمانيّةٌ غُصْناً من البانِ [رطباً][3] طلّه الرِّهَمُ

وإلى هذا نظر البحترى فى قوله[4] .

تهتزّ مثل اهتزاز الغصن أتعبه[5] مرور غيث من الوسمىّ سحّاحِ[6]

وقال ذو الرمّة[7] :

مشَين كما اهتزّت رماحٌ تسفّهت[8] أعاليَها مرُّ الرياحِ النّواعِمِ

آخر :

تأوّدنَ لمّا أن تهادَين نحونا كما حرّكتْ ريحُ العشيّاتِ خروعا

---

(١) ا و م « الشبهات » .

(٢) بهامش ا « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان سمى العرجى لأنه كان يسكن عرج الطائف » والبيت من كلمة له فى غ ١/٣٨٨ والرواية هناك « أمشى » (بدل « يمشى ») يصف الشاعر مشيه هو إلى الحوز اللاتى يمشى إليه أن ايتنا . وقد عهدنا مثل هذا التصرف عن الخالديين .

(٣) سقط من ا و ب .

(٤) د ١/١١٢ .

(٥) ب « أينه » .

(٦) ز ا « هنا » مع إثبات « سحاح » بالهامش

(٧) د ٦١٦ وقد وردت رواية النص على أنها هى الصحيحة فى الكامل ٣١٢ إلا أن هناك « النوام » بدل « النواعم » .

(٨) كذا و « تسفهت » أيضا فعل متعد انظر اللسان ١٧/٢٩٢ .

آخر(١) :

يمشين مشى قطا البطاح تأوُّدا قُبُّ البطون رواجحَ الأكفالِ

وأول من شبه مشى المرأة بمشى السكران امرؤ القيس بقوله(٢) :

وإذ هى تمشى كمشى النزيـــفِ يصرعُه بالكثيبِ البُهُرْ

وشبهه المنخل اليشكرى بمشى القطاة فقال(٣) :

ودفعتها فتـــدافعت مشى القطاة إلى الغديرِ

وقال ابن ميّادة(٤) :

١ إذا الطِّوالُ سَدَونَ المشىَ فى خَطَلٍ قامت تَزِيكُ(٥) قواماً غير ذى أَوَدِ

٢ تمشى ككُدرية(٦) فى الجوف واردةٍ(٧) تهدى سروبَ قَطا يَشرِبن للثَّمَدِ(٨)

---

(١) مضى ص ٣٠ .

(٢) العقد الثمين ق ١٩/١٠ وانظر اللباب ٣٧ والراغب ٢/١٣٩ – وتبعه كثير بقوله :

إذا ما مشت بين البيوت تخزلت ومالت كما مال النزيف المرنح

د ١/١٩٦ .

(٣) مضى ص ٩٢ .

(٤) البيتان له فى الحيوان ٥/٥٧٦ .

(٥) كذا فى ب « تزيك » من الزوك : مشى الغراب وهو الخطو المتقارب مع تحرك جسد الإنسان الماشى تبخترا (انظر اللسان) وهذا المعنى هو مقصود الشاعر ، قارن قول رؤبة : تزيك جنبا فى الإياب عبهرا (مجاسن ... الأراجيز ق ٩/٢٧) ؛ وفى ا و م « تزيل » وهو صحيح أيضا قريب من معنى الزوك بل ربما وقع اللبس بين المادتين (انظر اللسان « زول ») ، أما « تريك » كما فى الحيوان فأراه تصحيفا يفقد البيت جماله ويفوت على الشاعر غرضه .

(٦) ب « كمشى كدرية » .

(٧) كذا فى ب « فى الجوف واردة » وفى ا و م « فى الجو واردة » كما فى معظم نسخ الحيوان وفى نسخة منه « فى الجو فاردة » لعل النساخ خلطوا بين « .. ف » و « وا ... » .

(٨) فى الحيوان « يشرب بالثمد » وروايتنا أحسن لأن الشاعر معنى بالسير إلى الماء لا بالشرب .

آخر [وهو جران العَود[1]] :

فلمّا رأين الصبحَ بادرن ضوءه رسيم قطا البطحاء أوهنّ أقطَفُ

آخر[2] :

وكأنهنّ إذا أردن خُطًا يقلَعْنَ أرجلَهنّ من وَحَلِ

البحترى[3] :

لما مشين بذى الأراك تشابهت أعطافُ قضبان به وقدودِ

آخر[4] :

و بيض تَطَلّى بالعبير كأنّما يطأن ، ولو اعتقن فى جَدَدٍ ، وَحْلَا

هذا بيت جيد فى هذا المعنى ، لأنه لم يرضَ أن يجعلها تمشى فى الجَدَد ، وهو السهل المستوى من الأرض ، حتى قال : كأنها تطأ الوحلَ وإن هى أسرعت فى مشيها .

آخر :

خرجت تأطّر فى الثياب كأنها أيْمٌ يسيب على كثيبٍ أهْيَلِ

وصفها [بالتثنى والمتثنِّيةُ لا تكون إلّا][5] بطيئة المشى ، والتأطّر :

---

(١) زيادة فى ب وقد مضى البيت ص٢٩ .

(٢) البيت من كلمة لصالح بن عبد القدوس فى الوحشيات ١٦٨ وهو لابن مائشة فى النويرى ٢/١٠٦ وللموسوى فى الراغب ٢/١٣٩ وما أقرب هذا البيت من قول الآخر :

وإذا أردن زيارة فكأنما ينقلن أرجلهن من أوحال

انظر الحواشى ص ٣٠ . (٣) د ١/١٢٧ والراغب ٢/١٣٩ .

(٤) الراغب ٢/١٣٩ ومثله قول معن بن أوس – د ص ١٩ – :

لواتى يركضن المروط كأنها يطأن إذا استوسقن فى جدد وحلا

(٥) ب : بالتأنى فى المشية أى ت[illegible] .

للتثنى . يقال : أطَرت الغصنَ : أى ثنيته ، قال كثير[١] :

تأطَّرْنَ حتى قلتُ : لَسْنَ[٢] بوارحًا وذُبنَ كما ذابَ السديفُ[٣] المُسَرْهَدُ

آخر[٤] :

يزجين بكراً يُبْهِجُ[٥] الرَّيط مَشْيُها كما مارَ ثعبــان النضا المتدافــعُ

فأما أول من شبه المشى بمشى السكران للتثنى والانعطاف فامرؤ القيس فى قوله[٦] :

وإذ هى تمشى كمشى النَّزيــفِ يصرعه بالكثيب البُهُرْ

أخذه مضرس الفقعسى فقال :

تَسَاكرُ سلمى من سجية مشيها وما سكر سلمَى من طلاء ولا خَمْرِ

وقال الشماخ[٧] :

تخامَصُ عن بَرْدِ الوشاح إذا مشَتْ تخامُصَ حافِى الخيل فى الأمعز الوجِى

أخذه جرير فقال[٨] :

إذا ما مشَت لم تبتَهِرْ وتأوَّدتْ كما انآدَ من خيل وجٍ غير مُنعَلِ

---

(١) د ١/١١٥ ونسبة البيت إلى عمر بن أبى ربيعة (د ق ٢٧٠) أكثر والروى . هذا وجاء فى اللسان (أطر) : تأطرت المرأة أى لزمت بيتها . وقال حميد :

تأطرن حتى قلت لسن بوارحا ولا لاحقات الحى إلا سواربا

د ب /٤٦ . (٢) م « لبس » .

(٣) ا و ب « النزيف » .

(٤) من كناسة لمحمد بن عبد الله للسلامانى فى نقد الشعر ٩ .

(٥) كذا فى ب وفى ا « يبهج » نقد الشعر « يبهر » .

(٦) مضى ص ١٢٣ وأخذ عمر بن أبى ربيعة مثله فقال :

تمشى الهوينا إذا مشت فضلا مشى النزيف المخمور فى الصعُد

انظر د ص ٤٣٢ وع ٨/٢٠٧ .

(٧) د ٧ والشعراء ١٧٨ واللسان (خمص) . (٨) د ٢/٦٢ .

وشبه عبد بنى الحسحاس مشى النساء بتدافع السَّيل فقال[1] :

تهادى سيل جاء من رأس تلعة إذا ما علا صَمْدًا تفرّعَ وَادِيا

أخذه حميد بن ثور فقال[2] :

فجاءتْ تَهادَى مِشيةً مرجحنَّةً تهادِيَ سَيلٍ قد مضى وتصرّما

وقال مسلم فى صفة مشى السكران[3] :

١ دارت عليه فزادت فى شمائله لينَ القضيبِ ولَحْظَ الشادن الفَرِدِ

٢ مشّتْه لما تمشّت فى مفاصله[4] لعبَ الرياح بغُصن البانة الخضِدِ

أخذه خالد الكاتب فقال :

وولّى وفعل السكر فى حرَكاتِهِ[5] كفعل نسيم الريح فى الغصُن النضْ

فأما وصف مشية السكران على غير هذا المذهب[6] فمثل قول الشاعر :

١ اشتفِنى بالكبير ، بِـعدُ ، حتى أحسب الناس كلّهم لى عبيدا

٢ وأرانى ، إذا مَشيتُ ، كأنى أعدل الأرضَ خشية أن تميدا

أخذه الآخر فقال :

وما زلت أشرب حتى اعتمدت على الأرض أعدلها أن تميلا

---

(١) د ب / ١٥ وسياق ص ١٤٩ .

(٢) د ص ١٦ الحاشية ٤٣ .

(٣) لا يوجد البيتان فى د واملهما سقطا من القصيدة ٨ .

(٤) ا « تقاصله » (٥) ا « لحظاته » .

(٦) يذكر السلم أيضا قوله :

إذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشى المقيد فى الوحل

انظر العمدة ٢/٤٧ (د ق ٣/٣٠) .

ومن جيد ما قيل فى هذا المعنى قول الآخر[1] :

١ سقانى هذيلٌ من شرابٍ كأنّه ... دمُ الجوف يستدعى الحليمَ إلى الجَهْلِ
٢ فما زلتُ أسْقَى شربةً بعد شربة ... لعمرك حتى رُحتُ متَّهم العَقْلِ
٣ خرجت أجوب الأرضَ أركُلُ متنَهَا ... إذا هى مالت بى فيعدلُها رَكْلِى
٤ يقدمنى طورا أمامى قاصـــدا ... ويركض مشى القهقرى مرةً ، رِجلى
٥ ترى عينى الحيطانَ حولى كأنّها ... تدور ، ولو كلَّمتنى قلتَ : ذو خبلِ[2]
٦ فلا العين تهدينى ، ولا بالرِجل ما بِها[3] ... فلأْيًا بلَأْيٍ ما بلغت إلى أهْلِى

آخر :

وذى غَيَدٍ[4] لم يدرِ ما الخمر قبلَها ... سقيناه حتى صار قيداله السُّكرُ

قد ذكرنا شيئاً من ضروب المشى ، وإنّما ذكرنا من كل شىء ايسيرا كما شرطنا ، ولو أردنا أن نأتى بما قيل فى جميع الفنون بأسره لطال ذلك واتّسع ولكان فى شعر البحترى وحده ما يقع فى كتاب مفرد ، ولا بدّ بعد هذا أن نذكر منه شيئاً آخر إن شاء الله .

العرندس بن وثاق اليربوعىّ وذكر منهزما :

١ فأولَى على عمرو بن بدر فإنّه ... يُطوِّع فى عال من الركض زائدِ

---

(١) الأبيات بحذف الرابع وإضافة بيتين آخرين فى المرزبانى ٢٨٢ لعلى بن أبى كثير مولى بنى أسد وقيل بل مولى بنى تيم اللات بن ثعلبة ، شاعر مكثر صاحب شراب وفتوة . استكتبه أبو بجير الأسدى صد تقلده الأهواز للمنصور ... ، والثلاثة الأولى من ستة بدون عزو فى نوادر القالى ٢٢٠ .

(٢) ا و م « عل » .

(٣) ا و م « وبالرجل تايها » ب « ولا الرجل تايها » والتصحيح عن المرزبانى .

(٤) كذا فى ب « ذى غيد » بدله فى ا « رعه » ، م « رعية » وأفضل « ذى وعدة » .

٢ مضى يحمد الشقراء لما تمطَّرت ... به تحت جُوْشوشٍ من الليل واقدِ

٣ إذا ما رأى لمعَ السيوف بداله ... طريق نجاء للفرار مساعدِ

٤ لئن جرعت منه القنا دون ربّها ... لما هو عن ربّ(١) القنا بمباعدِ

هذه أبيات جياد فى صفة هارب . وأما قوله : « لئن جرعت منه القنا ... » البيت ، فذكر أنّه قد طعن طعنات لم تأتِ على نفسه لحر به ، ثم هدَّده فقال : وما هو عن ربّها ببعيد ، وقد أخذ هذا المعنى منه مسلم بن الوليد فقال(٢) :

وَلَّى وقد جَرَعَتْ منه القنا جُرَعًا ... حيٌّ الحُشاشة مَيتاً غير مَوءودِ

والبيت الأول أجود من بيت مسلم هذا ، وقد أخذ هذا المعنى أبو تمام فأتى به فى غاية الجودة والصحّة ، وهو قوله(٣) :

١ من مُشرِقٍ دمُه فى وَجْهِهِ بطلٍ ... أو ذاهلٍ دمُه للرعب قد نَزَفَا

٢ فذاك قد سُقِيت منه القنا جرعاً ... وذاك قد سُقِيت منه القنا نُطَفَا

بيت أبى تمام هذا ، وإن كان أخذه ممن ذكرنا ، فهو جيّد التقسيم مطّرد الصدر ، والعجز مليح اللفظ ، ونذكر ها هنا أشياء من ذكر المنهزمين ، ولا نستغرق الكلّ فى هذا الموضع إذ كنّا نحتاج إلى بثّ ذلك فى مواضع من الكتاب ، وقال أبو تمام وذكر منهزمًا(٤) :

معنى وصف المنهزمين

مُوَكَّلًا بيَفاعِ الأرضِ يَشْرُفُه ... من خفّة الروع لا من خِفّة الطَّرَبِ

---

(١) ب ، ر : مصحفا . (٢) د ق ٢٠/٧٠ .

(٣) د ١٨٠ وقبلهما :

ظل القنا يستقى من صفه مهجا ... إما تماداً وإما نزة خسفا

(٤) د ١٨ (طبعة عزام ١/٧٤) والراغب ٢/٧٧ .

ومن الجيد النادر فى صفة منهزم قولُ البحترى[(١)] :

١ تحيّرَ فى أمريه ثم تحبَّبَتْ ... إليه الحياةُ ماؤها غَلَلٌ[(٢)] سَكْبُ

٢ تذكّرَه طعم الموت والسيف آخذ ... مُخَنَّقَ[(٣)] ليثِ الحرب حاملَه[(٤)] كَلْبُ

٣ ولو كان حرَّ النفس والعيشُ مدبر[(٥)] ... لماتَ وطعم الموت فى فمه عَذْبُ

٤ ولو لم يحاجز لؤلؤ بفراره ... لكان لصدر الرمح فى لؤلؤ ثقبُ

٥ تَخَطَّأَ عرضَ الأرض راكبَ وجهه ... ليمنع منه البعد ما يبذل القربُ

٦ يحبُّ البلادَ وهى شَرقٌ لشخصه ... [وَ][(٦)] يذعرُ منها وهى من فوقه غَرْبُ

٧ إذا سار سهباً عاد ظَهرًا عدوَّه ... وكان الصديقَ غدوةً ذلك السهبُ

يقول : كل شىء يقطعه من الأرض فهو من قِبَلِ أن يجتازه مثلُ الصديق له ، فإذا جازه صار عدوًّا لما يخاف من الطلب . وما نعرف مثل هذه الأبيات فى المنهزمين إلّا له فى مواضع أخر ، ثم نذكر بعضها ههنا وبعضها بعد وقت آخر ، وقال يصف منهزمًا[(٧)] :

١ لما تضايق بالزحفين قُطرُها ... تضاربٌ بغرار الصّيف أو واحي

٢ قالت له النفس ، لا تألوه ما نصحتْ ... والخيلُ تخلط من نقع وأرهاج :

٣ إنّ المقيم قتيلٌ لا رجوع له ... إلى الحياة وإنَّ الهاربَ الناجي

٤ فرّ يَهوِى هوىَّ الريح يُسعده ... جوٌّ بشطٍ[(٨)] وليلٌ مُظلِمٌ داجي

(١) د ١/٣٢ والبيت الخامس فى الراغب ٢/٧٧ .

(٢) د « غلل » والغلل : الماء الذى ليس له جرية وإنما يظهر على وجه الأرض ظهورا قليلا ، يعنى أن الحياة كانت قد تضاءلت لما كان فيه من الشدة .

(٣) ا « مخنق » .

(٤) فى الأصول « حاملة » والتصويب عن د .

(٥) د « مدبرا » .

(٦) سقط من الأصول .

(٧) د ١/١٠٤ .

(٨) كذا فى ا وهو أحسن وفى ب « بسيط » كما فى د والكلمة بدون النقط مع الشك فى م .

٥ إنْ لا تَنَلْه العوالى وهو منجذِبٌ فقد كوَتْ صَلَوَيْه كَىَّ إنضاج

وله أيضاً فى مثله يصف منهزماً فى البَحْرِ[١] :

١ مضَى وهْوَ مولَى الريح يشكر فَضلَها عليه ومن يُولِي الصنيعة يُشكَرِ
٢ إذا الموج لم يبلغه إدراكُ عينه ثنى فى انحدار الموج [لحظة][٢] أخزرِ

وله أيضاً[٣] :

١ ومضى ابنُ عمرو قد أساء بعمره ظنًّا يمزّق مهره تمزيقَا
٢ فاجتاز دِجلةَ خائضاً وكأنَّها قَعْبٌ على باب الكحيل أرِيقَا
٣ لو خاضها عمليق أو عوج إذنْ ما خوَّضَتْ عوجاً ولا عمليقَا
٤ لولا اضطرابُ الخوف فى أحشائه رسبَ العُبابُ به فبات غريقَا
٥ خاض الحتوفَ إلى الحتوف معانقاً زجلا كفهر المنجنيق عتيقَا
٦ يجتاب حُرَّةَ سهلها وجبالها والطيرَ عان سِرارُه[٤] ودنوقَا
٧ لو نفَّسته الخيلُ لفتةَ ناظرٍ ملَأ البلادَ زلازلًا وفتوقَا

وله أيضاً[٥] :

١ أشلَى على منويل أطرافَ القنا فنجا عتيقَ طمرَّةٍ جرداء
٢ لو أنَّه أبطى لهنَّ هنيهة لَصَدَرْنَ عنه وهنَّ غير ظِماء
٣ فلئن تبقَّاه القضاء لوقته فلقد عمتَ جنودَه بفناء
٤ أنكلتَه أشياءَه وتركتَه الموت مرتقبًا صباحَ مساء
٥ حتى لو ارتشفَ الحديدَ أذابَه بالوقدِ من أنفاسِه الصُّعَداء

---

(١) د ٢/٢٤ .

(٢) سقط من ا وفى م « عطـ » وفى ب « ينحط » وقد صححت « لحظة » كما فى د .

(٣) د ٢/١٤٦ وانظر ابن أبى عون ٢٤٥ .

(٤) ا « مراده » كما فى د . (٥) د ١/٥ .

وله أيضاً[١] :

١ كما انهزم المغرورُ من مَرْج دابِق وخيلك في جَنْبَى قُوَيق تُحاوِلُه
٢ تأوَّبَ من حوص أبوابَ بالِس مسيرًا لفرط الذُّعر تطوى مراحِلُه
٣ نفوس من حدّ الأسنَّة ظهرُه وقد سُلَّ[٢] منها منكِباه وكاهلُه
٤ يخيطُ عليه كاتِبَ[٣] النقع مُرْعِيًا لكى تتغطّى[٤] في العَجاج مَقاتِلُه
٥ إذا مرّ بالصحراء جانبَ قصدها يرى أنها أرسال خيل تقاتِلُه
٦ أتى سادرًا بالبغى مستفتحًا به وحاولَ نصرَ اللهِ واللهُ خاذِلُه

وله[٥] :

بَهتَتْه أهوال الوغَى فلو أنه عينٌ لشدة رُعبه لم تَطرِفِ

وله[٦] :

١ ولم ينج ابن جستان بشىء سوى الأقدار عاقبت[٧] المنونا
٢ يلاوذ والأسنة تدَّريه شمالا حيث وَجَّهَ أو يمينا
٣ يصدُّ عن الفوارس صدَّ قالٍ يرى العثرات يحسبها مثينًا

لم نذكر من هذا المعنى في هذا الموضع أكثر مما ذكرناه للبحترى ، ولم نترك أن نذكر لمسلم بن الوليد ، وأبى نواس ، وأبى تمام ، وابن الرومى وغيرهم من المجوِّدين ، إلّا ليقع في مواضع أخر . ولا بد أن نشوب ما ذكر المحدثون في هذا المعنى والفنّ بشىء من أشعار المتقدمين ، وإن كان [ليس][٨] في هذا

---

(١) لا ترد اللفظة في د ، ودابق وقويق وبالس كلها قرب حلب ، انظر البلدان لياقوت .
(٢) ا « بل » .
(٣) ف الأصول « كاتب » .
(٤) ا « تماطا » .
(٥) د ١٢١/٢ .
(٦) د ٢٠٢/٢ .
(٧) ف د « غالبت » .
(٨) سقط من ا .

المعنى ما يكثر ويتسع ، وقد ذكرنا فيما تقدم من ذلك أشياء ، ونحن نذكر غيرها بعد هذا الموضع إن شاء الله .

أعرابى :

١ ونِضوٍ على نضو تجشّمَ شُقّةً ... إليك بعيدٌ سهلُها من جبالِها
٢ يشُقُّ على مرّ الرياح اعتِسافُها ... ويبعد قطراها على مِن آلِها
٣ وتغدو بها الوجناء بعد مراحها ... وقد قُيِّدَتْ أرساغُها بكلالها
٤ فإن تفعلى فعلَ المحبّ فهيّنٌ ... علينا سُرَاها وامتدادُ ارتحالها
٥ وإن كان ذاك البخل منك فعندنا ... لها دمعُ عينٍ[1] وكَلّتْ بانهمالها

أما قوله « بعيد سهلها من جبالها » فإنه ذكر برية بعيدة الأقطار مستوية ، وإذا كانت البرية مستوية بغير جبال كان أبعد لها ، فذكر أنّ سهلها بعيد من جبالها لاستوائها وبعد أطرافها .

معنى تسارى حال الراكب والمركوب

وقوله « ونضو على نضو تجشم شقة » فهو معنى مليح جيد ، وهو كثير فى أشعارهم ، فمن ذلك قول العباس بن الأحنف[2] :

إنّا من الدّرب أقبلنا نؤمُّكم ... أنضاء شوق على أنضاء أسفارِ

آخر[3] :

رأتْ نضو أشجانٍ أميةُ شاحبا ... على نِضوِ أسفار فجُنّ جُنونُها

آخر :

١ باتت تُشوّقنى برجع حنينها ... وأزيدها شوقا برجع حنينى

(١) « لها مع عين » ب « لها دمع عن » م « هامع ثم عن » [هوامع عين ؟] .
(٢) د ٨٥ .
(٣) لرجل من بنى كلاب فى المرتضى ٢/١٤٩ وفيه « رأت نضو أسفار أميةُ ... » كذا فى الحيوان ٣/٥٣ والصناعتين ٢٠٦ وفى اللسان (جفن) « ... أميةُ » والبيت من ثلاثة بدون عزو فى نقد الشعر ٧٣ .

٢ نضوان مقتربان عنـــد تهامة طوّيا الضلوعَ على جوًى مكنونِ

وقال أبو الشيص[١] :

أكل الوجيف لحومهم ولحومها فأتوك[٢] أنقاضا على أنقاضِ

ومثل هذا قول أبي تمام[٣] :

فقد أكلوا منها الغواربَ بالسُّرى فصارت لها[٤] أشباحُهم كالغواربِ

آخر :

حتى انتضاء الصبحُ من ليل خَفِر[٥] مثل انتضاء النصل والسيف الذَّكَرْ

نضوَ هوى بالٍ على نضو سَفَرْ

والأصل في هذا المعنى على قول بعضهم قول امرئ القيس[٦] :

ألَا إنّني بالٍ على جملٍ بالِ يسوق بنا بالٍ ويتبعُنا بالِ

يجوز أن يكون أراد في هـذا البيت أنه وجمله[٧] وقائده وسائقه بالُون على ما قدمنا من هذا المعنى . ويجوز أنه أراد أنه خُبِرَ[٨] بالموضع الذي يقصده وكذلك جمله وقائده وسائقه من بلوت الشيء أي خبرته . فإن قال قائلٌ : ما الذكر

(١) من قصيدة طويلة له في الطبقات لابن المعتز ص ٢٨ وانظر الصناعتين ٣٢٩ و ٣٦٣ والبصرية ٥٤ . (٢) في الأصول « فأتتك » وهو تصحيف .

(٣) د ٢ ٤٢ وقبله :

وركبٍ يساقون الرِّكاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب

(ط عزام ١/٢٠٩) وانظر ابن أبي عون ٦٣ .

(٤) في الأصول « لهم » وعلق عليه في ب « لعله : لها » وهو كذلك في د أي صاروا لها كالأسنمة فوقها . وفي رواية « لهم أشباحها » والمعنى أنهم قد فرغوا من إفناء أسنمتها ... وصاروا يؤثرون في شخوصها ، فهي لهم الساعة بدل من الغوارب من قبل .

(٥) في الأصول « حمر » والتصويب عن الحيوان ٣/٢٤٦ حيث ورد قول الراجز شاهدا على أن العرب وصفوا الليل بالخفرة . (٦) العقد الثمين ق ٥٢/٣٩ .

(٧) ا و م « أن جمله » . (٨) ب « خبير » .

القائد ههنا معنى ، إذ كان الرجال لا يُقاد بهم وإنما يُقاد بالنساء ، ولم يذكر أيضا أنه بالِ من[1] السقم وقائده صحيح ، بل هما باليان ، قلنا : إنّ من شأن الملوك إذا قصدوا وَجْها وأرادوا سفراً وكانوا على نجائبهم أن يُقَادَ بهم ، وكان امرؤ القيس ملكا فلذلك ذكر القائد .

فأما قوله « وتغدو بها الوجناء بعد مراحها » البيت ، فكثير أيضا[2] في أشعارهم فمن ذلك قول جرير[3] :

معنى قيام الكلال مقام القيود للركائب

إذا بلغوا المنازل لم تقيَّدْ وفى طول الكلال[4] لها قيودُ

مثله قول نصيب[5] :

أضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها بقايا سِلالٍ لم يدَعْها سِلالُها

ومثله قول الآخر[6] :

كانت تُقيَّد حين ننزل منزلاً فاليومَ صارَ لها الكلالُ قيودا

وقال آخر[7] :

« قيَّدَها الجهد ولم تقيَّدِ »

---

(١) ا « نايف » م « نالف » [دانف ؟] بدل « بال من » .

(٢) لقد قال أبو العلاء قولا مسفرا فى هذا المعنى :

وهل أرمى بمتلفة نجيبا متى ينهض فليس به انتقال
كأن عليه قيدا أو عقالا ولا قيد هناك ولا عقال

انظر شروح سقط الزند (لجنة إحياء آثار أبى العلاء) ١٧٠٦/٢ وقد ورد فيه أيضا قول النعماني :

سرى والعيس من فرط الكلال طلائح قد عقلن بلا عقال

(٣) د ٥٩/١ . (٤) ب « طول الطريق » كما فى د جرير ١٩٣/٢ .

(٥) كذا فى د جرير ١٩٣/٢ وجاء فى المرتضى ٣٩/٣ أن جريرا لما أنشد هذا البيت اعترف بفضل نصيب على نفسه .

(٦) لمؤمل بن أميل المحاربى فى البيان ٦٢/٣ و ٨٩ (مع بيتين آخرين) والمرتضى ٤٠/٣ (وعنه فى شرح درة الغواص ٥٨) .

(٧) لأبى نخيلة وتمام البيت « فهى سوام كالقنا المسدد » كذا فى المرتضى ٤٠/٣ .

وقال آخر :

إذا اطَّرَحُوا عنها الرحائل لم تزَلْ كَلالًا وقد كانت تنافَرُ بالعقلِ

وقال آخر :

وقيَّدها التهجيرُ في كل سبسبٍ بعيدِ المدى قُطْرَاهُ منتزحانِ

وقال آخر :

وما زال طولُ السير حتى لقد غدت ركائبُنا حسرى بغير قيودِ

وقال آخر :

١ تشكّى إلى الأرحبية ما بها وما بى ممّا بالنجيبة أكثرُ

٢ غدوت طليحا وهى مثلى لقطعها فدافد أشباها تروح[1] وتُبْكِرُ

آخر :

وقيَّدها بعد ذاك المِرَاح بكور تواصله بالرواحِ

وقال مخلد يصف ناقة حَجَّ عليها[2] :

١ غدت بالقادسية وهى ترنو إلىَّ بعين شيطانٍ رجيمِ

٢ فما وافت بنا عسفان حتى رنت بلحاظ لُقمان الحكيمِ

وقال مروان بن أبي حفصة في مثل ذلك[3] :

فما بلغت حتى حماها كلالُها إذا عَرِيتْ أصلابُها، أن تقيَّدَا

---

(١) « تروع » .

(٢) من أربعة أبيات لمخلد الكناني في البصرية ٢٣١ والواقع أنها لأبي تمام كما في د ٣٧٩ ومجموعة المعاني ١٨٢ .

(٣) البيت له في المرتضى ٣/٣٩ .

والأصل فى هذا كلّه[1] قول عباد بن أنف الكلب الصيداوىّ وهو[2] :

فتمشى[3] لا أقيّدها بحبل ... بها طولُ الضّرارة[4] والكلالُ

أعرابى يخاطب ناقته :

معنى مكافأة المركوب بعد بلوغ المطلوب

١ فلله إن بلغتِ رحلى أهلها ... بهضب الصفا أن تُطْلَقى من حبالكِ

٢ وأن لا تخطّىْ سببا بعد سبسبٍ ... وأن لا تثنّى[5] ليلةً فى[6] عقالكِ

والأصل فى هذا[7] قول الشماخ بن ضرار فى عرابة الأوسى[8] ، وإن كان هذا الشاعر قد قلبه :

إذا بلّغتِنى وحملتِ رَحلى ... عرابةَ فاشْرَقى بدم الوتينِ

هذا دعا عليها والأوّل نذر ألّا يتعبها[9] بسير ولا غيره . ولغيره من الشعراء فى هذين المعنيَين أشياء نحن نذكر بعضها ، فمن ذلك قول ذى الرمّة[10] فى معنى شعر الشماخ يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

---

(١) جاء فى المرتضى ٣/٤٠ أن الأصل فى هذا قول امرئ القيس :

مطوت بهم حتى تكل مطيهم ... وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

وأضاف فى شرح درة الغواص ٥٨ قولا آخر لامرئ القيس من معلقته :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقيد الأوابد هو الذى إذا أرسل على الوحش لحقها وحبسها حتى صار كالقيد لها .

(٢) البيت له فى المرتضى ٣/٣٩ .

(٣) فى الأصول « فتمشى » والتصحيح عن المرتضى .

(٤) ا « الصرارة » م « المرارة » ب « المرارة » .

(٥) ب « تبيّتى » . (٦) ا « من » .

(٧) انظر لتخريج جل أبيات هذا الفصل الموشح ٦٧ والصناعتين ١٥٨ – ١٥٩ والعقد ٣/٤٢١ وخ ١/٤٥٢ والراغب ١/٢٥٧ والبصرية ٢٥ ومراجع أخرى ذكرها الميمنى فى اللآلئ ٢١٨ .

(٨) د ٩٢ .

(٩) م « يتعبها » .

(١٠) د ٢٥٣ وهو الشاهد ١٦٠ فى خ ١/٤٥٠ .

إذا ابن أبى موسى بلالاً بلغتِه فقام بفأس بين وصليك جازِرُ[١]

فأما من قلب هـذا المعنى بالدعاء لها أو بالنذر أنها لا تُتعب وجوّده فأبو نواس بقوله[٢] :

١ أقول لناقتى إذ بلَّغتنى لقد أصبحتِ عندى باليمين[٣]

٢ فـلم أجعلك للغربان نهبـا[٤] ولا قلتُ « اشرَقى بدم الوتين »

وردّ أيضا هذا المعنى فى موضع آخر من شعره فقال[٥] :

فإذا المطىّ بنا بلغن محمّدا فظهورهنّ على الرحال حرامُ

ومن القديم الجيد فى هـذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الأنصارىّ [رحمه الله][٦] وقد وجّهه النبى صلى الله عليه وسلّم أميراً بعد زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب [رحمة الله عليهما][٧] على الجيش الذى أنفذه[٨] إلى غزوة مُؤتَة ، وهو :

١ إذا بلّغتِنى وحملتِ رَحْـلى مسافةَ أربعٍ بعـــد الحِساء

٢ فدونكِ فانعَمى وخــلاك ذمّ ولا أرجِـعْ إلى أهْلى ورائِى

ومن القديم قول الفرزدق يخاطب ناقته[٩] :

---

(١) ا « جاذر » .

(٢) د ٦٥ .

(٣) فى الأصول « بالثمين » مصحفا .

(٤) كذا فى البصرية والرواية المشهورة « نحلا » .

(٥) د ٦٤ وبعده :

قرّبننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام

أخذ أبو نواس هذا المعنى من قول الفرزدق الآتى آنفا ، انظر تعليقنا عليه .

(٦) سقط من ا .

(٧) سقط من ا وفى ب « رحمهما الله » .

(٨) ا و م « أنفذهم » .

(٩) جاء فى غ ٩/١٦٩ : قال أبو نواس ، ما أحسن الشماخ فى قوله إذا بلغتنى ... الخ ، إلا قال كما قال الفرزدق علام تلفتين ... الخ وزاد فى الموشح أنه قال أيضا : كان قول الشماخ -

١ عـلامَ تَلَفَّتِينَ وأنتِ تحتى ... وخيرُ النـاس كلِّهم أمامِي

٢ متى تَرِدِى الرُّصافةَ تستريحى ... من الأنساعِ والدَّبرِ الدَّوامِي

وقد أخذه أبو تمام فقال[1] :

١ ولست شماخا الذى لِيمَ[2] فى ... سوء مكافاته ومجترمهْ

٢ أشرقها فى دم الوتين لقد ... ضلّ كريم الأخلاق عن شيمهْ

٣ وذاك حكم قضى عليه به ... أُحَيْحَةُ بن الجُلاح فى أطمِهْ

أراد بهذا القول أنّ الشماخ لما أنشد عرابة شعره وانتهى إلى قوله : « إذا بلغتِنى ... » البيت ، قال له أُحيحة : بئس ما كافأتَها به ، شماخُ[3] ، ومعنى قول الفرزدق [وغيره][4] « متى تردى الرصافة ... » البيت ، يريد أنّا إذا وصلنا إلى هذا الممدوح أغنانا أن نطلبَ المعاش ونرحل فى التماس الرزق بما يُسدِى إلينا ويَهَبُ لنا . وقد روَى أهلُ السير أنَّ امرأة من

— عندى حيا فلما سمعت قول الفرزدق تبعته ، وجاء فى المثل السائر ٤٨٢ – ٤٨٢ أن أبا نواس أخذ معنى قوله من قول الفرزدق فصار أملك به وأحسن فيه غاية الإحسان فالفرزدق قال : تستريحى من الانساع ... الخ ، وليست استراحتها بمانعة من معاودة إتعابها مرة أخرى ، وأما أبو نواس فإنه حرم ظهورهن على الرحال أى أنها تعفى من السفر إعفاء مستمرا ولا شك أن أبا نواس لم يتنبه لهذه الزيادة إلا من فعل العرب فى السائبة والبحيرة .

(١) لا توجد الأبيات فى د وقد جاء فى الموشح أنها رويت لغيره .

(٢) كذا فى الأصول وصححت فى ب « كشماخ الملام » كما هى الرواية .

(٣) جاء فى غ ٩/١٦٩ : أنشد عبد الملك قول الشماخ فى عرابة ... فقال : بئست المكافاة كافأها ، أحملت رحله وبلغته بغيته فجعل مكافأتها نحرها ، وجاء فى الموشح ١٧٤ أن ذا الرمة أيضا لما أنشد قصيدته فى بلال بن أبى بردة فبلغ قوله « إذا ابن أبى موسى البيت » ، قال له عبد الله ابن محمد بن وكيع : هلا قلت كما قال سيدك الفرزدق « إلامَ تلفتين ... الخ .

(٤) سقط من ا والشماخ أيضا إنما يريد أنه لا يحتاج إلى أن يرحل إلى غير الممدوح إلا أنه لم ينظر إلى الناقة ، كذا فى الكامل ٧٥ والمعاهد ١٦٩ .

الأنصار[١] كانت مأسورة بمكة ، وأنها هربت من أيدى المشركين فنجت على ناقة من إبل الصدقة ، فلما صارت إلى المدينة قالت : يا رسول الله ! إنّى قد نذرت أنى إن نجوت عليها أن أنحرها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلّم : بئسما جازيتها ، وقال : لا نذر فى معصية . وقال آخر فى هذا المعنى :

إذا بلّغتنا الناجيات إليكم ... فقد أمنت من حلة ورحيلِ

آخر :

لا نالها الحلُّ ولا الترحال ... إن بلّغتْنِي من له الأفضالُ

آخر :

إذا بلّغتْ أرضَ الحبيبة ناقتى ... فقد أمنتْ من كلِّ ما تحذَرُ البزّلُ

وقال ابن قيس الرقيات[٢] فى حمزة بن عبد الله بن الزبير :

ساءنِي ناقتى من كل شىء ... تخاف[٣] إذا أتت آل الزبيرِ

قد ذكرنا من هذا الفنّ ههنا شيئاً وبقى[٤] منه أشياء أخر لمواضع أخر من الكتاب إن شاء الله .

أعرابىّ :

معنى وصف الشعراء لأشعارهم

١ وقافيةٍ غيرِ مَعْمورة ... قرضتُ من الشعر أمثالَها

٢ شرود تَجولُ[٥] فى الخافقين ... إذا أُنشدت ، قيل : من قالَها ؟

القول يتسع فى وصف الشعراء لأشعارهم إذا أنشدت ، إلّا أننا نثبت منه

---

(١) انظر القصة فى الموشح والكامل ٧٥ وجاء فى خ ٤٥٣/١ : قال بعض العلماء فيما كتبه على الكامل « هذه المرأة غفارية لا أنصارية » .

(٢) لا يوجد البيت فى د .

(٣) م « يخاف » .

(٤) ا « أبقينا » .

(٥) ا و ب « تحول » .

ها هنا فنًّا واحداً ونترك فيه فنوناً كثيرة تقارب هذا الفنّ لتقع في مواضعها ، فمن ذلك قول الخنساء[1] :

وقافية مثــــل حدِّ السنا ... نِ تبـــقَى ويهلِكُ من قالها

ومثل هذا قول دعبل[2] :

إنّي إذا قلت بيتاً مات قائلُه ... ومن يقالُ له ، والبيت لم يمتِ

ومثله [أيضاً][3] :

يموت رديء الشعر من قبل ربِّه ... وجيِّدُه يبقَى وإن مات قائِلُه

وقريب منه :

قوافٍ لو يكون لها شخوصٌ ... لركّبَها الكميُّ على السنانِ

ومثله :

قوافٍ لو تقارضها[4] المنــــايا ... لركّبَها الكماة على الرماحِ

آخر :

فإن أهلك فقد أبقيتُ بعدي ... قوافي ليس يَلحقها الفناء

آخر :

١ لا يفرحن بموتي من تركت له ... عاراً إلى آخر الأيام معـــــروفا
٢ قصائداً تترك الألبـــــاب حائرة ... من شاعر لم يزل بالحذق موصوفا

---

(١) د ٢١٦ ومجموعة المعاني ١٧٨ وابن أبي عون ٢٢٨ .

(٢) البيت له في العقد ٣/٤٠٨ والعمدة ١/٤٧ .

(٣) سقط من ا ولعل قبله « وله » بدل « مثله » لأن هذا البيت أيضا لدعبل كما في العقد ٣/٤٠٨ وللعسكري ٢/٢٣٨ والشعراء ١ : د وابن أبي عون ٢٢٩ وخاص الخاص ٩٥ وهذا البيت والبيت الذي مضى من قطعتين لدعبل في الموشح ٣٨٠ – ٣٨١ .

(٤) ب « تعارضها » .

آخر :

خذوها هنيئاً إنها لرقابكم ... قلائد عارٍ ليس تزهى[1] سموطها

ومما يقارب هذا المعنى وإن لم يكن مثله سواء قولُ الشاعر :

١ أليس إذا ما قلت بيتاً تناوحَت ... به الريحُ في شرقيها والمغاربِ

٢ يقصِّرُ للسارين من ليلة السُّرى ... ويُغْذَى[2] عليه بالقيانِ الضواربِ

ومن جيد هذا المعنى ونادره للخريمي :

١ من كلّ غائرة إذا وَجَّهْتُها ... طلعتْ بها الركبانُ كلَّ نجادِ

٢ طوراً يمثِّلها الملوك وتارةً ... بين النُّديِّ تُراضُ والأكبادِ

ذكر أنّ الملوك كثيرة التمثل بأشعاره ، وأنّ الغناء فيها أيضاً كثير فهي تُراض بين النُّديِّ والأكباد ، وهناك مواقع الميدان . وقال ابن أبي حفصة في شبيه من ذلك :

١ إنّي أذول قصائداً جوّالة ... أبداً تَجُول خَوالماً أرسانَها

٢ من كل قافيةٍ إذا جرَّبتُها[3] ... جمحت فلم تملك يداي عنانَها

٣ سارت بيوتي في البلاد فأمْعَنت ... وبيوتُ غيري لم تَرِم أوطانَها

وقال بشار بن برد[4] :

١ ومثلك قد سيَّرته بقصيدة ... فسار ولم يبرح عراصَ[5] المنازل

٢ رميتُ به شرقاً وغرباً فأصبحت ... به الأرض ملأى من مقيمٍ وراحلِ

---

(١) كذا في ا و م وفي ب « تزهى » وكلاهما له وجه ، هذا وقد روى ابن الأعرابي « يزهين » لغة في « يزهون » وإن لم تكن مقبولة لدى الآخرين ، انظر اللسان (زها) والعيون ٤/٣٨ .

(٢) ا « لعدوا » ب و م « تغدوا » والتصحيح منا .

(٣) ا « أجريها (أجريتها) » .

(٤) المختار من بشار ٣٢٤ .

(٥) ا « مراض » .

وقال مُزَرِّد بن ضرار[1] :

١ زعيم لمن فارقتُـــهُ[2] بأوابدٍ — يغنّى بها السارى وتحدى الرواحلُ
٢ تُكَرُّ فلا تزداد إلّا استنارةً — إذا رازَتِ[3] الشعرَ الشفاهُ العواملُ

وقال كثير[4] :

١ وإلّا يعتّنى الموتُ والموت غالب — له شرك مبثـــــونة وحبائلُ
٢ أحبّرْ له قولا تناشد شـــعره — إذا ما التقتْ بين الجبال القبائلُ
٣ وتصدر شتّى من مُصِبٍ[5] ومُصعِد — إذا ما خلَتْ ممّن يحـــلّ المنازلُ
٤ يغنّى بها الركبان من[6] آل يحصب — وبصرى[7] وتَرويه تميم ووائلُ

وقال آخر أيضاً [وهو محمد بن حازم][8] :

١ أنّى لى أن أطيلَ الشعرَ قصدى — إلى المعـــنى وعلمى بالصوابِ
٢ فأبعثهن أربعـــــةً وستّا — مثقفة بألفـــــاظ عذابِ
٣ وهنّ إذا وسَمتُ بهن قوماً — كأطواق الحمائم فى الرقابِ
٤ وهنّ وإن أقمنَ مسافراتٌ — تهاداها الرواةُ مع الركابِ

وشبيه بما ذكرناه قول البحترى[9] :

١ وأنا الذى أوضحتُ غيرَ مدافع — نهجَ القوافى وهو رسمٌ دارسُ

---

(١) المفضلية ١٧/٥٨ و ٦٠ .

(٢) كذا والرواية « قاذته » . (٣) فى الأصول « دارت » .

(٤) لا يوجد فى د إلا البيت الثالث ق ١١٩ (٢/٩٦) .

(٥) كذا فى الأصول وفى د عن اللسان ٢/٢٢ « مصيب » .

(٦) ا و ب « فى » .

(٧) ب « تطرى » وثبت بالهامش « بصرى » .

(٨) زيادة فى ب و م والأبيات (من ٦) لابن حازم فى ع ١٢/١٥٤ والبيتان ٢ و ٣ بلا نسبة فى مجموعة المعانى ١٧٨ وابن أبى عون ٢٢٩ .

(٩) د .

٢ وشهرتُ فى شرقِ البلادِ وغربِها ... وكأنّنى فى كلّ نادٍ جالسُ

ومثله :

فلا تبعدنّى من نداك فإن لى ... لساناً مَلَا الدنيا وأنت ابن خالدِ

آخر :

١ لَأحملنّك من شعرى عَلَى فرس ... من المذبّة(١) مأمونِ عَلَى الزّلقِ

٢ يأتى بك الصينَ فى يوم وليلته ... كالريحِ تأتى عَلَى مكرانَ والسّاقِ

والشعر فى صفة الشعر كثير ، وإنما أتينا بهذا الفنّ منه ههنا ، وتركنا غيره لنأتى به فى مواضع أخر إن شاء الله .

أعرابىّ يذكر ابنه(٢) :

معنى التزوج فى غير الأقارب

١ فتى لم تلِدْه بنتُ عمّ قريبـــة ... فيضوَى وقد يَضوَى سليل القرائبِ(٣)

٢ ولكنّما أدّته بنتُ محجّـــبِ ... عظيمِ الرواقِ من خيارِ المَرازبِ

٣ تعلّم من أعمامه البأسَ والندى ... وورّثه الأخوالُ حسنَ التجاربِ

ومثل هذا قول جرير فى ابنه بلال(٤) :

إنّ بلالًا لم تشِنْهُ أُمُّه ... لم يتناسَبْ خالُه وعمُّه

فريحُه ريحى وشتّى شمُّه(٥)

---

(١) كذا وفى المعاجم ذب وذبة : كثير الحركة — ب « المذنة » .

(٢) راجع البيت الأول فى اللآلى ٨٧١ (ت القالى ١٢٤) وقد نبه الميمنى على أنه نسب إلى النابغة (انظر العقد الثمين ١٦٤ من البلدان) . (٣) م « الأقارب » .

(٤) د ١١٢/٢ وانظر اللآلى ٨٧٢ .

(٥) ورد المصراع فى د « فنفسه نفسى وسمى سمه » كذا فى محاسن الأراجيز ١٨٤ أى هو على أعدائه مثل ما على أعدائى .

وإنّما يعتدّ[1] بأنّ خاله وعمّه لم يتناسبا ، لأنّ العرب تزعم أن ابن الغرائب أنجبُ ، وأنّ ابن القريبين يكون ضاويا ، ومن أمثالهم[2] : اغتربوا لا تُضْوُوا ، وأنشد :

نمت بى من شيبان أمٌّ نزيعة كذلك ضرب المنجبات النزائع

وهذا البيت لجرير[3] ، وكانت أمُه نزيعة فى بنى شيبان . وروى أنّ نوح ابن جرير أنشد هذا البيت فى مجلس يونس بن حبيب النحوىّ ورجل من بنى شيبان حاضر المجلس ، فالتفت إليه نوح فقال : أخذناها والله يا أخا بنى شيبان بأطراف الرماح عَنوةً ، فقال له الشيبانى : أَجَلْ والله ، ولولا ذلك لكان أبوك وجدّك ألأمَ من أن ينكحاها عن رضى .

وقال آخر فى المعنى الّذى قدمنا ذكره :

تجنّبتُ بنت العمّ وهى قريبة مخافةَ أن يضوَى عَلَيّ سليلِى

وفى مثله لآخر[4] :

أنذرُ من كانَ بعيدَ الهَمِّ تزويجَ أولاد بنات العمِّ

وفى مثله لآخر :

تركت بنات العمّ وانقادنى الهوى إلى ابنَةِ عالى الذكر من آل فارسِ

(١) ا و ب « بعد » .
(٢) بل من أحاديث رسول الله انظر اللآلئ ٨٧١ .
(٣) د ١ / ١٧٠ .
(٤) الراغب ١/١٥٩ وبعده « فليس ناج من ضوى وسقم » .

وقال العتبي[١] : تزوج أهل بيت بعضهم فى بعض ، فلما بلغوا البطن الرابع بلغ بهم الضعف إلى إن كانوا يحبون حبواً لا يستطيعون القيام ضعفا .

وقال عمارة بن عقيل[٢] :

١ تبختم سخطى فغير بحثكم سجية نفس كان نصحاً ضميرُهَا
٢ ولا يلبث التخشينُ نفساً كريمة عريكتها أن[٣] يستمرّ مريرُهَا
٣ وما النفس إلّا نطفـــة بقرارة إذا لم تكدّر كان صفواً غديرُهَا

[٤] أما قوله : « وما النفس » البيت ، فمن أحسن الكلام وأوضح[٥] المعانى ، وقريب منه قول الفرزدق[٦] وليس هو بعينه :

١ تصرّم منّى ودُّ بكر بن وائل وما خلتُ باقى ودِّها يتصرّمُ

(١) انظر القول فى الراغب ١/١٥٩ .

(٢) الأبيات له فى مجموعة المعانى ١٠٦ ونهج البلاغة ٤/٢٦٥ .

(٣) كذا فى ب ومجموعة المعانى وبدله فى ا و م « لم » .

(٤) زاد فى ب بعد الأبيات : -

« ويتلوه فى الجزء الثانى بمشيئة الله وعونه : أما قوله « وما النفس .... » البيت فن أحسن الكلام .... وليس هو بعينه - تم - بسم الله الرحمن الرحيم - » وثبت بهامش هذه النسخة أيضا :

« هكذا فى الأصل مع أن أول الجزء الثانى سيأتى [ص ٢١١] فلعله أراد أولا أن يجعل هنا آخر الجزء الأول ثم بدا له فزاد عليه وجعله بعد إلا أنه لم ينبه على ذلك» أما فى م فالكلام فى المتن متصل (كما فى ا أيضا) إلا أنه ورد بالطرة :

« هنا انتهى الجزء الأول وابتداء الجزء الثانى : أما قوله « وما النفس ... الخ » .

(٥) م « أصح » .

(٦) د (من خمسة دواوين) ٣٩ الأولان فقط وهما أيضا فى الحيوان ٣/٩٦ مجموعة المعانى ١٠٦ - ١٠٧ والموشح ١٠٣ وانظر البيت الثانى فى اذيل السائر ٢٣٤ واللسان (قرص) .

٢ قوارص(١) تأتيني ويحتقرونها   وقد يملأ القطرُ الإناء فيُفْعَمُ
٣ وما أنفس الفتيانِ إلّا مناهل   تضيء وإن كانت على الظلم تظلمُ

وشبيه بهذه الأبيات قول عمارة بن عقيل :

١ وما تنفكُّ من سعد إلينا   قطوع الرحم عارية الأديم
٢ فنغفرها كأن لم يفعلوها   وطول العفو أدربُ(٢) للظلوم

الدُّربة : العادة ، قال الراجز :

عفوك عن عبد لئيم دُربَهْ   فأدِّب العبدَ وأحسِنْ ضَرْبَهْ

(١) في الأصول « قوارض » .   (٢) م « درب » .

فهرس مراجع التحقيق

الأبشيهى = المستطرف فى كل فن مستظرف له ، بولاق ١٣٦٨ هـ :
ابن الأثير = الكامل فى التاريخ له ، ليدن .
أسد الغابة ، الوهبية ١٢٨٦ هـ .
الاشتقاق لابن دريد ، جوتنجن ١٨٥٣ م :
الأصمعيات= الجزء الأول من مجموع أشعار العرب ، ليبسك ١٩٠٣ .
الآمدى = المؤتلف والمختلف له ، مكتبة القدسى ١٣٥٤ هـ :
الأنيس والجليس لأبى الفرج النهروانى ، لنسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٧٤ أدب .
الإيجاز والإعجاز للثعالبى ، ضمن خمس رسائل ، الجوائب ١٣٠١ هـ .
البديع لابن المعتز ، شرح وتعليق عبد المنعم الخفاجى ؛ القاهرة ١٩٤٥ م .
البستى = روضة العقلاء ونزهة الفضلاء له ، مصر ١٣٢٨ هـ .
البصرية = الحماسة البصرية ، نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٢٠ أدب .
بلاغات النساء لأحمد بن طاهر طيفور ، تصحيح أحمد الألفى ، مصر ١٩٠٨ م
البيـان والتبيين للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، القاهرة .
البيهقى = المحاسن والمساوئ له ، نشر شوال ، ١٩٠٢ م .
التمثيل والمحاضرات للثعالبى ، لنسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٩٢ أدب .
الجمحى = طبقات الشعراء له ، ليدن ١٩١٣ .
الجمهرة = جمهرة أشعار العرب ، بولاق ١٣٠٨ هـ .
الحصرى = زهر الآداب له ، الرحمانية .
الحماسة لأبى تمام ، بُن ١٨٢٨ م :
حم (= حماسة) البحترى ، ليدن ١٩٠٩ م :
حم ابن الشجرى ، حيدرآباد ١٣٤٥ هـ :

الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة .
خ = خزانة الأدب للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩ هـ .
خاص الخاص للثعالبي ، مصر ١٨٠٩ م .
د (= ديوان) الأخطل ، بيروت ١٨٩١ م .
» الأعشى ، فينا ١٩٢٧ م .
» أمية بن أبي الصلت ، ليبسك ١٩١١ م .
» أوس بن حجر ، فينا ١٨٩٢ م .
» البحتري ، هندية ١٩١١ م .
» بشار بن برد ، الجزء الأول ، لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٥٠ م
» أبي تمام ، بيروت ١٨٨٩ م
» » (ط عزام) بشرح التبريزي ، تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٥١ م .
» جران العود ، دار الكتب ١٣٥٠ هـ .
» جرير ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣١٣ هـ .
» حاتم ، ليبسك ١٨٩٧ م .
» حسان بن ثابت ، ذكرى جب ١٩١٠ م .
» الحطيئة ، ليبسك ١٨٩٣ .
» حميد بن ثور ، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥١ م .
» الخنساء ، بيروت ١٨٩٦ م .
» ابن الدمينة ، المنار ١٣٣٧ هـ .
» أبي ذويب ، هنوفر ١٩٢٦ م .
» ذي الرمة ، كيمبرج ١٩١٩ م .
» رؤبة ، الجزء الثالث من مجموع أشعار العرب ، ليبسك ١٩٠٣ م .
» زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية .
» سُحيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م .

د (= ديوان) الشماخ ، السعادة ١٣٢٧ هـ .
» طرفة ، شالون ١٩٠١ م .
» الطرماح ، لندن ١٩٢٧ م .
» طفيل الغنوى ، لندن ١٩٢٧ م .
» العباس بن الأحنف ، الجوائب ١٢٩٨ هـ .
» عبيد بن الأبرص ، ذكرى جب ١٩١٣ م .
» أبي العتاهية ، بيروت ١٨٨٦ م .
» العجاج ، الجزء الثانى من مجموع أشعار العرب ، ليبسك ١٩٠٣ م
» عروة بن الورد ، شرح ابن أبي شنب ، الجزائر ١٩٢٦ م
» عمرو بن قميئة ، كيمبرج ١٩١٩ م .
» عمر بن أبي ربيعة ، ليبسك ١٩٠٢ م .
» الفرزدق ، من مجموع خمسة دواوين : الوهبية ١٢٩٣ هـ .
» القطامى ؛ ليدن ١٩٠٢ م .
» قيس بن الخطيم ، ليبسك ١٩١٤ م .
» ابن قيس الرقيات ، فينا ١٩٠٢ م .
» كثير عزة ، نشر هنرى پرس ، ١٩٢٨ م .
» كعب بن زهير ، دار الكتب المصرية .
» لبيد ، فينا ١٨٨٠ م .
» المتلمس ، ليبسك ١٩٠٣ م .
» مجنون بنى عامر ، دار الطباعة الكبرى ١٢٩٤ م .
» أبي محجن ، ضمن طرف عربية ، ليدن ١٣٠٣ هـ :
» مزاحم العقيلى ، ليدن ١٩٢٠ م .
» مسلم بن الوليد ، ليدن ١٨٧٥ م .
» ابن المعتز ، مصر ١٨٩١ م .
» معن بن أوس ، ليبسك ١٩٠٣ م .
» أبي نواس ، مصر ١٨٩٨ م .
» الهذليين ، القسم الثانى ، دار الكتب المصرية ١٩٤٨ م :

الراغب = محاضرات الأدباء له ، المطبعة الشرقية ١٣٢٦ هـ .
الزجاجي = الأمالي له ، مصر ١٣٢٤ هـ .
الزهرة لأبي بكر بن داود الأصبهاني ، بيروت ١٩٣٢ م .
الشعراء = الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر
القاهرة ١٣٦٩ هـ — والإحالة على صفحات الطبعة الأوربية
الصبح المنبي ، على هامش العكبري ، الشرفية ١٣٠٨ هـ .
الصناعتين لأبي هلال العسكري ، الاستانة ١٣٢٠ هـ .
الضبي = أمثال العرب له ، الجوائب ١٣٠٠ هـ .
طبقات الشعراء لابن المعتز ، جب ميموريل ١٩٣٩ م .
العسكري = ديوان المعاني له ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
العقـد = العقد الفريد ، الطبعة الثانية ١٩٢٨ م .
العقد الثمين ، غريفزولد ١٨٦٩ م .
العمدة لابن رشيق ، مصر ١٩٠٧ م .
ابن أبي عون = كتاب التشبيهات له ، كيمبرج (ذكرى جب) ١٩٥٠ م .
العيون = عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية .
غ = الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية من الجزء ١ إلى الجزء ١١
وطبعة ساسي من الجزء ١٠ ص ١٣٦ إلى الجزء ٢١ .
القـالي = الأمالي له ، طبعة الدار الثانية ١٩٢٦ م (ت = التنبيه عليه ،
ذ = الذيل عليه) .
الكامل للمبرد ، ليبسك ١٨٦٤ م .
الكنايات للثعالبي .
الكنايات للجرجاني ، مصر ١٩٠٨ .
اللآلي = سمط اللآلي ، لجنة التأليف ١٣٥٤ هـ .
اللبـاب = لباب الآداب لأسامة بن منقذ : مصر ١٩٣٥ م .
المثل السائر لضياء الدين بن الأثير ، بولاق ١٢٨٢ .
مجالس ثعلب ، المعارف ١٣٦٩ هـ .
مجموعة المعاني ، الجوائب ١٣٠١ هـ .

محاسن الأراجيز ، فينا ١٩٠٨ م .
المختار من شعر بشار ، الاعتماد ١٣٥٣ هـ .
مختارات ابن الشجرى ، مصر ١٩٢٥ م .
المرتضى = الأمالى له ، مصر ١٩٠٧ م .
المرزبانى = معجم الشعراء له ، مكتبة القدسى ١٣٥٤ هـ .
المعاهـــد = معاهد التنصيص ، مصر ١٢٧٤ هـ .
المفضليات ، مطبعة المعارف ٦٢ — ١٣٦١ هـ .
مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ١٤٣٩ م .
المنتحل ، الإسكندرية ١٩٠٣ م .
منتهى الطلب من أشعار العرب ، نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٣ ش أدب .
المرشح للمرزبانى ، السلفية ١٣٤٣ هـ .
الميدانى = مجمع الأمثال له ، بولاق ١٢٨٤ هـ .
نقد الشعر لقدامة ، الجوائب ١٣٠٢ هـ .
نهج البلاغة = شرحه لابن أبى الحديد ، مصر ١٣٢٩ هـ .
النويرى = نهاية الأرب له ، دار الكتب المصرية .
الهاشميات للكميت ، شرح محمد محمود الرافعى ، الطبعة الثانية ١٣٣٠ هـ .
الوحشيات لأبى تمام ، نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٧ أدب .
الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضى الجرجانى ، صيدا ١٣٣١ هـ .

فهرس الجزء الأول من الكتاب

صفحة

صفحة